



فلاح العجمي

في

تفسير القرآن

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

من إصدارات

دار النوادر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الأولى

من إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة قطر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ردمك : ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ - ISBN



9789933418168

دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية - ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص.ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : (٠٠٩٦٣١١) ٢٢٢٧٠١١

لبنان - بيروت - ص.ب : ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : (٠٠٩٦١١) ٦٥٢٥٢٩

الكويت - حولي - ص.ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : (٠٠٩٦٥) ٢٢٦٣٠٢٢٧

أسرارة : ٢٠٠٦م
نور الدين طالب

المدير العام والرئيس التنفيذي

فتح الحبيب

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمة الله تعالى

المجلد الخامس

اعتقابه

تحقيقاً وضبطاً وتحريراً

نور الدين طالب

دار التوابع



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

مكية، وآياتها: سبع وسبعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف، وسبع مئة وثلاثة وثمانون حرفاً، وكلمتها: ثمان مئة واثنان وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [١].

[١] ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وزنه تفاعل، ومعناه: تعظم وتقدس، وقيل: معناه: جاء بالبركة، فعل مختص بالله تعالى، لم يستعمل في غيره ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ القرآن، سمي فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ محمد ﷺ.

﴿ لِيَكُونَ ﴾ العبد، أو الفرقان ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي: الجن والإنس ممن عاصره، أو جاء بعده ﴿ نَذِيرًا ﴾ محذراً.

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [٢].

[٢] ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بدل من ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾.

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ ردُّ على النصارى.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ رُدُّ عَلَى قَرِيشٍ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ شَرِيكاً .
﴿وَخَلَقَ﴾ أَحَدَثَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ .
﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ هِيَأَهُ لَمَّا أَرَادَ مِنْهُ .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [٣] .

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ يَعْنِي : عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ .

﴿مِنْ دُونِهِ﴾ تَعَالَى ﴿ءَالِهَةً﴾ يَعْنِي : الْأَصْنَامَ .

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ يَنْحَتُونَهُمْ وَيَصُورُونَهُمْ .

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ .

﴿لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَي : دَفَعَ ضَرًّا ، وَلَا جَلَبَ نَفْعًا .

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ أَي : إِمَاتَةً وَإِحْيَاءً ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ بَعَثًا بَعْدَ

الموت، ومن كان كذلك، فكيف يعبد؟! لأن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [٤] .

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْنِي : النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَأَصْحَابُهُ :

﴿إِنْ هَذَا﴾ مَا هَذَا الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كَذِبٌ ﴿افْتَرَاهُ﴾ اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ .

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يَعْنِي : الْيَهُودَ ؛ فَإِنَّهُمْ يَلْقُونَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ

الأمم، وهو يعبر عنه بعبارته، وقال ابن عباس: «أشاروا إلى عبید كانوا للعرب من الفرس، أحدهم أبو فكيهة مولى الحضرميين، وجبر ويسار وعداس وغيرهم، كانوا بمكة، زعم الكفار أن محمداً اختلق القرآن، وأعانوه على اختلاقه»^(١).

﴿فَقَدَجَاءُوا﴾ فعلوا؛ يعني: قائلوا هذه المقالة.

﴿ظُلْمًا﴾ كُفْرًا ﴿وَزُورًا﴾ كذباً؛ لنسبتهم القرآن إلى غير قائله.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ المشركون: القرآن ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ انتسخها محمد؛ أي: طلب أن تُكتب له؛ لأنه كان لا يكتب.

﴿فَهِيَ تُمَلَّى﴾ أي: تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوةً وعشيًا.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٦] فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾ الله^(٢).

﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٢٢)، و«تفسير القرطبي» (١٠/١٧٨).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لأنه أعجزكم بفصاحته .

﴿ إِنَّكُمْ كَانَتْ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ فلذلك لم يعجل عقوبتكم مع كمال قدرته .

﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [٧] .

[٧] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي : الكافرون إنكاراً وسخرية منهم به : ﴿ مَا لِي هَذَا
الرَّسُولِ ﴾ بزعمه ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ كما نأكل ﴿ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ لطلب
المعاش كما نمشي ، فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة . وتقدم اختلاف القراء
في قوله : (مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ) في سورة الكهف عند قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ
يَوَيْلُنَا مَا لِي هَذَا الْكُتُبِ ﴾ [الكهف : ٤٩] ، وكتبت اللام في المصحف مفردة
من قوله : (مَا لِي هَذَا) واتباعه سنة ، أما أكله الطعام ، فلا أنه بشر ، ومشيه في
الأسواق ، فلقضاء حوائجه تواضعاً ، ولا ينافيان الرسالة ، ثم جاؤوا بحرف
التحضيض فقالوا :

﴿ لَوْلَا ﴾ هَلَّا ﴿ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ ﴾ نصب جواب التحضيض .

﴿ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ يصدقه .

﴿ أَوْ يُلقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [٨] .

[٨] ﴿ أَوْ يُلقَىٰ إِلَيْهِ ﴾ أي : ينزل عليه ﴿ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه ،

فيستغني عن تحصيل المعاش .

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي،
وخلف: (نَأْكُلُ) بالنون؛ أي: نأكل نحن منها، وقرأ الباقون: بالياء^(١)؛
أي: يأكل هو، المعنى: ليس ملكاً ولا مَلِكاً ولا غنياً، فلا نتبعه؛ لأنه
دوننا.

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ الذين أشير إليهم:
﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ قد سحر، فغلب على عقله.

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا﴾.

[٩] ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ يعني: الأشباه
بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحق.
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إليه.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا.

﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: مما قالوا، ثم بين ذلك الخير، فقال:

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ بيتاً مشيدة. قرأ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٣)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٥).

ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (وَيَجْعَلُ) برفع اللام استثناءً،
وقرأ الباقون: بجزمها عطفًا على محل (جَعَلَ) لأنه جواب الشرط^(١)؛ لأن
التقدير: تبارك الذي إن يشأ يجعل، وقرأ أبو عمرو: (لَكَ قُصُورًا)، و(رَبُّكَ
قَدِيرًا) بإدغام الكاف في القاف فيهما^(٢).

قال ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لَا يَا
رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا، وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ قَالَ: ثَلَاثًا فَإِذَا جُعْتُ، تَضَرَعْتُ
إِلَيْكَ، وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبَعْتُ، حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ»^(٣).

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾^(١).

[١١] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا ﴾ بل أتوا أعجب من ذلك كله، وهو تكذيب.

﴿ بِالسَّاعَةِ ﴾ بالقيامة، فكيف يصدقونك.

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ ناراً ملتهبة. قرأ أبو عمرو:

﴿ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ بإدغام التاء في السين^(٤).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٣)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٤/٣٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤/٣٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٧)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه،
وقال: حديث حسن، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث، والإمام أحمد في
«المسند» (٥/٢٥٤)، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -.

(٤) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٤/٢٧٦).

﴿ إِذَارَاتَّهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ إِذَارَاتَّهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي : إذا قابلتهم ، وصاروا بإزائها .

﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ هو الصوت الذي يهيمهم به المغتاط ﴿ وَزَفِيرًا ﴾ هو الصوت من الصدر ، روي أن جهنم تزفر يوم القيامة ، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه^(١) .

﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ أي : تضيق عليهم إذا ألقوا فيها ، فيكون أشدَّ لعذابهم ؛ فإن الكربَ مع الضيق ، والرَّوْحَ مع السَّعة ، فذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض . قرأ ابن كثير : (ضَيِّقًا) بإسكان الياء مخففة ، والباقون : بكسرها مشددة^(٢) .

﴿ مُّقْرَّبِينَ ﴾ مُصَفَّدِينَ ، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل .
﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ويلاً .

﴿ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] في الحديث : «أول من يُكسى حُلَّةً من النار إبليسُ ، فيضعها على

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٣٢٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/٣١٢) ، عن عبيد بن عمير .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٦٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٦) .

حاجبيه، ويسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول: واثبوره، وهم ينادون ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فينادي: يا ثبوره، وينادون: يا ثبورهم» فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾^(١) لأن عذابكم كثير لا يفنى.

﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾^(١٥).

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار.

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ أي: وُعِدَهَا ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ معدة في علمه تعالى ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ثواباً ومقراً.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾^(١٦).

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من النعيم.

﴿خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾ مطلوباً يطلبه المؤمنون بقولهم:

﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/١٥٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/١٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/٢٥٥-٢٥٦)، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ أي: واذكر يوم نحشرهم. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون^(١).

﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن، وقيل: الأصنام.

﴿ فَيَقُولُ ﴾ تعالى للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين. قرأ ابن عامر: (فَقُولُ) بالنون، والباقون: بالياء^(٢).

﴿ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ أخطؤوا الطريق. واختلاف القراءة في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَهْلِيْنَا يَتَابَرِهِيْمُ ﴾، واختلافهم في الهمزتين من ﴿ هَؤُلَاءِ أَمْ ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿ هَؤُلَاءِ أَمْ ﴾، وكلاهما في سورة الأنبياء.

﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعٰبَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ ﴾ نزهوا الله من أن يكون معه آلهة ﴿ مَا كَانَ يُنْبِئِي ﴾

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)،

و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٥)، و«معجم

القراءات القرآنية» (٤/٢٧٨).

ما يجوز ولا يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿قرأ أبو جعفر: (تُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء، فيكون (مِنْ أَوْلِيَاءَ) حالاً، و(مِنْ) زائدة لمكان النفي المتقدم؛ كما تقول: ما اتخذتُ زيداً من وكيل، والمعنى: ما كان لنا أن نعبد من دونك، ولا نستحق الولاء ولا العبادة، وقرأ الباقون: بفتح النون وكسر الخاء^(١)؛ أي: ما جاز أن نواليهم ليعبدونا.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ﴾ في الدنيا بأنواع النعم.
 ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا ذكر الله ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى، وأصله من البور، وهو الفساد، ومنه: بوار السلعة، وهو كسادها.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ خطاب للكفار ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم: إنهم آلهة، وروي عن قبل (بِمَا يَقُولُونَ) بالغيب^(٢)؛ أي: بقولهم: (سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا) إلى آخره ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿قرأ حفص عن عاصم: (تَسْتَطِيعُونَ) بالخطاب؛ يعني: للعابدين، وقرأ الباقون: بالغيب^(٣)؛ يعني: للمعبودين.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٩).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٧٩).

﴿ صَرَفًا ﴾ دفعاً للعذاب، وقيل: حيلة ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ فيعينكم عليه؛ أي: أنتم وهم عجزة عن جلب نفع، أو دفع ضرر.

﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ ﴾ يشرك ﴿ مِنْكُمْ نُذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ هي النار.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ تقديره: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين الطعام، وماشين في الأسواق، وجاز حذفه للدلالة (مِنَ الْمُرْسَلِينَ) عليه، وهو جواب لقولهم: ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۗ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ ابتلاء ومحنة، وهذا على العموم في جميع الناس، مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض؛ بأن يقول المريض: لو شاء الله، لجعلني مثل الصحيح، والغني فتنة للفقير، والفقير الشاكر فتنة للغني، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك الحكماء وحكام العدل.

﴿ أَنْتَصِرُونَ ﴾ علة للجعل، والتوقيف بقاء (تَصْبِرُونَ) خاص للمؤمنين المحققين، فهو لأمة محمد ﷺ؛ أي: جعلنا بعضكم لبعض فتنة؛ لنعلم أيكم يصبر على البلاء.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ فيجازي كلاً بعمله، وهو وعد للصابرين،
ووعيد للعاصين .

قال ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه من المال والجسم، فليُنظرْ
إلى مَنْ هو دونه في المال والجسم»^(١) .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا
لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾^(٢١) .

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث، فلا
يخافون عذابنا .

﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُتُ﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق .

﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيخبرنا بذلك، وجواب القسم محذوف .

﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر .

﴿وَعَتَوْا﴾ طغوا، والعتو: أشدُّ الكفر، وأفحشُ الظلم .

﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بالغاً أقصى مراتبه؛ لطلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به .

(١) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٤٧/١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٦١)،
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣٢٧/٣)، عن
أبي هريرة - رضي الله عنه - بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٦١٢٥)، كتاب:
الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه، ومسلم (٢٩٦٣)، في أول كتاب:
الزهد والرقائق، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «المال والخلق» بدل
«المال والجسم» .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم .

﴿ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ﴾ عند الموت ﴿ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي : الكافرين ، المعنى : أن الملائكة تمتنع ثم من بشرى المجرمين بالجنة ، وتخصها بالمؤمنين .

﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ أي : تقول الملائكة لهم : حراماً محرماً عليكم دخول الجنة .

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ وَقَدِمْنَا ﴾ قصدنا ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا ﴾ أي : الكفار .

﴿ مِنْ عَمَلٍ ﴾ من الخير ؛ كصدقة وصلة رحم في الدنيا .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً ﴾ هو ما يرى من الغبار في شعاع الشمس الداخل من الكوة .

﴿ مَنْثُورًا ﴾ مفرقاً .

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم يستقرون فيها .

﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ من هؤلاء المشركين .

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ موضع القيلولة، وهو الاستكان نصفَ النهار في الحر، وإن لم يكن نوم؛ لأنه لا نوم في الجنة.

روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: «ولا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يُقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار»^(١).

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا﴾^(٢٥).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ أي: عن الغمام، وهو الغيم الأبيض الرقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. قرأ أبو عمرو، والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين على حذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بالتشديد؛ أي: تتشقق، فأدغم^(٢).

﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير: (وَنُزِّلُ) بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، مع تخفيف الزاي ورفع اللام، ونصب (الملائكة) مفعولاً؛ من (أَنْزَلَ) إخباراً عن الله تعالى، وهي كذلك في المصحف المكي، وقرأ الباقون: (وَنُزِّلُ) مجهولاً بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام، ورفع (الملائكة) فاعلاً؛ من (نَزَلَ)، وكذلك هي في مصاحفهم^(٣).

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٦٣)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥١٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، =

﴿ نَزِيلًا ﴾ في ذلك الغمام، روي أنه تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة بأيديهم صحائف أعمال العباد^(١).

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ أي: الملك حقاً يوم القيامة هو ملك الرحمن، لا ملك يقضي غيره.

﴿ وَكَانَ ﴾ ذلك اليوم ﴿ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ صعباً، وعلى المؤمنين يسيراً.

﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ الكافر ﴿ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ ندماً على تفريطه في جنب الله تعالى، والظالم هو عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه كان أسلم، أو جنح إلى الإسلام، وكان أبي بن خلف خليلاً له، فنهاه عن الإسلام، فقبل نهيه، فنزلت الآية فيهما^(٢)، فقتل عقبة يوم بدر صبراً^(٣)، وأما أبي بن

= و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨١).

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/٤٥٠).

(٢) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٩٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٨٦) عن ابن عباس، وفيه: فقام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقتله. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٥/٢٦٩).

خلف، فقتله النبي الله ﷺ يوم أحد بيده^(١)، روي أنه يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه، ثم يأكل هكذا، كلما نبتتا^(٢)، أكلهما تحسراً.

﴿يَقُولُ يَلِيَّتِي أَخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَيِّلاً﴾ طريقاً إلى الجنة، وهو الإيمان. قرأ أبو عمرو: (يَا لَيْتِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣)، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بإدغامها^(٤).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٥٨/٣) باب: شدة رسول الله ﷺ في اليأس، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، به، وعندهما: أن أياً كان قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال رسول الله ﷺ -: «بل أنا أقتله إن شاء الله»، فأقبل أبي متقنعاً في الحديد وهو يقول: إن نجوت لا نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير، بقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته، فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور. فقالوا: ما أجزعك؟ إنما هو خدش، فذكرهم قول رسول الله ﷺ «أنا أقتل أياً» ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون. فمات إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣٣٠/٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤٧١/٤) عن عطاء. وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣٦٠/٨) عن الضحاك.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣٣٠/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٣/٤).

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٣/٤).

﴿يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿يَوَيْلَتِي﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف^(١): (يا وَيْلَتِي) بالإمالة، بخلاف عن الأول^(٢) ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ يعني: أُبَيِّ بْنِ خَلْف.

﴿خَلِيلًا﴾ والخلة: هي ألا تكون لطمع، ولا لخوف، بل في الدين.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩).

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مع الرسول، وهذا آخر كلام الظالم، وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعوا على معصية الله تعالى، قال ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل»^(٣).

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ وهو كل متمرد عاتٍ من الإنس والجن ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ المطيع له ﴿خَذُولًا﴾ والخذلان: تركُ النصره، فيتبرأ منه عند نزول العذاب والبلاء.

(١) «وخلف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، والترمذي (٢٣٧٨)، كتاب: الزهد، باب: (٤٥)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٣٣٤)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ﴾ أي : ويقول ﴿ الرَّسُولُ ﴾ محمد ﷺ في ذلك اليوم :

﴿ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي ﴾ قريشاً ﴿ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ متروكاً .

روى أنس عن النبي ﷺ : أنه قال : « من عَلَّقَ مُصْحَفًا ، ولم يتعاهده ، جاء يوم القيامة متعلقًا به يقول : يا رَبِّ ! هذا اتخذي مهجوراً ، اقض يا رَبِّ بيني وبينه »^(١) . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، والبخاري عن ابن كثير ، وروح عن يعقوب : (قَوْمِي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(٢) .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ثم سألناه عن فعل قومه بأن أعلمه أن غيره من الرسل كذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي : وكما ﴿ جَعَلْنَا ﴾ لك يا محمد عدوًّا من المشركين ، جعلنا .

﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ أي : أعداء ﴿ مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركين ، فأنت كالأنبياء في البلاء ، وأنا ناصركم .

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ والباء في (بِرَبِّكَ) للتأكيد ، المعنى : اکتف بربك ؛ فإنه ناصرك وهاديك .

(١) رواه الثعلبي ، كما ذكر الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/٤٥٩) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٦٤-٤٦٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٤) .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ أي : أنزل ﴿ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾

كالتوراة والإنجيل والزبور، قال الله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : نزل (١) كما أردناه ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أي : أنزلناه مفرقاً؛ ليقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه؛ لأن حاله يخالف حال موسى وعيسى وداود؛ حيث كان أمياً، وكانوا يكتبون، فلو ألقى إليه جملة، تعيياً بحفظه، ولأن نزوله بحسب الوقائع، ومنه الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه؛ ليكون أوعى لرسول الله ﷺ، وأيسر على العامل به. **قرأ** ورش عن نافع: (فؤادك) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز (٢).

﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ أنزلنا بعضه في إثر بعض، وبيناه تبييناً.

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٣٣) .

[٣٣] ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ يا محمد هؤلاء الكفار ﴿ بِمَثَلٍ ﴾ يضربونه لك جدلاً ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ المبطل لما جاؤوا به ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ بياناً، والتفسير: هو كشف ما قد غُطِّي .

(١) «نزل» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدديماطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٤) .

﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءَ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [٣٤].

[٣٤] ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال :

﴿ الَّذِينَ ﴾ أي : هم الذين ﴿ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ فيساقون ويجرون .

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءَ مَكَانًا ﴾ منزلة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أخطأ طريقاً .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴾

معيناً، وهو من تحمل الوزر؛ أي : ثقل الحال .

﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [٣٦].

[٣٦] ﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ هم القبط،

وتقديره : فأنذرا، فكذبوهما ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ أهلكتناهم إهلاكاً .

﴿ وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [٣٧].

[٣٧] ﴿ وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾ أي : نوحاً، ومن كذب رسولاً

واحدًا، فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع .

﴿ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِنَاسٍ آيَةً ﴾ عبرة يتعظون بها .

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ ﴾ في الآخرة .

﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سوى ما حل بهم من عاجل العذاب .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [٣٨]

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا ﴾ عطف على (هم) في ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ ﴾ قرأ حمزة،

ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَتَمُودَ) بنصب الدال غير ممنون، والباقون: بالتثنية (١).

﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ هو بئر لم تطو بالحجارة، وكان أصحابه قوم يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم شعيب، فكذبوه، فخسف بهم وبمنازلهم وأموالهم، وانهارت بئرهم، وقيل: كان نبيهم حنظلة بن صفوان، فقتلوه، فأهلكوا، كما تقدم تفسيره (٢) في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ وَيَتْرُكُ مُعْتَدِلَةً وَقَصْرًا مَشِيدًا ﴾ [الآية: ٤٥] وقيل غير ذلك، وقيل: الرس: المعدن، وجمعه رساس .

﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: أهلكننا بين عاد وأصحاب الرس .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٦).

(٢) «تفسيره» ساقطة في «ت» .

﴿ كَثِيرًا ﴾ لا يعلمهم^(١) إلا الله .

﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلَّ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ وَكُلًّا ﴾ من المهلكين ﴿ ضَرَبْنَا ﴾ بينا ﴿ لَهُ الْأَمْثَلَّ ﴾ البراهين على الإيمان، ولم نهلكهم من غير إنذار .
﴿ وَكُلًّا ﴾ منهم بعد التكذيب ﴿ تَبَّرْنَا ﴾ دمرنا ﴿ تَتْبِيرًا ﴾ وكلُّ مكسَّرٍ كزجاج أو ذهب أو فضة تبرُّ .

﴿ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوِّءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ آتَوْنَا ﴾ يعني قريشاً مروا في متاجرهم إلى الشام .
﴿ عَلَى الْقَرْيَةِ ﴾ يعني : سدوم ، عظمى قرى قوم لوط .
﴿ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوِّءِ ﴾ الرمي بالحجارة .
﴿ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوا يَكُونَهَا ﴾ فيتفكرون فيؤمنون . واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّوِّءِ أَفْكَمَ) كاختلافهم فيهما من (هُؤُلَاءِ آلِهَةٌ) في سورة الأنبياء .

﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ لا يخافون بعثاً، فلا يؤمنون .

(١) في «ت»: «يعلمها» .

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (٤١).

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءاً به. قرأ حفص عن عاصم: (هُزُوًا) بفتح الواو منوناً من غير همز، والباقون: بالهمز، وحمزة وخلف يسكنان الزاي^(١)، نزلت في أبي جهل، كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ، قالوا استهزاء به: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٢) ليثبت الحجة علينا.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿إِن كَادَ﴾ محمد ﴿لَيُضِلَّنَا﴾ أي: قد قارب أن يصرفنا ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ لفرط جهاده في الدين. ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عن عبادتها، ثم تهددهم فقال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً هم أم المؤمنون.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٦-٢٨٧/٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٣٤).

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ثم وبخ كل من عبد غير الله تعالى فقال: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ﴾ كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رمى به، وعبد الآخر. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأ الكسائي: بحذفها، وروي عن ورش: إبدالها ألفاً خالصة، وإذا أبدلها، مدّ؛ لالتقاء الساكنين مدّاً مشبعاً، وقرأ الباقون: بالهمز^(١) .

﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ يحفظه من اتباع هواه .

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ أَمْ تَحْسَبُ ﴾ بل أتحسب ﴿ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام ﴿ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ ما يعاينون من الحجج .
﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾ بالجهل بالمنافع .
﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أخطأ طريقاً؛ لأن الأنعام تهتدي لمراعيتها، وهم على خلاف ذلك .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ﴿٤٥﴾ .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٧) .

[٤٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ألم تنظر إلى صنعه، ومعناه: تنبيهه، والرؤية هاهنا رؤية القلب .

﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ أي: بسطه؛ يعني: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأنه لا شمس معه، وهو أطيّب الأحوال، ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿ وَظِلٌّ مَّدْوَدٌ ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وقيل: هو إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب .

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ دائماً لا شمس معه .
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ يبين معنى الظل ونفعه؛ لأنه لولا الشمس، لما عرف الظل، ولولا النور، لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها .

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ .

[٤٦] ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا ﴾ أي: نسخناه بها .
﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أي: على مهل، والقبض: جمع المنبسط من الشيء، معناه: أن الظل يعم جميع الأرض، فإذا طلعت الشمس، قبض الله الظل جزءاً فجزءاً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِيَالًا لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِيَالًا ﴾ ساتراً بظلمته .

﴿وَالْتَوَمَّ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم .
﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ينتشر فيه الخلق للمعاش .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) .

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ قرأ ابن كثير: (الرِّيحَ) على الإفراد، وقرأ الباقون: (الرِّيحَ) على الجمع^(١) ﴿بُشْرًا﴾ ناشرات للسحاب، جمع نشور. قرأ ابن عامر: بالنون وضمها وإسكان الشين على التخفيف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالنون وفتحها وإسكان الشين على أنه مصدر وصف به، وقرأ عاصم: بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وضم الشين على المعنى الأول^(٢).

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام المطر .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ والطهور: هو الباقي على أصل خلقتة من ماء المطر والبحر والعيون والآبار، على أي صفة كان؛ من عذوبة وملوحة، وحرارة وبرودة وغيرها .

وما تغير بمكثه، أو بظاهر لا يمكن صونه عنه؛ كالتراب والطحلب

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٨٨-٢٨٩).

وورق الشجر ونحوها، فهو طاهر [في نفسه، مطهر لغيره، يرفع الأحداث،
ويزيل الأنجاس بالاتفاق، فإن تغير عن أصل خلقتة بطاهر]^(١) يغلب على
أجزائه مما يستغني عنه الماء غالباً، لم يجز التطهير به عند الثلاثة، وجوز
أبو حنيفة الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات، ما لم تزل
رقته، وقال أيضاً: بجواز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة؛ كالخل وماء
الورد ونحوهما، وخالفه الثلاثة، ومحمد بن الحسن، وزفر، واتفقوا على
أنه إذا تغير الماء بالنجاسة، نجس، قل أو أكثر، والماء المستعمل: وهو
ما أزيل به حدث، لا يطهر الأحداث عند الثلاثة، وقال مالك: يجوز
الوضوء بماء توضىء به مرة مع الكراهة، وإذا بلغ الماء قلتين، وخالطته
نجاسة، فقال الشافعي وأحمد^(٢): لا ينجس إلا أن يتغير طعمه أو لونه أو
ريحه، وقال أبو حنيفة: ينجس الماء بملاقة النجاسة ما لم يكن عشرة أذرع
في مثلها، وقال مالك: لا ينجس الماء بوقوع النجاسة فيه ولو كان قليلاً
ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وهو رواية عن أحمد، وقدر القلتين خمس
مئة رطل عراقي تقريباً، وأربع مئة وستة وأربعون رطلاً وثلاثة أسباع رطل
مصري، ومئة وسبعة أرطال وسبع رطل دمشق، وتسعة وثمانون رطلاً
وسبعا رطل حلبي، وثمانون رطلاً وسبعا رطل ونصف سبع رطل قدسي،
ومساحتهما مربعاً ذراعاً وربع طولاً وعرضاً وعمقاً ومدوراً، وذراع طولاً
وذراعان ونصف ذراع عمقاً، والمراد: ذراع اليد، والرطل مئة درهم
وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، وهو سبع القدسي وثمان

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) «وأحمد» زيادة من «ت».

سبعه، وسبع الحلبي وربع سبعه، وسبع الدمشقي ونصف سبعه، ونصف المصري وربعه وسبعه وتسعون مثقالاً.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَىٰ كَثِيرًا﴾^(٤٩).

[٤٩] ثم بين الحكمة في إنزال الماء فقال: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ أي: بالمطر. ﴿بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ قفراً، وتذكير (ميتاً) رجع به إلى الموضع والمكان. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتًا) بكسر الياء مشدداً، والباقون: بإسكانها مخففاً^(١). ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ أي: نسقي من ذلك الماء أنعاماً مما خلقنا. ﴿وَأَنْسَىٰ﴾ أي: بشراً ﴿كَثِيرًا﴾ والأناسي: جمع إنسي، وقدمت الأرض على الأنعام والأناسي؛ لأن حياتها سبب لحياتهما.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٥٠).

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: المطر في البلاد والأوقات المختلفة، قال ابن عباس: «ما عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه في الأرض»^(٢). قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ)

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٢٠).

يادغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار^(١).

﴿لِيَذْكُرُوا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بإسكان الدال وضم الكاف مع تخفيفها، وقرأ الباقون: بفتح الدال والكاف مع تشديدهما، وهما لغتان^(٢)؛ أي: يتفكروا في نعم الله.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً، وهو قولهم: مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وكذا.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ رسولاً، ولقسمنا النذير بينهم كما قسمنا المطر؛ لنخفف عليك أعباء النبوة، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى؛ لتستوجب بذلك الدرجة الرفيعة، ويعظم أجرك.

﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة آلهتهم ومداهنتهم.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يخالطه فتور.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٨٩/٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٩٠/٤).

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (٥٣).

[٥٣] ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ خلطهما، وأفاض أحدهما في الآخر
في مرأى العيون، وبينهما حاجز من قدرة الله عز وجل.

﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة، قانع للعطش.

﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً من قدرته.

﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ منعاً ممنوعاً عن الإدراك؛ لئلا يختلط أحدهما
بالآخر، وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير
طعمها، أو المراد بالبحر العذب: النهر العظيم؛ مثل النيل، وبالبحر
المالح: البحر الكبير، وبالبرزخ: ما يحول بينهما من الأرض.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴾ (٥٤).

[٥٤] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ ﴾ أي: المني ﴿ بَشَرًا ﴾ إنساناً.

﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا ﴾ أي: ذكوراً ينسب إليهم.

﴿ وَصِهْرًا ﴾ أي: إناثاً يصاهر بهن.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (وكان) هي التي للدوام قبل وبعد، لا أنها تعمل^(١)

(١) في «ت»: «تعطي».

مضياً فقط . وتقدم في السورة مذهب أبي عمرو في إدغام الكاف في القاف
من قوله (رَبُّكَ قَدِيرًا) .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ
ظَهِيرًا ﴾ .

[٥٥] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني : هؤلاء المشركين .

﴿ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوا ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن تركوا عبادته .

﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمؤمنين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للكافرين .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ
سَبِيلًا ﴾ .

[٥٧] ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على تبليغ الوحي .

﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فتقولوا : إنما يطلب محمد ﷺ أموالنا بما يدعوننا إليه ، فلا

نتبعه .

﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ استثناء منقطع ؛ أي : لا لطلب

أموالكم جعلاً لنفسي ، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالى ، فلا أمنعه .

واختلاف القراء في الهمزتين من (شَاءَ أَنْ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ

السَّمَاءَ أَنْ) في سورة الحج .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبٍ
عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ لأنه حقيق أن يتوكل عليه دون

غيره .

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ صلِّ له شكراً، ونزّهه عن صفات النقصان، قال ﷺ:
«من قال في كل يوم: سبحان الله وبحمده مئة مرة، غُفرت ذنوبه، ولو كانت
مثل زبد البحر»^(١).

﴿ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبٍ عِبَادِهِ ﴾ ما ظهر منها وما بطن .

﴿ خَيْرًا ﴾ مطلقاً، وهذا توعد .

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: في
مدتهما؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بلا كيف . وتقدم الكلام عليه في سورة طه .

﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ فَسَلَّ بِهِ ﴾ أي: عنه، والفاء زائدة

﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول (سَلَّ)؛ أي: سل رجلاً خبيراً به وبرحمته، يخبرك،

(١) رواه البخاري (٦٠٤٢)، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، ومسلم
(٢٦٩١)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل التهليل
والتسبيح والدعاء، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

والمراد: جبريل، والعلماء، وأهل الكتب المنزلة. قرأ ابن كثير،
والكسائي، وخلف: (فَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(١).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ
نُفُورًا ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ ما نعرف الرحمن؛
لأن قريشاً كانت لا تعرف هذا في أسماء الله تعالى، وكان مسيلمة الكذاب
تسمّى برحمن اليمامة، فغالطت قريش بذلك وقالت: إن محمداً يأمر بعبادة
رحمن اليمامة^(٢).

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (يَأْمُرُنَا) بالغيب إخباراً عن
النبي ﷺ، وقرأ الباقر: بالخطاب له ﷺ^(٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤/٢٩١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٤٠) عن عطاء، وذكره الطبري في
«تفسيره» (١٩/٢٨٨)، و«البغوي» في «تفسيره» (٣/٣٤٠). ومعلوم أن الله
سبحانه قد حمى اسمه (الله والرحمن) أن يتسمى به أحد غيره جلّ جلاله وما ورد
من مثل هذا (رحمن اليمامة) فهو غير وارد؛ لأنه مضاف إلى اليمامة؛ ولذلك
عندما تجرأ الخبيث مسيلمة على التسمية به، كساه الله جلباب الكذب وشهر به
بين الأمم وعلى مدى الأزمان، فصار اسمه (مسيلمة الكذاب). انظر: «فتح
الباري» لابن حجر (١٠/٥٧١)، و«تفسير ابن كثير» (١/٢٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٠)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٤/٢٩٢).

﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر بالسجود ﴿نُفُورًا﴾ تباعداً عن الإيمان، وهذا محل سجد بالاتفاق، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم سجد التلاوة وسجد الشكر ملخصاً عند سجدة مريم، فمن جهل وجود الرب سبحانه، أو علم وجوده، وفعل فعلاً، أو قال قولاً^(١) لا يصدر إلا من كافر، فكافر بالاتفاق، ونافي الإسلام مخطئ آثم كافر عند أئمة الإسلام بغير خلاف.

﴿نُبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٦١).

[٦١] ﴿نُبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يعني: البروج الاثني عشر، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبله، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة، سميت بالبروج القصور؛ لأنها لها كالقصور لسكانها، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبله بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل، وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع، فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبله والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة [هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة]^(٢) مائية.

(١) «أو قال قولاً» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرْجًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين وفتح
 الراء من غير ألف على الجمع؛ يعني: النجوم، وقرأ الباقون: بكسر السين
 وفتح الراء وألف بعدها على الأفراد؛ يعني: الشمس^(١).
 ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ مضيئاً بالليل.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا﴾ ﴿٦٢﴾.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا،
 وما نقص من أحدهما زاد في الآخر.
 ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ قرأ حمزة وخلف: (يَذَّكَّرَ) بتخفيف الذال مسكنة
 وتخفيف الكاف مضمومة؛ من الذكر، وقرأ الباقون: بتشديدهما
 مفتوحتين؛ من التذكير^(٢).
 ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
 الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، خبره:

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)،
 و«تفسير البغوي» (٣/٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٢).
 (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٢)، و«إتحاف
 فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٣).

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ رويداً بالسكينة والوقار .

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهون .

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي : قولاً يسلمون فيه من الإثم .

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿٦٤﴾ .

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ على وجوههم ﴿وَقِيَمًا﴾ على

أقدامهم، يقال: بات لمن دخل عليه الليل وإن لم ينم، قال ابن عباس: «من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين، فقد بات لله ساجداً وقائماً»^(١) وتخصيص البيوتة؛ لأن العبادة بالليل أبعد من الرياء .

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٦٥﴾ .

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ

غَرَامًا﴾ دائماً لازماً كلزوم الغريم الغريم .

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي : بسئ موضع قرار وإقامة^(٢) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٤٢) .

(٢) «وإقامة» زيادة من «ت» .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧).

[٦٧] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ لم يجاوزوا الحد ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ يضيّقوا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُقْتَرُوا) بضم الياء وكسر التاء؛ من (أقتر)، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُقْتَرُوا)^(١) بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون: بفتح الياء وضم التاء مستقبل (قتر) مخففاً، وكلها لغات صحيحة^(٢)، وقال ابن عباس: «الإسراف: النفقة في المعصية، والإقتار: منع حق الله تعالى»^(٣).

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ عدلاً بين الشئيين، وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ﴾ الآية، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: خير الأمور أوسطها^(٤).

(١) «يقتروا» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٤).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٣٤٣) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٤) وجاء في لفظ: «أوساطها» بدل: «أوسطها»، وقد رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠١) عن مطرف، والخطابي في «العزلة» (ص: ٩٨) عن أكثم بن صيفي. قال السخاوي: وقد رواه ابن السمعاني فس «ذيل تاريخ بغداد» لكن بسند فيه مجهول، عن علي مرفوعاً، وللدلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٢٤٥-٢٤٦).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٦٨).

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادة الأوثان.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها^(١) ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا يفعلون كالمشركين بؤاد البنات وغير ذلك من الظلم والاعتيال والغارات.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ كالجاهلية الذين كان عندهم الزنا مباحاً.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: شيئاً من هذه الأفعال ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء إثم، وهي العقوبة. قرأ الليث عن الكسائي: (يَفْعَلْ ذَلِكَ) بإدغام اللام في الذال حيث وقع، وأظهرها الباقون^(٢).

﴿يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾^(٦٩).

[٦٩] ﴿يُضَعَّفُ﴾ أي: يتزايد ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ أي: يهان دائماً في العذاب. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعَّفُ) بالتشديد مع حذف الألف، وجزم الفاء، والبدال من (يَخْلُدُ) على جواب الشرط، وقرأ ابن عامر: بالتشديد مع حذف الألف كما تقدم، ورفع الفاء والبدال على الابتداء، وقرأ أبو بكر عن عاصم: بإثبات الألف بعد

(١) «قتلها» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٥).

الضاد والتخفيف ورفع الفاء والبدال كابن عامر، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف وجزم الفاء والبدال^(١)، وقرأ ابن كثير وحفص: (فِيهِ مُهَانًا) بإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء في الوصل^(٢).

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٧٠).

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ من ذنبه ﴿وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ بعد توبته بينه وبين ربه ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فبدلوا بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل الكافرين، وبالزنا عفة وإحصاناً.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يعفو عن السيئات، ويثيب على الحسنات.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾^(٧١).

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عن المعاصي ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يتلافى به ما فرط^(٣).

﴿فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ﴾ يرجع إليه ﴿مَتَابًا﴾ مرضياً، أي: من أراد حقيقة التوبة، فليرد بها الله.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٨).

(٣) «يتلافى به ما فرط» زيادة من «ت».

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة، ولا يحضرون محاضر الكذب، ومن أعظم الزور الشرك بالله تعالى، وتقدم حكم تعزير شاهد الزور في سورة الحج ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ يشمل المعاصي كلها، وكل سقط من فعل أو قول.

﴿ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ أي: معرضين.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا ﴾ وُعطوا ﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن. ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها، بل أكبوا عليها حرصاً على استماعها.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَذُرِّيَّاتِنَا) بالألف جمعاً؛ حملاً على المعنى؛ لأن لكل واحد منهم ذرية، وقرأ الباقون: بغير ألف على الأفراد إرادة الجنس^(١).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٧)، و«النشر في»

﴿ فُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أولاداً أبراراً أتقياء، فتقر أعيننا بذلك، مأخوذ من القرور، وهو الماء البارد؛ لأن دمة السرور باردة، ودمة الحزن حارة.
﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي: صالحين لاقتداء المتقين بنا.

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾ وهي كل بناء مرتفع، والمراد: أعلى منازل الجنة.

﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ بصبرهم على أذى المشركين، والمكروهات، وعن الشهوات.

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ يستقبلون في الغرفة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف؛ من (لقي)، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف^(١).

﴿ تَحِيَّةً ﴾ ملكاً، وقيل: بقاء دائماً في الجنة.

﴿ وَسَلَامًا ﴾ سلامة من الآفات.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٢٩٩).

﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ﴿٧٦﴾ .

[٧٦] ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ حال ﴿ حَسَنَتْ ﴾ أي : الغرفة .

﴿ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ موضع قرار وإقامة .

﴿ قُلْ مَا يَعْבוُّكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ
لِزَامًا ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿ قُلْ مَا يَعْبوُّكُمْ رَبِّي ﴾ ما يبالي بمغفرتكم .

﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ معه آلهة ، وقيل : معناه : ليس يثقل عليه عذابكم لولا
دعائكم إياه بالتوحيد والطاعة .

﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ يا أهل مكة بما أخبرتكم به ؛ حيث خالفتموه .

﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ ﴾ أي : العذاب ﴿ لِزَامًا ﴾ أي : لازماً يحيط بكم
لا محالة ، وهذا تهديد لهم ، واختلفوا فيه ، فقال قوم منهم عبد الله بن
مسعود وأبي بن كعب : هو يوم بدر ، قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون ،
وقال آخرون : هو عذاب الآخرة ، والله سبحانه أعلم .



مكية في قول الجمهور، وقال مجاهد: فيها مدني قوله: ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية: ١٩٧]، وقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخرها. آيها: مئتان وسبع وعشرون آية، وحروفها: خمسة آلاف وخمسة مئة واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وسبع وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّم﴾.

[١] ﴿طسّم﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الطاء هنا، والنمل، والقصص، وقرأ الباقون: بفتحها، وأظهر أبو جعفر، وحمزة^(١) نون (سين) عند الميم هنا، وفي القصص؛ للتبيين والتمكين، وأدغم الباقون النون في الميم لمجاورتها حروف الفم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله^(٢)، وتقدم الكلام في الخلاف في

(١) «حمزة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

حروف الهجاء أول سورة البقرة، ونُبّه عليه أول سورة مريم .

روي عن ابن عباس قال : «طسم عجزت العلماء عن تفسيرها»^(١) .

وقيل : هو قسم معناه : أقسم بطُولي وسنابي وملكي، وهو اسم من

أسماء الله تعالى .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾^(٢) .

[٢] ﴿ تِلْكَ ﴾ أي : هذه .

﴿ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ يعني : القرآن الظاهر إعجازه وصحته .

﴿ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

[٣] ﴿ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ ﴾ أي : قاتلها غمًا ﴿ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ إن لم

يؤمنوا، وهذا تسلية للنبي ﷺ لما كان فيه من القلق والحرص على إيمانهم،
وخوطب بـ(لعل) على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك
الحال، ومعنى الآية : لا تهتم يا محمد بهم، وبلغ رسالتك، وما عليك من
إيمانهم، فإن ذلك بيد الله، لو شاء لآمنوا .

﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٤) .

[٤] ﴿ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ﴾ دلالة تلجئهم إلى الإيمان .

= (١/ ٢٤٢-٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٣-٣٠٤) .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١)، و«تفسير أبي السعود» (١/ ٢١) .

﴿فَطَلَّتْ﴾ أي: فطلت ﴿أَعْنَقَهُمْ﴾ رقابهم ﴿لَهَا خَضِيعِينَ﴾ يدلون بها، فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله تعالى. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ آيَةً) كاختلافهم فيهما من قوله^(١): (هُؤُلَاءِ آلِهَةٌ) في سورة الأنبياء.

وقوله: ﴿خَضِيعِينَ﴾ ولم يقل: خاضعة، وهي صفة الأعناق؛ لأنه لما وصفت الأعناق بالخضوع، وهي صفة من يعقل، أُجريت مجرى العقلاء، وقيل: المراد بالأعناق: الرؤساء والكبراء، وقيل غير ذلك.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾ في الوحي والتنزيل، وهو القرآن، المعنى: ما يأتيهم من شيء من القرآن.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾ وعن الإيمان به.

﴿مُعْرِضِينَ﴾ إصراراً على ما كانوا عليه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ محمداً ﴿فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا﴾ أخبار.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو وعيد لهم.

(١) «قوله»: زيادة من «ت».

﴿ أَوْلَم يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ أَوْلَم يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ صنف .

﴿ كَرِيمٍ ﴾ حسن نافع من النبات مما يأكل الناس والأنعام .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَآيَةً ﴾ على توحيدتي وكمال قدرتي .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي : سبق علمي فيهم أنهم لا يؤمنون .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ بالانتقام من الكفرة ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ للمؤمنين .

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي : واذكر يا محمد إذ ﴿ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ ﴾ حين رأى

الشجرة والنار ﴿ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموا

بني إسرائيل باستعبادهم وتعذيبهم .

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] يعني : ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ عقاب الله بطاعته .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ .

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ من تكذيبهم إياي .

﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ للعقدة التي به .

﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴾ ليؤازرنني ، ويظاهرنني على تبليغ الرسالة .

﴿ وَهَمَّ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ وَهَمَّ عَلَىٰ ذَنْبٍ ﴾ أي : تبعة ، وهو قتله القبطي ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾

به . قرأ أبو عمرو : (قَالَ رَبِّ) بإدغام اللام في الراء ، وروي عن رويس ، وروح ، وغيرهما ، وجميع رواة يعقوب : إدغام كل ما أدغمه أبو عمرو من حروف المعجم من المثليين والمتقاربين ، وقرأ الباقر : بالإظهار^(١) ، وقرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء ، والباقر : بإسكانها^(٢) ، وقرأ يعقوب : (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ) بنصب

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠٦/٤) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٣٦/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠٧/٤) .

القاف فيهما على معنى: وأن يضيق، وقرأ الباقون: بالرفع فيهما رداً على قوله: (إِنِّي أَخَافُ) وأثبت يعقوب الياء من (١) (يُكَذِّبُونِي) و(يَقْتُلُونِي)، وحذفها الباقون (٢). ولم يطلب موسى هارون توقفاً في امثال الأمر، بل حرصاً على تبليغ الرسالة؛ لاحتمال عوارض تصد عنها.

﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن الخوف ﴿ فَادْهَبَا ﴾ أنت وهارون ﴿ بِأَيْدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ سامعون، فأنصرمك عليه، وذكر (مَعَكُمْ) بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة، أو أراد: معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

﴿ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ﴾ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ﴾ ولم يقل: رسولا رب العالمين؛ لأن موسى كان الأصل، وهارون تابعه.

﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ إلى الشام، ولا تستعدهم.

(١) في «ش»: «في».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦-٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٠٧).

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] وكان فرعون استعبدهم أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ست مئة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر، وهارونُ بها، فأخبره بذلك، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقا الباب، ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون، فقال^(١): إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فتركه حتى أصبح، ثم دعاهما فدخلا عليه، وأديا رسالة الله عز وجل، فعرف فرعون موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فثم قال له: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ صبياً صغيراً.

﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ وهي ثلاثون سنة^(٢). قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف^(٣): (لَبِثْتَ) بإدغام الثاء في التاء، وكذلك (لَبِثْتُمْ) كيف جاء، وأظهرها الباقون^(٤).

﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾ يعني: قتل القبطي .
﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي .

(١) في «ش»: «وقال» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٥٤-٣٥٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/٩٤) .

(٣) «خلف» ساقطة من «ت» .

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدديماطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٠٨) دون ذكر خلف .

﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ فَعَلْنَاهَا إِذَا ﴾ أي : فعلت ما فعلت حينئذ .

﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴾ أي : المخطئين ؛ لأنه لم يتعمد قتله .

﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ إلى مدين .

﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ أي : نبوة .

﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ درجة ثانية للنبوة ، فرب نبي ليس برسول ، وتقدم الكلام على ذلك في سورة الحج .

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] ثم حازه - عليه السلام - في منة عليه بالتربية وترك القتل ، فقال :

﴿ وَتِلْكَ ﴾ أي : التربية .

﴿ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ يريد : كيف تمنُّ عليَّ بالتربية ، وقد

استعبدت قومي ؟ فتعييدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أيُّ شيء الذي تزعم أنك رسوله ؟

﴿ قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿ قَالَ ﴾ موسى :

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ أنه خالقهما، فأمنوا .

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٥) .

[٢٥] فتحير فرعون في جوابه ، فثم ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾ من أشرف قومه ،

وكانوا خمس مئة رجل ؛ استبعاداً لقول موسى :

﴿ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ جوابه ، سألته عن حقيقته ، وهو يذكر أفعاله .

﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى زيادة في البيان :

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فعلم فرعون أنه محجوج ، فنسبه إلى

الجنون .

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ يتكلم بكلام لا نعقله ،

ولا نعرف صحته ، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل .

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢٨) .

[٢٨] فزاد موسى في البيان: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من النيرات والموجودات .

﴿ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بما أقول ، فتعرفون ربكم .

﴿ قَالَ لَيْنٍ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] فلما لزمتم فرعونَ الحجَّةُ ، وانقطع عن الجواب ﴿ قَالَ ﴾ تكبراً عن الحق :

﴿ لَيْنٍ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع ، وهكذا دَيْدُنُ المعاند المحجوج . قرأ أبو عمرو : (قَالَ لَيْنٍ) بإدغام اللام في اللام ، وقرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، ورويس عن يعقوب : (اتَّخَذَتْ) بإظهار الذال عند التاء ، والباقون : بالإدغام^(١) .

﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٠) .

[٣٠] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ أَوْلَوْ جِئْتُكَ ﴾ الواو للحال دخلت عليها همزة الإنكار ؛ أي : أتفعل ذلك ولو جئتك ﴿ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان واضح يبين صدق دعواي .

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٣٠٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٥-١٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٩) .

﴿ قَالَ فَاتِّبِهْ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ فَاتِّبِهْ ﴾ فإنا لا نسجناك حيثنذ .

﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ في أن لك بينة .

﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ حية عظيمة ، روي أنها

ارتفعت قدر ميل ، ثم انحطت إلى فرعون وهي تقول : مرني يا موسى بما شئت ، وفرعون يقول : بالذي أرسلك إلا أخذتها فعدت عصا^(١) .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴾ (٣٣) .

[٣٣] فقال فرعون : هل غيرها؟ قال : نعم ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا

هِيَ بَيْضَاءُ ﴾ ذات نور ﴿ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴾ لها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق .

﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ فائق في علم

السحر .

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/١٥) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٧٥٩) ، عن السدي .

﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أغراهم به في قوله: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ﴾ ثم استشارهم في أمره .

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [٣٦].

[٣٦] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني: الملاء: ﴿ أَرْجِهْ ﴾ آخره ﴿ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى: اترك التعرض له بالقتل. قرأ ابن كثير، وهشام عن ابن عامر: (أَرْجَيْتُهُ) بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وابن ذكوان عن ابن عامر: بالهمز، ويكسر الهاء ولا يصلها بياء، وأبو عمرو، ويعقوب: بالهمز والضم من غير صلة، والباقون: بغير همز، ثم نافع برواية ورش، والكسائي، وخلف: يشبعون الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، وتقدم ذكر ذلك في حرف الأعراف [الآية: ١١١].

﴿ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾ هي مدائن الصعيد من نواحي مصر.

﴿ حَاشِرِينَ ﴾ جماعة يحشرون الناس؛ أي: يجمعونهم، وهم الشُّرَطُ.

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [٣٧].

[٣٧] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ يفضلون عليه في هذا الفن. واتفق القراء على هذا الحرف أنه (سَحَّار) على وزن فعَّال بتشديد الحاء وألف بعدها؛ لأنه جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾، فأجابوه بما هو أبلغ من قوله؛ رعاية

لمراده؛ بخلاف التي في الأعراف؛ فإن ذلك جواب لقولهم، فتناسب اللفظان، وأما التي في يونس، فهي أيضاً جواب من فرعون لهم؛ حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ٧٦] فرفع مقامه على المبالغة، والله أعلم. قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (سَحَار) بالإمالة أيضاً^(١)، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة^(٢): الإمالة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح^(٣).

﴿فَجَمْعُ السَّحَرَةِ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿فَجَمْعُ السَّحَرَةِ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزينة، وهو عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، قال ابن عباس: «وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز»^(٤).

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ حث للناس على الاجتماع.

(١) «أيضاً» ساقطة من «ت».

(٢) «حمزة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٠).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٥٧).

﴿ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿ لَعَلْنَا ﴾ لكي ﴿ نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ لموسى .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُّكَ إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٤١).

[٤١] ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُّكَ ﴾ أي : تجعل لنا جعلاً .

﴿ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ لموسى . قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ورويس عن يعقوب : (أَيْنَ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين بين ؛ أي : بين الهمزة والياء ، وفصل بين الهمزتين بألف : أبو عمرو ، وأبو جعفر ، وقالون ، واختلف عن هشام ، وقرأ الكوفيون ، وابن عامر ، وروح عن يعقوب : بتحقيق الهمزتين^(١) .

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ وعدهم فرعون بالإحسان إليهم بشرط غلبة موسى . قرأ الكسائي : (نَعِمٌ) بكسر العين ، والباقون : بنصبها^(٢) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٠) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٣١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٠-٣١١) .
(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١١٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١١) .

﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ أي : بعدما قالوا له : ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥] .

﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا ﴾ حالين .

﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية ، قال ﷺ : « لا تحلفوا بأبائكم وأمهاتكم ، ولا بالطواغيت ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون »^(١) .

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ تتبع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يزورون ويخيلون أن حبالهم وعصيهم حيات . قرأ حفص عن عاصم : (تَلْقَفُ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف ، وقرأ الباقون : بفتح اللام مع تشديد القاف ، وقرأ البزي : بتشديد التاء وصلًا ؛ كأنه أراد : تتلقفُ ، فأدغم^(٢) .

(١) رواه أبو داود (٣٢٤٨) ، كتاب : الأيمان والندور ، باب : في كراهية الحلف بالآباء ، والنسائي (٣٧٦٩) ، كتاب : الأيمان والندور ، باب : الحلف بالأمهات ، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٥٧) ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لكن بلفظ : «بالأنداد» بدل «الطواغيت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢) ، =

﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾ وإنما يدل الخورر بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم، فكانهم أخذوا فطرحوا على وجوههم .

﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ قال عكرمة: أصبحوا سحرة، وأمساوا شهداء^(١)، فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله .

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيرها، واختلاف القراءة في الهمزتين في سورة طه .

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١١/٤) .

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٥١٣) .

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾^(٥٠) .

[٥٠] ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ أي: لا ضرر علينا بما تصنع بنا. قرأ حمزة: (لاَ ضَيْرَ) بالمد؛ بحيث لا يبلغ الإشباع^(١) ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ فيثبنا.

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥١) .

[٥١] ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا ﴾ أي: لأن كنا. ﴿ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في زماننا.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾^(٥٢) .

[٥٢] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (أَنْ أَسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أَنْ) للساكنين وصلأً؛ من سرى^(٢) يسري^(٣)، وبيتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمز؛ لبيان الهمز وتحقيقه^(٤) ﴿ بِعِبَادِي ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (بِعِبَادِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٥).

(١) سلف كلام المصنف في اختلاف القراء عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «سري».

(٣) «يسري» ساقطة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٢).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، =

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه؛ ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر، فسر بهم، حتى إذا اتبعكم مصبحين، كان لكم تقدم عليهم؛ بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم البحر، بل يكونون على إثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم، فأغرقهم.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم.

﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي: جامعين الناس.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

[٥٤] وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ أي: طائفة.

﴿قَلِيلُونَ﴾ ومنه: ثوب شراذم؛ أي: بال منقطع، وكانت الشرذمة ست مئة وسبعين ألفاً، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾ مغضبون، والغيط: أشد الغضب، وهو

الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه.

= والنشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٣).

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن ذكوان عن ابن عامر: (حَادِرُونَ) بألف بعد الحاء؛ أي: تأمُّو الأسلحة، وقرأ الباقون: بحذف الألف؛ أي: متيقظون^(١).

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ وَعَيْونِ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ ﴾ بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل .
﴿ وَعَيْونِ ﴾ من الماء . قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر^(٢)، وابن ذكوان: (وَعَيْونِ) بكسر العين حيث وقع، والباقون: بضمها^(٣).

﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ وهي أموالهم الظاهرة من الذهب والفضة، سميت كنوزاً؛ لأنها لم يُعط منها حقُّ الله تعالى .
﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: المنازل الحسنة والمجالس البهية .

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٣) .
- (٢) «وأبو بكر» زيادة من «ت» .
- (٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢-٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٤) .

﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كما وصفنا ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾ بهلاكهم .

﴿ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وذلك أن الله تعالى ردهم إلى مصر بعد غرق فرعون وقومه ، وخولهم في أموالهم ومساكنهم .

﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ ﴾ أي : لحقوهم القبط .

﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ عند شروق الشمس وإضاءتها .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ ﴾ أي : رأى كل الآخر . قرأ حمزة ، وخلف : (تَرَأَى) بإمالة فتحة الراء حالة الوصل ، وأما إذا وقفا ، أمالا الراء والهمزة جميعاً ، ومعهما الكسائي في الهمزة فقط ، وأما ورش : على أصله فيهما بين بين ؛ بخلاف عنه^(١) .

﴿ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ سيدركنا قوم فرعون ، ولا طاقة لنا بهم .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦-١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٤-٣١٥).

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ثقةً بوعد الله إياه: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ طريق النجاة. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء^(١)، وقرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء^(٢).

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ ولما وصل موسى إلى البحر، جاء بموج كالجبال، فقال يوشع: يا مكلم الله! أين أمرت؟ فقال: ها هنا، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شذقيه، ثم أقحمه اللج، فارتسب في البحر، وأراد بقيتهم أن يفعلوا مثله فلم يقدرُوا^(٣) ﴿ فَانْفَلَقَ ﴾ ماء البحر بعد أن ضربه، فانشق اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً. ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ أي: كل جزء من البحر ﴿ كَالطَّوْدِ ﴾ أي: الجبل.

﴿ الْعَظِيمِ ﴾ وهو بحر القلزم، وتقدم ذكره ومحلّه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، وروي^(٤) أن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١٦/٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٣٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١٦/٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣٥٧/٣).

(٤) في «ت»: «روي».

موسى عليه السلام قال عند ذلك : يا من كان قبل كل شيء ، والمكون لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء^(١) .

﴿ وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴾^[٦٤] .

[٦٤] ﴿ وَأَزَلَفْنَا ﴾ قَرَبْنَا ﴿ ثَمَّ ﴾ حيث انفلق البحر .

﴿ الْآخِرِينَ ﴾ هم القبط ، جمعناهم في البحر حتى غرقوا .

﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾^[٦٥] .

[٦٥] ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ من الغرق .

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾^[٦٦] .

[٦٦] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ يعني : فرعون وقومه .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^[٦٧] .

[٦٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي : إهلاك القبط ﴿ لَآيَةً ﴾ عبرة للمعتبرين .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي : المصريين ﴿ مُؤْمِنِينَ ﴾ قالوا : لم يكن فيهم

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٧٧١) ، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام .

مؤمن إلا آسية امرأة فرعون، وحزبيل المؤمن، ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦٨).

[٦٨] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه من أعدائه.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين حين أنجاهم.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٦٩).

[٦٩] ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ على مشركي العرب.

﴿ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية^(١).

﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٧٠).

[٧٠] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَكْفِينَ ﴾ (٧١).

[٧١] ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ والصنم: ما كان على صورة ابن آدم من حجر

أو غيره.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١٧/٤).

﴿ فَظَلُّ لَهَا عَنكِفِينَ ﴾ أي: نقيم على عبادتها، ويظل: عرفها: فعلُ الشيء نهاراً، وبات: عرفها في فعله ليلاً، وطفق: غاية للوجهين، ولكن قد تجيء يظل بمعنى العموم، وهذا الموضع من ذلك، والعكوف: اللزوم، ومنه: المعتكف.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ (٧٢).

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم.

﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ أي: يسمعون دعاءكم ﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾.

﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (٧٣).

[٧٣] ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ﴾ إن عبدتموهم ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ إن تركتم عبادتهم.

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٤).

[٧٤] فلما عجزوا عن الجواب ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقلدناهم.

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴾ .

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي: أصدانكم ﴿ عَدُوٌّ لِي ﴾ أي: أعداء، ووحدته على معنى: أن كل معبود لكم عدو لي، وقوله: (عَدُوٌّ لِي) دون (لكم) زيادة نصح وتأدب؛ ليكون أعطف لقلوبهم، وأسرع لها إلى إيمانهم.

﴿ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ استثناء منقطع؛ كأنه قال: فإنهم عدو لي، لكن رب العالمين وليي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عَدُوٌّ لِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [٧٨].

[٧٨] ثم وصف معبوده فقال: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى إصلاح الدارين.

﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ [٧٩].

[٧٩] ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ تعديد للنعمة في الرزق.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٨).

﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ رَسُولِي ﴾

[٨٠] ﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ رَسُولِي ﴾ من مرضي، وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله عز وجل، وهذا أحسن الأدب في العبارة، والكل من عند الله؛ كالخضر حين قال في العيب: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الخير: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢].

﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴾

[٨١] ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴾ أدخل (ثم) هنا للتراخي؛ أي: يميتني في الدنيا، ثم يحييني في الآخرة. قرأ يعقوب: (يَهْدِينِي) (يَسْتَقِينِي) (يُشْفِينِي) (يُحْيِينِي) بإثبات الياء في الأربعة في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما^(١).

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

[٨٢] ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي: خطاياي يوم الجزاء، وهي قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هذه أختي، وقوله للكوكب^(٢): ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وعلق المغفرة بيوم الدين، وإن

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٨).

(٢) في «ت»: «للكواكب».

وجدت هنا؛ لأن فائدتها ثمَّ تظهر، وأصل الطمع: نزوع النفس إلى الشيء شهوةً، وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣].

[٨٣] ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ نبوة.

﴿ وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ بأبائي المرسلين.

﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [٨٤].

[٨٤] ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ ثناء حسناً ﴿ فِي الْآخِرِينَ ﴾ في الأمم بعدي،

فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه.

﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [٨٥].

[٨٥] ﴿ وَأَجْعَلْنِي ﴾ وارثاً ﴿ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ في الآخرة، وتقدم معنى

الورثة فيها^(١) في أول سورة المؤمنون.

﴿ وَأَعْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿ وَأَعْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وقال هذا قبل أن يتبين له أنه

(١) «فيها» زيادة من «ت».

عدو لله؛ كما تقدم في سورة التوبة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو:
(لأبي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾^(٨٧).

[٨٧] ﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ يعني: العباد.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾^(٨٨).

[٨٨] وتبدل منه ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ أي: لا ينفعان أحداً.

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾^(٨٩).

[٨٩] ﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن.

﴿ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك.

﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٩٠).

[٩٠] ﴿ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ ﴾ قُرِبْتُ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فنظروا إليها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«تفسير البغوي»
(٣/٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٩).

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [٩١].

[٩١] ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ أظهرت .

﴿ لِلْغَاوِينَ ﴾ الكافرين، فيرونها مكشوفة، ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها .

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [٩٢].

[٩٢] ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ يوم القيامة : ﴿ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ [٩٣].

[٩٣] ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ ﴾ بدفع العذاب عنكم .

﴿ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟

﴿ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [٩٤].

[٩٤] ﴿ فَكَبَّكِبُوا ﴾ ألقوا على رؤوسهم ﴿ فِيهَا ﴾ في النار .

﴿ هُمْ ﴾ أي : الآلهة ﴿ وَالْغَاوُونَ ﴾ الكفار .

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [٩٥].

[٩٥] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾ أتباعه ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ ومن أطاعه من الجن والإنس .

﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٩٦) .

[٩٦] ﴿ قَالُوا ﴾ أي : الداخلون فيها .

﴿ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ يخاصم بعض بعضاً .

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٩٧) .

[٩٧] ويقول العابدون للمعبودين : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٩٨) .

[٩٨] ﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ ﴾ نعدلكم في العبادة ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فنعبدكم .

﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾^(٩٩) .

[٩٩] ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي : رؤسائهم الذين اقتدوا بهم ؛

كإبليس والشياطين وقابيل ؛ لأنه أول من سن القتل ، وعمل بالمعاصي .

﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾^(١٠٠) .

[١٠٠] فثم تشفع الملائكة والأنبياء والمؤمنون في أصدقائهم ، فيقول

المشركون تأسفاً : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ أي : من يشفع لنا ؟

﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾

[١٠١] ﴿ وَلَا صَدِيقٍ ﴾ هو من صدقك مودته ﴿ حَمِيمٍ ﴾ قريب خاص، وحامَّةُ الرجل: خاصته، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة»^(١)، قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن لهم شفاعة يوم القيامة^(٢).

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[١٠٢] فلما أسوا من الشفاعة قالوا: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا.

﴿ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: فنؤمن؛ ليشفع لنا، و(لو) هنا بمعنى ليت.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾

[١٠٣] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم.

﴿ لَآيَةً ﴾ عظة لمن يعتبر بها.

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يعني: قومه ﴿ مُّؤْمِنِينَ ﴾ به.

-
- (١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣/٣٦٤) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، وفيه جهالة، وذكره القرطبي في «في تفسيره» (١٣/١١٨).
- (٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٣٦٤).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [١٠٤].

[١٠٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلب ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بالإمهال .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٠٥].

[١٠٥] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القوم مؤنثة من حيث الـ(قوم): الأمة والجماعة، ولذلك تصغر على قويمه، وجمع (المرسلين)، وإن كانوا واحداً؛ لأن من كذب رسولاً واحداً، فقد كذب جميع المرسلين .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴾ [١٠٦].

[١٠٦] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ في النسب، لا في الدين .

﴿ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴾ الله، فتركوا عبادة غيره؟!

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٠٧].

[١٠٧] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الوحي .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [١٠٨].

[١٠٨] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بطاعته ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ فيما أمركم به من الإيمان .

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ .

[١٠٩] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على الدعاء والنصح .

﴿ مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ ﴾ ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قرأ يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها^(١)، وكذلك في الأحرف السبعة بعد، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(٢)، وكذلك في الأحرف الأربعة بعد.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿١١٠﴾ .

[١١٠] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ كرهه تأكيداً.

﴿ قَالُوا أَنْزَلْنَاكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ .

[١١١] ﴿ قَالُوا ﴾ إنكاراً عليه: ﴿ أَنْزَلْنَاكَ وَأَتَّبَعَكَ ﴾ أي: وقد اتبعك ﴿ الْأَرْدَلُونَ ﴾ جمع الأردل؛ يعني: السفلة، سموا بذلك؛ لاتضاع حرفهم؛ كالحجامة والحياكة، وهذا لا يضر بالديانات، فكأنهم قالوا: إنما آمنوا لحقارتهم. قرأ يعقوب: (وَأَتَّبَاعُكَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة وضم

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣١٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٠).

العين وألف قبلها على الجمع، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف^(١).

﴿ قَالَ وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١١٢]

[١١٢] ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ المراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم، وإطلاعه على سرائرهم.

﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴾ [١١٣]

[١١٣] ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ ﴾ ما جزاؤهم.
﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴾ لما عبدتموهم.

﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١١٤]

[١١٤] ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم عليه.

﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [١١٥]

[١١٥] ﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: وما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا أعماماً أو أذلاء. قرأ قالون عن

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٦٥)، و«المحتسب» لابن جني (٢/١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٠).

نافع، وأبو جعفر: (أنا إلاً) بالمد حيث وقع؛ بخلاف عن الأول^(١).

﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ ﴿١١٦﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَنْوُحْ ﴾ عما تقول .

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ أي : المقتولين .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ ﴿١١٧﴾ .

[١١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (كذَّبُونِي) بإثبات الياء،

والباقون: بحذفها^(٢).

﴿ فَافْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَبِحَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ .

[١١٨] ﴿ فَافْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾ فاحكم بيني وبينهم حكماً .

﴿ وَبِحَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من قصدهم . قرأ ورش، وحفص: (مَعِيَ)

بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٠).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢١).

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ (١١٩) .

[١١٩] ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ أي: المملوء من الناس

والطير والحيوان كلها .

﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴾ (١٢٠) .

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴾ أي: أغرقنا بعد إنجاء نوح وأهله من بقي

من قومه .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢١) .

[١٢١] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٢) .

[١٢٢] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تقدم تفسير نظيرها .

﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٢٣) .

[١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفُونَ ﴾ (١٢٤) .

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ يعني: في النسب، لا في الدين .

﴿ أَلَا نُنْفُونَ ﴾ ؟

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (١٢٥) .

[١٢٥] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الرسالة .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (١٢٦) .

[١٢٦] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢٧) .

[١٢٧] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (١٢٨) .

[١٢٨] ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ هو المكان المرتفع ﴿ آيَةً ﴾ علامة .

﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ بمن مر بكم ؛ لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ؛
ليشرفوا على المارة ، فيسخرون منهم ، ويعبثون بهم .

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ (١٢٩) .

[١٢٩] ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أي : حصوناً ، وقيل : مصانع الماء تحت

الأرض ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي : كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون ، وقال

ابن زيد : (لعل) استفهامٌ بمعنى التوبيخ ؛ أي : فهل تخذلون حتى تبنوها؟

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ .

[١٣٠] ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ ﴾ أخذتم وسطوتم ﴿ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ قتلاً بالسيف، وضرباً بالسوط، والبطش: الأخذ بعنف، والجبار: الذي يضرب ويقتل على الغضب. قرأ ورش عن نافع، والدوري عن الكسائي: (جَبَّارِينَ) بالإمالة؛ بخلاف عن الأول^(١).

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿١٣١﴾ .

[١٣١] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

﴿ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾ .

[١٣٢] ﴿ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون.

﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ .

[١٣٣] ثم ذكر ما أعطاهم فقال: ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ﴾ .

﴿ وَحَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿١٣٤﴾ .

[١٣٤] ﴿ وَحَنَّتِ ﴾ بساتين ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ أنهار.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٢).

﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٣٥).

[١٣٥] ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن عصيتموني ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ (١٣٦).

[١٣٦] ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ سوا بين وعظه وتركه ، والوعظ : كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد .

﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ ﴾ (١٣٧).

[١٣٧] ثم قالوا : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ أي : ما هذا ﴿ إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو عمرو^(١) ، ويعقوب ، والكسائي : بفتح الخاء وإسكان اللام ؛ أي : اختلاق الأولين وكذبهم^(٢) ، وقرأ الباقون : بضم الخاء واللام ؛ أي : عادة الأولين من قبلنا^(٣) .

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت» .

(٢) «وكذبهم» زيادة من «ت» .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٦) ، و«تفسير البغوي» (٣/٣٦٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٢) .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ (١٣٨) .

[١٣٨] وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ على ما نحن عليه .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) .

[١٣٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ بريح صرصر ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٤٠) .

[١٤٠] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تلخيصه: أن هوداً أنذر قومه، ووعظهم، فلم يتعظوا، فأهلكوا .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٤١) .

[١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١٤٢) .

[١٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٤٣﴾ .

[١٤٣] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿١٤٤﴾ .

[١٤٤] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٤٥﴾ .

[١٤٥] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ أَنْتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ ﴿١٤٦﴾ .

[١٤٦] ﴿ أَنْتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ أي : في الدنيا .

﴿ آمِنِينَ ﴾ من الموت والعذاب .

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿١٤٧﴾ .

[١٤٧] ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاهُنَا ﴾ ﴿١٤٨﴾ .

[١٤٨] ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾ عطفها على (جَنَّاتٍ) مع أن الجنة تعم النخل

وغيره؛ تفضيلاً لها ﴿طَلَعَهَا﴾ هو ما يطلع من النخلة في جوفه شماريخ القنو.

﴿هَضِيمٌ﴾ لطيف لين، ويوصف بهضيم ما دام في كُفْرَاه، والكُفْرُ- بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء -: كم النخل؛ لأنه يستر في جوفه.

﴿وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (١٤٩).

[١٤٩] ﴿وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: (فَارِهِينَ) بألف بعد الفاء؛ أي: حاذقين، وقرأ الباقون: بغير ألف؛ أي: بطرين.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٠).

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فإن في طاعتي طاعة الله تعالى.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٥١).

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين.

﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (١٥٢).

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والكفر^(١).

(١) في «ت»: «بالكفر والمعاصي».

﴿ وَلَا يُصَلِّحُونَ ﴾ بطاعة الله فيما أمرهم به .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١٥٣) .

[١٥٣] ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ المسحر: الذي سُحر كثيراً حتى

غلب على عقله .

﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٥٤) .

[١٥٤] ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ تأكل الطعام، وتشرب الشراب، ولست

بملك .

﴿ فَأْتِ بِآيَةٍ ﴾ على صحة ما تقول .

﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أنك رسول الله إلينا .

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ (١٥٥) .

[١٥٥] ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ ﴾ أي: بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه

كما اقترحوها .

﴿ لَهَا شَرِبٌ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴾ فاقترضوا على

شربكم، فكانت تشرب جميع الماء يوماً، ويشربون يوماً^(١). فيه دليل على

جواز قسمة المنافع بالمهياة؛ لأن قوله: ﴿ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ ﴾ من

(١) «ويشربون يوماً» زيادة من «ت» .

المهاياة، واختلفوا في حكم المهاياة، فقال أبو حنيفة: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطالب متعتاً، وقال الثلاثة: هي جائزة بالتراضي، ولا إجبار فيها.

﴿ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١٥٦].

[١٥٦] ﴿ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ ﴾ كضرب وعقر.

﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه.

﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾ [١٥٧].

[١٥٧] روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فاستؤذن صغارهم وكبارهم، فرضوا^(١) ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر إلى كلهم؛ لأنهم رضوا بذلك، فأخذوا جميعاً ﴿ فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴾ على عقرها؛ خوفاً من نزول العذاب، لا ندم توبة.

﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٥٨].

[١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ الموعود ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٢٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥١٥)، عن قتادة. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/٤٩٢).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

[١٦٤] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴾ ﴿١٦٥﴾ .

[١٦٥] ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴾ من جميع الناس، عبر عن الفاحشة بالإتيان؛ كما عبر به عن الحلال في قوله: ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، المعنى: أتطؤون الذكور من الناس، مع كثرة إنائهم؟!

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ .

[١٦٦] ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ وتتركون ﴿ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ لأجل استمتاعكم .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام .

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ نَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ ﴿١٦٧﴾ .

[١٦٧] ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ نَنْتَهِ يَلُوطُ ﴾ عن إنكارك علينا .

﴿ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ من قريتنا .

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ ﴿١٦٨﴾ .

[١٦٨] ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ المبغضين .

﴿ رَبِّ بِنِّحْيِ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٦٩].

[١٦٩] ثم دعا فقال: ﴿ رَبِّ بِنِّحْيِ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ من العمل الخبيث؛
أي: من شؤمه وعذابه.

﴿ فَجَنِّتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٧٠].

[١٧٠] ﴿ فَجَنِّتَهُ ﴾ فعصمناه ﴿ وَأَهْلَهُ ﴾ من العذاب ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِرِينَ ﴾ [١٧١].

[١٧١] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ هي امرأته ﴿ فِي الْغَائِرِينَ ﴾ الباقيين في العذاب،
تقديره: إلا عجوزاً مقدراً غبورها أهلكتها؛ لأنها كانت معينة على
الفاحشة، راضية بها، والاستثناء من الأهل؛ لأن الزوجة منهم.

﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ [١٧٢].

[١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ أي: أهلكتناهم.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [١٧٣].

[١٧٣] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ على شذاذهم ومسافريهم ﴿ مَطَرًا ﴾ حجارة.

﴿ فَسَاءَ ﴾ أي: ففبح ﴿ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ مطرهم.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٣)

[١٧٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٧٥)

[١٧٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧٦)

[١٧٦] ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن

كثير، وابن عامر: (لَيْكَةَ) بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها، ولا همزة بعدها، وبفتح تاء التانيث في الوصل مثل طلحة، وكذلك رسم في جميع المصاحف، وقرأ الباقون: بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التانيث، وحمزة: على أصله يقف على الساكن قبل الهمز، وورش: ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحمزة: له النقل إذا وقف بخلاف عنه؛ فد(أَيْكَةَ) اسم نكرة لشجر كثير ملتف، ثم دخله التعريف، و(لَيْكَةَ) أيضاً غير مصروف؛ لتعريفه وتأيينه: اسم علم لبلد، أو شجر^(١)، وتقدم ذكر الأيكة ومحلها في سورة الأعراف، فمن قرأ: (الْأَيْكَةَ) أراد: الشجر، ومن قرأ: (لَيْكَةَ) أراد: البلد كما تقول فيمن صرف ثمود

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٤).

أراد: الأب، ومن لم يصرفه أراد: القبيلة، وكذلك اختلافهم في سورة (ص)، وأجمعوا على الألف واللام وجر التاء في (الحجر)، و(ق) لإجماع المصاحف على ذلك.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُنْقُونَ ﴾ [١٧٧].

[١٧٧] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُنْقُونَ ﴾ وإنما لم يقل في شعيب: أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، وإنما أرسل إليهم بعد مدين، وكان من أصحاب مدين، فلما ذكر مدين، قال: أخاهم شعيباً في سورتى الأعراف، وهود، وفي الحديث: «إن شعيباً أخوا مدين أرسل إلى أصحاب مدين، وإلى أصحاب الأيكة»^(١).

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٧٨].

[١٧٨] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [١٧٩].

[١٧٩] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٨/١٤)، عن قتادة من قوله.

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ .

[١٨٠] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وإنما كانت دعوة الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة؛ لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة .

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ ﴿١٨١﴾ .

[١٨١] وكان أصحاب الأيكة يطففون، فقال: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ أتموه .
﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ الناقصين لحقوق الناس .

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ ﴿١٨٢﴾ .

[١٨٢] ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ بميزان العدل . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (بِالْقِسْطِ) بكسر القاف، والباقون: بضمها^(١) .

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ .

[١٨٣] ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٥) .

﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل وقطع الطريق .

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴾ (١٨٤) .

[١٨٤] ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴾ يعني : الأمم المتقدمين ،

والجبلة : الخلق ، يقال : جُبِلَ ؛ أي : خُلِقَ .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١٨٥) .

[١٨٥] ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ .

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١٨٦) .

[١٨٦] ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ تقدم تفسير نظيره ، وأنوا بالواو ؛

للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة ؛ مبالغة في تكذيبه .

﴿ وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ في دعواك .

﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٨٧) .

[١٨٧] ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ قرأ

حفص عن عاصم : (كِسْفًا) بفتح السين ؛ أي : قطعاً ، وقرأ الباقون :

بالإسكان ؛ أي : قطعة^(١) ، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ)

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٨٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٦) ،

و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٦) .

كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٨).

[١٨٨] ﴿ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فهو مجازيكم بأعمالكم . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٨٩).

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ هو أنه أصابهم حر شديد، وكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشد حراً، فخرجوا، فجاءتهم سحابة، فدخلوا تحتها يستظلون، فأمرت عليهم ناراً، فاحترقوا ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٠).

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٦).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٩١).

[١٩١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة؛ تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً للمكذابين به، وكرر في هذه القصة ما كرهه في غيرها تقريراً لمعانيها في الصدور؛ ليكون أبلغ في الوعظ والزجر.

﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٩٢).

[١٩٢] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: القرآن المنزل ﴿ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (١٩٣).

[١٩٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ هو جبريل - عليه السلام -؛ لأنه أمين على الوحي. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (نَزَلَ) بتشديد الزاي ونصب (الرُّوحَ الْأَمِينِ) مفعولاً، الفاعل الله تعالى؛ أي: نزل الله به جبريل - عليه السلام -؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقرأ الباقون: بالتخفيف، ورفعهما الفاعل (الرُّوحُ الْأَمِينُ)^(١).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٧).

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (١٩٤).

[١٩٤] ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ يا محمد حتى وعيته .

﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ المخوفين .

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١٩٥) .

[١٩٥] ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ قال ابن عباس: «بلسان قريش؛ ليفهموا

ما فيه»^(١)، المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين .

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٩٦) .

[١٩٦] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: ذكر إنزال^(٢) القرآن .

﴿ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ لمثبت في كتب الأنبياء قبلك .

﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٩٧) .

[١٩٧] ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ على صحة القرآن،

ونبوة محمد ﷺ ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قرأ ابن عامر: (تَكُنُّ) بالتاء

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٧٢) .

(٢) «إنزال» زيادة من «ت» .

على التأنيث (آيَةٌ) بالرفع، جعل الآية اسماً، وخبره (أَنْ يَعْلَمَهُ)، وقرأ الباقون: (يَكُنُّ) بالتذكير (آيَةٌ) بالنصب، جعلوا الآية خبر (يَكُنُّ) (١)، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علماء بني إسرائيل آية؛ أي: علامة على نبوة محمد ﷺ؛ لأنهم كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، وهم: بنيامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد، وكان إخبارهم آية على صدقه، قال ابن عباس: «بعث أهل مكة إلى اليهود، وهم بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا الزمان زمانه، وإننا نجد في التوراة نعتَه وصفته» (٢).

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ (١٩٨)

[١٩٨] ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ ﴾ يعني: القرآن ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح، ولا يحسن العربية، وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: المنسوب للعجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٩)

[١٩٩] ﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بغير لغة العرب ﴿ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾.

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٨).
- (٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٣٥٧).

﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٢٠٠]

[٢٠٠] وقالوا: ما نفقه قولك ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا ﴾ أي: أدخلنا الشك والشرك ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [٢٠١]

[٢٠١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ عند الموت .

﴿ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢٠٢]

[٢٠٢] ﴿ فَيَأْتِيهِمْ ﴾ فيأخذهم ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة .
﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ به في الدنيا .

﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ [٢٠٣]

[٢٠٣] ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ مؤخرون؛ لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة .

﴿ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [٢٠٤]

[٢٠٤] ولما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب، ومتى هذا العذاب؟! فنزل قوله تعالى: ﴿ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

فيقولون: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢].

﴿أَفْرَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢٠٥).

[٢٠٥] ثم خاطبَ النبي ﷺ؛ لإقامة الحجة عليهم في أن مدة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها، ووقوع النقمة، وذلك في قوله: ﴿أَفْرَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ كثيرة في الدنيا؛ يعني: كفار مكة، ولم نهلكهم. تقدم اختلاف القراء في (أَرَأَيْتَ) في سورة الفرقان عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هُونَهُ﴾ [الآية: ٤٣].

﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٢٠٦).

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني: العذاب.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ (٢٠٧).

[٢٠٧] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاوُلُ بنعيم الدنيا في دفع العذاب عنهم.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنذِرُونَ﴾ (٢٠٨).

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنذِرُونَ﴾ رسل ينذرونهم.

﴿ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٢٠٩) .

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرِي ﴾ محلها نصب؛ أي: يندرونهم تذكراً، وقيل: رفع؛ أي: تلك ذكري ﴿ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ في تعذيبهم؛ حيث قدمنا الحجة عليهم، وأعدنا إليهم.

﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٢١٠) .

[٢١٠] ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ الشَّيَاطِينُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فنزلت الآية.

﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴾ (٢١١) .

[٢١١] ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ أن يتنزلوا بالقرآن ﴿ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴾ ذلك .

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُونَ ﴾ (٢١٢) .

[٢١٢] ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ ﴾ أي: عن استراقه من السماء.

﴿ لَمَعْزُونَ ﴾ أي: محجوبون بالشهب مرجومون.

﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٢١٣) .

[٢١٣] ﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ قال ابن عباس:

«يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلهاً غيري، لعذبتك»^(١).

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٢١٤).

[٢١٤] ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فجمع ﷺ قومه، وقال: «إني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»^(٢).

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢١٥).

[٢١٥] ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أَلِنْ جَانِبَكَ، وتواضع. ﴿ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من عشيرتك وغيرهم؛ فإن الفاسق والمنافق لا يُخفَضُ له الجناح.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢١٦).

[٢١٦] ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي: خالفوك. ﴿ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، ومسلم (٢٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧).

[٢١٧] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ليكيفيك كيد الأعداء . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَتَوَكَّلْ) بالفاء عطفاً على (فَقُلْ)، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقر: بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم^(١).

﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٢١٨).

[٢١٨] ﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ للتهجد.

﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ (٢١٩).

[٢١٩] ﴿ وَتَقَلَّبَكَ ﴾ أي: ويرى تقلبك ﴿ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ أي: تصفح أحوال المتهجدين من أصحابك، وعن ابن عباس قال: «من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً»^(٢).

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٠).

[٢٢٠] ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لما تقوله ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما تنويه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٣٠).
(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٢٤).

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢١] ولما قال المشركون: إن الشيطان يلقي السمع^(١) على محمد،
نزل جواب قولهم: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾؟

﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ ﴿٢٢٢﴾ .

[٢٢٢] ثم بين فقال: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ أي: تنزل ﴿ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب .
﴿ أَثِيمٍ ﴾ مبالغة من آثم، وهم الكهنة الذين كانت تسرق الجن السمع
فتلقيه إليهم . قرأ البزي: (تَنَزَّلُ) بتشديد التاء في الحرفين حالة الوصل^(٢) .

﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ ﴿٢٢٣﴾ .

[٢٢٣] ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾ أي: يلقون إلى الكهنة ما يسمعون من الملائكة
عند استراق السمع ﴿ وَأَكْثُرُهُمْ ﴾ أي: الكهنة .
﴿ كَاذِبُونَ ﴾ لأنهم كانوا يخلطون مع ما يستمعون^(٣) كذباً كثيراً . جاء
في الحديث: «الكلمة يخطفها الجني، فيقرؤها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر
من مئة كذبة»^(٤) .

(١) «السمع» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٢-٢٣٤)، و«الغيث»
للصفاقي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٣٠) .

(٣) في «ش»: «يسمعون» .

(٤) رواه البخاري (٥٤٢٩)، كتاب: الطب، باب: الكهانة، ومسلم (٢٢٢٨)، كتاب: =

فإذا صدقت تلك الكلمة، كانت سبب ضلال من سمعها، وقال:
(أَكْثَرُهُمْ)؛ لأن من الأفاك من قد يصدق.

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤).

[٢٢٤] ونزل في جماعة من الكفار كانوا يقولون الشعر، ويقولون:
نحن نقول كما يقول محمد، واتبعهم غواة على ذلك ﴿ وَالشُّعْرَاءُ ﴾ مبتدأ،
خبره:

﴿ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ السفهاء الذين يروون هجاء المسلمين. قرأ نافع:
(يَتَّبِعُهُمْ) بفتح الباء مخففاً، والباقون: بكسر الباء مشدداً^(١).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (٢٢٥).

[٢٢٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ تمثيل لذهابهم في كل فن من القول.
روي عن يعقوب وقتيل: الوقفُ بالياء على (وادي).
﴿ يَهِيمُونَ ﴾ يذهبون على غير قصد، كما يذهب الهائم على وجهه.

= السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، عن عائشة - رضي الله عنها - .
(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)،
و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣١).

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٢٢٦﴾ .

[٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ : فعلنا ﴿ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعَهُمُ اللَّهُ لِيُنصِبَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢٢٧﴾ .

[٢٢٧] ولما نزلت هذه الآية، جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، ومن كان ينافح عن النبي ﷺ، وكان غالب شعرهم توحيداً وذكرًا، فقالوا: يا رسول الله! قد نزل هذا، والله يعلم أنا شعراء، فقال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَإِنَّ الَّذِي تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ»^(١)، ونزل: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ استثناء لشعراء الإسلام ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى .

﴿ وَأَنصَرُوا ﴾ أي: بالرد على المشركين ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ أي: هُجُوا؛ لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء، قال ﷺ لحسان: «اهجُ المشركين؛ فإن جبريلَ معك»^(٢)، ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى:

﴿ وَسِعَعَهُمُ اللَّهُ لِيُنصِبَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي مرجع يرجعون

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٧/٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٥٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٨٦)، وغيرهم عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - .

(٢) رواه البخاري (٣٠٤١)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (٢٤٨٦)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت - رضي الله عنه -، عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - .

إليه بعد مماتهم، قال ابن عباس: «إلى جهنم والسعير»^(١)، و(أَيَّ) نعت
لمصدر محذوف نُصِبَ بـ: (ينقلبون)، لا بـ(يعلم)؛ لأنها استفهام،
تقديره: ينقلبون انقلاباً أَيَّ منقلب، والله أعلم.

* * *



(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٨١).



مكية، وآيها: ثلاث وتسعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وتسعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ .

[١] ﴿ طَسَّ ﴾ تقدم الكلام^(١) عليه، ومذاهب القراء فيه أول سورة الشعراء، وهو اسم من أسماء الله تعالى، قاله ابن عباس^(٢)، قيل: معناه هنا: لطيف وسميع.

﴿ تِلْكَ ﴾ أي: هذه الآيات المذكورات ﴿ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ؛ لأنه خط فيه ما هو كائن، فهو يبينه للناظرين. قرأ ابن كثير: «القرآن» و«قُرْآن» و«قُرْآنًا» حيث وقع: بالنقل، والباقون: بالهمز^(٣).

(١) في «ت»: «القول».

(٢) تقدم ذكره عنه، وتخريجه.

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٥).

﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٢] ﴿ هُدًى ﴾ أي: هو هدى من الضلالة .

﴿ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ للمصدقين به .

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

[٣] ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ قرأ ورش : (الصَّلَاة) بتغليظ اللام .

﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ المعنى : المؤمنون الموصوفون

بهذه الصفات يوقنون بالبعث .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

[٤] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ بخلق الشهوة فيهم ،

فاعتقدوا أعمالهم القبيحة حسنة ؛ لشهوتهم إياها ، لا أنا حَسَنًا لهم الفواحش ، وأمرناهم بها . قرأ أبو عمرو : (بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا) بإدغام التاء في الزاي^(١) .

﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون بتحير .

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٣٥) .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ في الدنيا؛ بالقتل والأسر .

﴿ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ ﴾ أشد الناس خسراناً؛ لفوت المثوبة،

واستحقاق العقوبة .

﴿ وَإِنَّكَ لَنُلْقِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿ وَإِنَّكَ لَنُلْقِي الْقُرْآنَ ﴾ لتؤتاه .

﴿ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي : وحيّاً من عند الله ذي الحكمة، وهذه الآية رد

على كفار قريش في قولهم : إن القرآن من تلقاء محمد بن عبد الله .

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنيْ ءَأَنْتُمْ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ثم قص تعالى خبر موسى عليه السلام، والتقدير : اذكر ﴿ إِذْ قَالَ

مُوسَى لِأَهْلِهِ ﴾ في مسيره من مدين إلى مصر :

﴿ إِنيْ ءَأَنْتُمْ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أخبركم به عن حال

الطريق؛ لأنه كان قد ضل عنها . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

وأبو عمرو : (إني) بفتح الياء، والباقون : بإسكانها^(١) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٨٨-٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر»

لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٦) .

﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ﴾ هي الشعلة المضيئة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (بِشِهَابٍ) بالتنوين، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الباقون: بغير تنوين على الإضافة^(١).

﴿قَبَسٍ﴾ هو العود الذي في أحد طرفيه نار، قال في (طه): ﴿فَلَمَّا قَضَى﴾ [الآية: ١٠] ترجياً، وهنا (سَاتِيكُمْ) إخباراً؛ لأن الراجي إذا قوي ترجيه، ربما حكم بوقوع الفعل، المعنى: أن موسى قال لزوجته لما ضربها الطلق، ورأى النار: اثبتوا مكانكم، سآتیکم بجزء منها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: بورك على من في طلب النار، وهو موسى عليه السلام ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهم الملائكة، والمراد بالنار: النور؛ لأن موسى حسبه ناراً، وهذا تحية من الله - عز وجل - لموسى - عليه السلام - بالبركة؛ كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، ثم نزه تعالى نفسه فقال:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٣٦).

﴿ وَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ من تمام ما نودي به؛ لثلاثا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر.

﴿ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

[٩] ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال: ﴿ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ ﴾ والهاء في (إِنَّهُ) ضمير الشأن، والشأن ﴿ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ صفتان لله تعالى، وروي أن موسى لما سمع الخطاب، فلم ير أحداً، قال: من الذي يكلمني؟ فقيل: ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ﴾ (١).

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾.

[١٠] ثم أرى موسى آية على قدرته تعالى ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ عطف على ﴿ بُورِكَ ﴾ أي: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك. ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك باضطراب. وتقدم اختلاف القراء في (رَأَاهَا) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الآية: ٣٦]. ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ حية صغيرة. ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ وهرب من الخوف. ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع بعد هربه.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠٥/١) وأبو نعيم عن أنس مطولاً، كما في «الدر المنثور». (٥٣٩/٣).

فقال الله تعالى: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ﴾ أي: من أمنتته لا ينبغي أن يخاف من حية.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١).

[١١] ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم من المرسلين بذنب صدر منه؛ كآدم ويونس وداود وموسى (١) ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ﴾ توبة بعد ذنب.

﴿فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أغفر له، وأزيل الخوف عنه.

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تَسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢).

[١٢] ثم أراه الله تعالى آية أخرى، فقال: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: قميصك؛ لأنه يُجاب؛ أي يقطع، والجيب: الفتح في الثوب لرأس

(١) وعن الفراء أن الاستثناء هنا متصل، لكل من جملة محذوفة، تقديره: وإنما يخاف غيرهم إلا من ظلم. وردّه النحاس. وقدره الزمخشري بـ: «لكن» وهي علامة على أنه منقطع. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٥٥/٧). وقد ذكر الطبري رحمه الله في «تفسيره» (٤٣٢/١٩) أقوال النحويين واختلافهم، وذكر من جملة ذلك: في هذه الآية وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهذا يخاف ويرجو. والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة؛ لأن المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على من سواهم.

الإنسان، وكانت عليه مدرعة من صوف لا كُمَّ لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه، وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله تعالى:

﴿ تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ ﴾ حال ﴿ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ آفة برص .

﴿ فِي تِسْعٍ ﴾ أي: آية في تسع ﴿ آيَاتٍ ﴾ و(إلى) متعلق بمحذوف؛ أي: مرسلًا إلى فرعون في تسع آيات، وهي: اليد، والعصا، والفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، أنت مرسل بهن ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِتْمَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ تعليل للإرسال .

﴿ فَمَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ فَمَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ حال يُبصر بها، ونسب البصر إليها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأملها ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر .

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ أنكروا الآيات، ولم يقرروا أنها من عند الله .
﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا ﴾ أي: وقد استيقنتها ﴿ أَنفُسُهُمْ ﴾ واستيقن أبلغ من أيقن، المعنى: لما جاءتهم آياتنا واضحات، واستيقنوا صدقها، جحدوا بها ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ شركاً وتكبراً .

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وسوء منقلبهم حين كذبوا موسى، وفي هذا تمثيل لكفار قريش؛ إذ كانوا مفسدين مستعلين .

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥) .

[١٥] ثم ابتدأ بقصص فيه غيوب وعبر، وليس بمثال لقريش، فقال:
﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ أي: علم القضاء، ومنطق الطير والدواب،
وتسييح الجبال.

﴿ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا ﴾ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين
﴿ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني: من لم يؤت علماً.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦) .

[١٦] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ في النبوة والملك دون سائر أولاده، وكانوا
تسعة عشر. قرأ أبو عمرو: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ) بإدغام الشاء في السين^(١)،
(ورث) بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً، وهذا
نحو قولهم: «العلماء ورثة الأنبياء»، وحقيقة الميراث في المال، والأنبياء
لا تورث أموالهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث،
ما تركنا، فهو صدقة»^(٢) فأعطي سليمان ما أعطي داود عليهما السلام من

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣٣٩/٤).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٢)، كتاب: أبواب الخمس، باب: فرض الخمس، ومسلم
(١٧٥٨)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي - رضي الله عنه -: «لا نورث
ما تركنا فهو صدقة»، عن عائشة - رضي الله عنها -.

الملك، وزيد له تسخير الجن والريح، وفهم منطلق الطير، فثم اعترف
بأنعم الله تعالى .

﴿ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ أي: فهم أصواته، والمنطق:
الكلام، روي أنه صاح ورشاً، فقال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا
للخراب، وصاحت فاخنة، فقال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا،
والطاوس يقول: كما تدين تدان، والهدهد يقول: كل حي ميت، وكل
جديد بال، والخطاف يقول: قدموا خيراً تجدوه، والحمامة تقول: سبحان
ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه، والقطا يقول: من سكت سلم، والبيغاء
يقول: ويل لمن الدنيا همه، والدراج يقول: الرحمن على العرش استوى،
والقبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، والنسر يقول: ابن آدم
عش ما شئت آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس،
والحمار يقول: اللهم العن العشار، والفرس يقول إذا التقى الصفان: سبح
قدوس رب الملائكة والروح، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم
بيوم يا رزاق (١).

﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك من أمر الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا .

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٣٨٧-٣٨٨)، عن كعب. ورواه الثعلبي في
«تفسيره» (٧/١٩٤)، عن كعب بإسناد واه جداً. انظر: «كشف الخفاء»
للعلجوني (٢/١٨٣).

﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿ وَحِشْرَ ﴾ جمع ﴿ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾ في مسير

كان له .

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبسون ثم يُساقون، وأصل الوزع: الكف، والوزاع: هو الحابس، وهو النقيب، وكان معسكره مئة فرسخ: في مئة فرسخ خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان يأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو بين السماء والأرض: أني قد زدت في ملكك: أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتكم، فبينا هو يسير، رآه وجنده حراث، فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، فمشى إليه سليمان وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: والله لتسيححة واحدة يتقبلها الله خير مما أوتي آل داود^(١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٧/١٩)، والحاكم في «المستدرک» (٤١٤١) عن محمد بن كعب، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٣٨٩-٣٩٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧٦/١٣)، وذكر القرطبي عن ابن عطية قوله: واختلف في معسكره ومقدار جنده اختلافاً شديداً، غير أن الصحيح أن ملكه كان عظيماً ملاً الأرض، وانقادت له المعمورة كلُّها.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ وقف يعقوب، والكسائي (وَادِي) بإثبات الياء^(١).

روي أن سليمان - عليه السلام - سار من اصطخر إلى اليمن حتى مر بواد النمل، وهو واد بالطائف، وقيل: بالشام، كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير، وقيل: كان نمل ذلك المكان أمثال الذباب، وقيل كالبخاتي ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ وكانت ملكة النمل لما رأت جند سليمان: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ ﴾ ولم يقل: ادخلن؛ لأنه لما جعل لها قولاً، خاطبها خطاب الآدميين ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ يكسرنكم ﴿ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَحْطِمَنَّكُمْ) بإسكان النون مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً^(٢).
﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بهلاككم إقامة لعذرهم.

﴿ فَبِئْسَ مَا جَاءَكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٣٨-١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣٩/٤).
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٦/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤١/٤).

[١٩] وسمع سليمان كلام النمل من ثلاثة أميال، وقيل: كان اسمها طاخية.

وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة - رضي الله عنه - حاضراً وهو غلام حَدَث، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسأله، فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، ف قيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ﴾ ولو كان ذكراً، لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة؛ نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي^(١).

روي أنه لما أشرف على الوادي، حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم. وروي أنه قال لعظيم النمل: لِمَ قلت ادخلوا مساكنكم، أخفت عليهم مني ظلماً؟ قال: لا، ولكن خشيت أن يفتنوا بما يرون من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله^(٢).

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ حال مؤكدة، والتبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها وتحذيرها.
﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي﴾ ألهمني. قرأ ورش، والبيزي: (أَوْزَعْنِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣).

-
- (١) «الكشاف» للزمخشري (٣/٣٦١)، و«تفسير الرازي» (٢٤/١٦١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/١٧١) عن أبي إسحاق الثعلبي، قال: رأيت في بعض الكتب... فذكره.
(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: =

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في جملتهم، قال ابن عباس:
«يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين»^(١).

﴿وَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ﴾^(٢).

[٢٠] روي أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع
الماء، ويراه تحت الأرض كما يرى في الزجاج، ويعرف قربه وبعده،
فينقر الأرض فتجيء الشياطين، فيسلخونه ويستخرجون الماء، فنزل
سليمان منزلاً، فاحتاج إلى الماء وقت الصلاة، فطلب الهدهد فلم
يجده^(٢). ﴿وَفَقَدَ الطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد، فلم يره، والتفقد: طلب ما فُقد،
ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير.

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ في جملة الطير. قرأ ابن كثير، وعاصم،
والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (مَا لِي) بفتح الياء، والباقون:
بإسكانها^(٣)، ثم أدرکه الشك في غيبته، فقال:

= (٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٤٤٢) عن ابن عباس. وانظر: «تفسير البغوي»
(٣/٣٩٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢/٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٢).

﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ يعني : أكان من الغائبين؟ والميم صلة .

﴿ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ

مُبِينٍ ﴾ .

[٢١] فلما تحقق غيبته، قال: ﴿ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا ﴾ أي: تعذيباً .

﴿ شَدِيدًا ﴾ بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس، فلا يمتنع على

الهوام .

﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾ لأقطعن حلقة، ورسمت (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) في بعض

المصاحف بزيادة ألف بعد (لأ).

﴿ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان ظاهر على عذره . قرأ ابن كثير:

(لِيَأْتِنِي) بنونين: الأولى مفتوحة مشددة، والثانية مكسورة مخففة،

وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، أصلها: لِيَأْتِنِي، ثم دخلت النون

مشددة، وهي محسوبة بنونين تأكيداً للقسم، وبعدها نون مكسورة للوقاية

كنون ضربيني، وبنو الفعل على الفتح، ففتح الياء التي هي لام الفعل،

وقرأ الباقر: بنون واحدة مكسورة مشددة، وكذلك هو في

مصاحفهم^(١) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)،

و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٣) .

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَحِثَّتِكَ مِنْ سَيِّئِ

بَنِي إِيقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] وكان سبب غيبة الهدهد: أن سليمان - عليه السلام - لما فرغ من عمارة بيت المقدس، خرج للحج، فأقام في الحرم مدة طويلة، يقرب كلَّ يوم خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشرف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا وكذا^(١)، يعطى النصر على جميع من ناوأه، وتبلغ هيئته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، يدين بدين الحنيفية، طوبى لمن أدركه وآمن به، ثم خرج من مكة يطلب صنعاء اليمن، فرأى مكاناً أعجبه، فنزل ليتغدى ويصلي الظهر، وكان الهدهد دليل الماء كما تقدم، واسمه يعفور، فقصد أن يرتفع لينظر في طول السماء وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى حضرتها، فإذا بههدد اسمه عنفير، فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكتها بلقيس، وما أظن ملك سليمان بأعظم من ملكها، فهل أنت منطلق معي تنظر ملكها؟ فقال: أخاف أن يفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، ونظر ملكها.

﴿ فَمَكَثَ ﴾ وقتاً ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ثم جاء . قرأ عاصم، وروح عن يعقوب:

(١) «وكذا» ساقطة من «ت» .

فَمَكَثَ) بفتح الكاف، والباقون: بضمها، لغتان^(١)، المعنى: أن الهدهد أبطأ في غيبته قدراً يسيراً، فسأل سليمان عريف الطير النسر عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، ولا أرسلته إلى مكان، فغضب وقال لسيد الطير العقاب: عليّ به، فارتفع في الهواء، فرأى الهدهد قد أقبل من نحو اليمن، فانقض عليه^(٢) فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فقال: ويلك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك، فتلقته الطيور وقالت: ويلك إن نبي الله قد توعذك، وحلف ليهلكنك، قال: وما استثنى؟ قالوا: بلى، إن لم تأت بسُلطان مبین، فقال: نجوت إذاً، فجاء العقاب سليمان بالهدهد، وقال: قد أتيتك به، فلما قرب الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان، فأخذ برأسه وجذبه إليه بشدة، وتهدهه، فقال: يا نبي الله! اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد وعفا عنه، ولطف به؛ خوفاً من الله تعالى، ولئلا يلحقه العجب، وهو الداء العضال، ثم سأله عما لقي في غيبته.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك^(٣)، والإحاطة: العلمُ بالشيء من جميع جهاته.

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزري عن ابن كثير: (سَبَأً) بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل عن ابن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٣).

(٢) «عليه» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٩٢-٣٩٤).

كثير: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين^(١)، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد، والقراءة بإسكان الهمزة تخفيفاً، والنسابون يقولون: هو سبأ بن يشجب بن قحطان، وقد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة»^(٢).

﴿بِنَاءٍ﴾ خبر ﴿يَقِينِ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٣).

[٢٣] قال سليمان: وما ذلك؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمَلِكُهُمْ﴾ أي: تملك قومها، واسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وأمها جنية؛ لأنه ما كان يرى التزوج من الإنس، ولم يكن له ولد غيرها، فملكته ملكة.

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يليق بها من أسباب الدنيا.

﴿وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ سرير ضخم كان مضروباً من الذهب، مكللاً بالدر

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«الكشف» لمكي (٢/١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٧)، قال مكي عن قراءة الإسكان في الوصل: غير مختار ولا قوي.

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/١١١-١١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/٣٢٤)، عن فروة بن مسيك - رضي الله عنه -.

والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات، وعلى كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: «كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً»^(١)، وقيل غير ذلك.

﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا ﴾ وكانوا مجوساً ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ القبيحة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ سبيل الصواب.

﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه، وخفي حالها على سليمان، مع قربها منه؛ لأنه كان نازلاً بصنعاء، وهي بمأرب، وبينهما ثلاثة أميال لحكم يعلمها الله تعالى؛ ليعلم الإنسان أنه لا يعلم إلا ما علم.

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(٢٥).

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (أَلَا) بتخفيف اللام، ويقفون: (أَلَا يَا)، ويبتدون: (أَسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا: وجعلوه أمراً من الله

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٩٥).

تعالى مستأنفاً: فحذفت همزة الوصل بعد (يا) وقبل السين من الخط على مراد الوصل دون الفصل .

قال الحافظ أبو عمرو الداني: كما حذفوها في قوله: (يَبْنُوْمٌ) في طه على مراد ذلك .

قال ابن الجزري: أما (يا بنؤم). فقد رأيت في المصاحف الشامية من الجامع الأموي، ورأيت في المصحف^(١) الكبير الذي يذكر أنه الإمام من الفاضلية بالديار المصرية. وفي المصحف المدني: بإثبات إحدى الألفين، ولعل الداني رآه في بعض المصاحف محذوف الألفين، فنقله كذلك. **وقرأ** الباقر: بتشديد اللام، و(يَسْجُدُوا) عندهم كلمة واحدة، مثل ألا يقولوا، فلا يجوز القطع على شيء منها^(٢)، المعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم؛ **لثلا يسجدوا ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾** المستتر **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** فخبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود. **قرأ الكسائي، وحفص عن عاصم: (تُخْفُونَ) و(تُعْلِنُونَ)** بالخطاب، والباقر: بالغيب^(٣).

(١) «المصحف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٨).

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ هو المستحق للعبادة والسجود، لا غيره، وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً، فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم .

﴿ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ .

[٢٧] فلما فرغ الهدهد، من كلامه ﴿ قَالَ ﴾ له سليمان :

﴿ سَنْظُرُ ﴾ من نظر التأمل ﴿ أَصَدَقْتَ ﴾ فيما أخبرت .

﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فيه^(١) .

﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ثم دلهم الهدهد على الماء، فاستخرج، وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي، وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال له: ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة: (فَأَلْقَاهُ) بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة، وقرأ أبو جعفر،

(١) «فيه» زيادة من «ت» .

ويعقوب، وقالون، وهشام بخلاف عن الأول: (فَأَلْقَهُ) باختلاس كسرة الهاء لتدل الكسرة على الياء المحذوفة، وقرأ الباقون: بإشباع الكسرة، وصلتها بياء في الوصل^(١)؛ لأن الهاء لما يتحرك ما قبلها، ثبت الحرف الذي بعدها؛ لعدم اجتماع الساكنين، المعنى: اأذفه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تنحَّ مستتراً ﴿فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرَّجُوعُونَ﴾ يردُّون من الجواب.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُفِيءُ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

[٢٩] فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى بلقيس وهي نائمة في قصرها، فألقاه على نحرها، فلما رأَت الخاتم، أرعدت وخضعت خوفاً؛ لأن ملك سليمان كان فيه، وعرفت أن ملك المرسل إليها أعظم من ملكها، ثم تأخر الهدهد يسيراً، ثم جلست مع أشرف قومها، وكانوا اثني عشر ألفاً، ثم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُفِيءُ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مختوم، قال ﷺ: «كرامة الكتاب ختمه»^(٢). واختلاف القراء في الهمزتين من (المَلَأُ إِنَّي) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٦-٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٤٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٩٩): فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك.

أَجَلٍ مُّسَمًّى) في سورة الحج، قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١).

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠).

[٣٠] ثم قرأت عليهم ما في الكتاب، وهو: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾.

﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣١).

[٣١] ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ ﴾ لا تتكبروا ﴿ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ طائعين مؤمنين.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ (٣٢).

[٣٢] ثم ﴿ قَالَتْ ﴾ اختباراً لقومها وتطييباً لقلوبهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي ﴾ أشيروا علي ﴿ فِي أَمْرِي ﴾ فيما عرض لي.

﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً ﴾ منفذة ﴿ أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ تحضرون. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن كثير، ورويس عن يعقوب: (الْمَلَأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً محضة، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥٠).

الهمزتين^(١)، [وما ذكر من تسهيل إحدى الهمزتين]^(٢) إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفت على الكلمة الأولى، وبدأت بالثانية، حققت الهمز في ذلك لجميع القراء، وأثبت يعقوب الياء بعد النون في (تَشْهَدُونِي)، وحذفها الباقون^(٣).

﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿ قَالُوا ﴾ مجيبين لها: ﴿ نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ ﴾ في الأجساد والآلات.
﴿ وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ ﴾ شجاعة ونجدة في الحرب، وهذا تعرض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك.

﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ في القتال وتركه.
﴿ فَانظُرِي ﴾ من الرأي ﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فنحن لك تبع.

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾^(٣٤).

[٣٤] فأومأت إلى المسالمة، و﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ﴾ قهراً ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ بالتخريب.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

﴿وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ ﴿﴾ ليستقيم أمرهم، تحذره مسير سليمان إليهم، وتناهى الخبر عنها ها هنا، فصدق الله تعالى قولها.

فقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿﴾ أي: كما قالت.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾.

[٣٥] وكانت بلقيس امرأة لبيبة، قد سيست وساست، وعرفت تدبير الملك، فأرادت أن تداري عن بلدها، فقالت للملأ من قومها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ ﴿﴾ أختبر بذلك سليمان، إن كان ملكاً، أخذ الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يأخذها، ولم نأمنه على بلادنا.

﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ﴾ ﴿﴾ أي: بأي شيء.

﴿يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿﴾ من قبول الهدية أو ردها، وما يقال لهم. وقف يعقوب والبزري: (بمّة) بزيادة هاء بعد الميم بخلاف عنهما^(١)، والهدية: اسم للشيء المعطى بملاطفة ورفق.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْمُدُونِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنَيْنِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانِيكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾.

[٣٦] فأهدت بلقيس لسليمان وُصْفَاءَ ووصائف، وألبستهم لباساً واحداً لئلا يُعرفوا، وكان عددهم خمس مئة جارية، وخمس مئة غلام، وأربع

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١) عن البزري.

لبنات، كل لبنة مئة رطل من ذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً
وعنبراً، وحقنة فيها درة ثمينة، وخرزة جزعية معوجة الثقب، وكتبت كتاباً
فيه نسخة الهدايا، وقالت فيه: إن كنت نبياً، فميز بين الوصفاء والوصائف،
وأخبر بما في الحقنة قبل فتحها، واثقب الدرّة ثقباً مستويّاً من غير علاج إنس
ولا جن، وأمرت الغلمان أن يكلموه بكلام فيه لين شبه كلام النساء،
والجوارى بكلام فيه غلظة شبه كلام الرجال، وأرسلت الهدية مع المنذر بن
عمرو من قومها ذي لب ورأي، وضمت إليه رجالاً من قومها، وقالت له:
انظر إليه، فإن نظر إليك نظر غضب، فاعلم أنه ملك، فلا يهولتك منظره،
وإن رأيتَه هسّاً لطيفاً، فاعلم أنه نبي كريم، فتفهم قوله، ورد الجواب كما
سمعت. فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً يخبره
الخبر، فأمر سليمان أن يضربوا لبنات الذهب والفضة، وأن يبسطوها من
موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، وأن يتركوا على
طريقهم موضعاً على قدر اللبنة خالياً، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً
مشرفاً من الذهب والفضة، ثم أمر الجن فجاؤوا بأحسن دواب البحر،
فجعلها مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله، وجلس هو في الميدان،
وحوله الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، فجعل الرسل يمرون
بكراديس الجن والإنس والشياطين، فلما رأى الرسل موضع اللبنة خالياً،
وكل الأرض مفروشة، خافوا أن يُتهموا بذلك، فطرحوا ما معهم في ذلك
المكان، وتقاصرت نفوسهم لما رأوا ما لم تر أعينهم.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ ﴾ رسلها ﴿ سُلَيْمَانَ ﴾ نظر إليهم بوجه حسنٍ طَلَّق، وقال:

ما وراءكم؟ فأخبر الخبر، وأعطي كتابها، فنظر فيه فقال: أين الحقنة؟
فجاء بها، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة معوجة الثقب،

فأمر سليمان الأرضة، فأخذت شعرة ودخلت في الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر، ودخلت دودة أخرى بخيط في الخرزة المثقوبة حتى خرجت من الجانب الآخر، فجمع بين طرفيه، وختمه، ودفعها إليهم، وميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها وتجعله على اليد الأخرى، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، فلما اعتبر الهدية .

﴿ قَالَ أَتَمِدُّونَنِي ﴾ أتزيدونني ﴿ بِمَالٍ ﴾ وأكثر استعمال الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه .

﴿ فَمَاءَ آتِنَنِي اللَّهُ ﴾ من النبوة والملك ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا آتَنَكُمُ ﴾ من الدنيا، ثم أضرب عن إنكاره عليهم مبيناً سبب حملهم على الإمداد .

فقال: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَيْدِيكُمْ نَفَرِحُونَ ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا^(١)، المعنى: إن الله تعالى أعطاني نبوة وملكاً لا مزيد عليه، فلا حاجة بي إلى دنياكم، بل حاجتي إلى إيمان قومكم . قرأ حمزة، ويعقوب: (أَتَمِدُّونَنِي) بنون واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ الباكون: بنونين خفيفتين، وأثبت الياء وصلاً نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وفي الحاليين: ابن كثير، ويعقوب، وحمزة^(٢)، إلا أن حمزة ويعقوب يدغمان النون كما تقدم، وقرأ نافع،

(١) «الدنيا» ساقطة من «ش» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٥٢) .

وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص، ورويس: (آتاني الله) بفتح الياء وصلاً، وقف عليها بالياء يعقوب، وحذفها ورش وقفاً، واختلف في الوقف عن أبي عمرو، وقالون، وقنبل، وحفص، وحذفها الباكون في الحاليين، وقرأ الكسائي: (آتاني الله) بالإمالة^(١).

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [٣٧].

[٣٧] ثم قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بهم. قرأ حمزة، ويعقوب: (إِلَيْهِمْ) بضم الهاء حيث وقع^(٢)، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: يصلون الميم بواو حيث وقع، وقرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (لَّا قِبَلَ لَهُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(٣).

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا ﴾ من سبأ ﴿ أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ إن لم يأتوا مسلمين.

فلما رجع رسلها إليها، قالت: قد عرفت أنه ليس بملك، وما لنا به من طاقة، وأرسلت إليه: أني قادمة عليك، وجعلت سرائرها داخل سبعة

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٣/٤).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٤/٤).

أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليه حرساً، وارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل، مع (١) كل قبيل ألوف كثيرة.

﴿ قَالَ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [٣٨]

[٣٨] وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه، فجلس يوماً على سرير، فرأى رهجاً وجمعاً جمعاً على فرسخ عنه، فقال: ما هذا؟ قال: بلقيس بجنودها، فأقبل حينئذ سليمان على جنوده، و﴿ قَالَ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ فيحرم علي أخذه منها (٢). واختلاف القراء في الهمزتين من ﴿ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿ الْمَلَأُ أَتُونِي ﴾ [يوسف: ٤٣ والنمل: ٣٢].

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [٣٩]

[٣٩] ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ ﴾ هو المارد القوي ﴿ مِنَ الْجِنِّ ﴾ والإنس، مأخوذ من العفر، وهو التراب، فكأنه يصرع قرنه عليه من الخبر، واسمه كودي: ﴿ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ أي: من مجلسك الذي تقضي فيه، وكان يجلس إلى القضاء إلى نصف النهار.

(١) «مع» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٣٩٩-٤٠١).

﴿وَابْتَئِ عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من درر وجوهر .

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] فقال سليمان: أسرع من هذا ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من كتابها إليه، وهو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهو يا حي يا قيوم، وقيل غيره^(١)، وكان بينه وبين عرشها مقدار شهرين:

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: تحريك أجنفانك إذا نظرت .
قرأ حمزة، وخلف بخلاف عن خلاد: (آتِيكَ) بإمالة فتحة الهمزة في الحرفين^(٢) . روي أن آصف قال لسليمان: أرسل طرفك، فنظر نحو اليمين، فدعا آصف، فسار الكرسي تحت الأرض، ونبع لدى سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه^(٣) .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤٠٣/٣)، و«تفسير القرطبي» (٢٠٢/١٥)، و«روح المعاني» للآلوسي، (٢٠٣/١٩) وذكر الآلوسي رحمه الله الاختلاف في الذي قال ذلك وناقش مسألة طلب سليمان أن يأتوه بالعرش دون أن يحضره هو بنفسه .
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٤/٤) .

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤٠٣/٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤٦٨/١٩) عن وهب بن منبه .

﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ ثابتاً لديه، وحُمل إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قَالَ هَذَا﴾ أي: حصول مرادي ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ عَلَيَّ .
 ﴿لِيَبْلُغَنِي﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ النعمة ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بكون غيري أعلم مني .

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن نفع شكره عائد عليه؛ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بترك الشكر على النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي﴾ عن شكرهم ﴿كَرِيهٌ﴾ ذو فضل على الشاكر والكافر. وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (رَأَاهُ عِنْدَهُ) ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ [النمل: ١٠]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (لِيَبْلُغَنِي) بفتح الياء الأخيرة، والباقون: بإسكانها^(١)، واختلافهم في الهمزتين من (أَشْكُرُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْتَ فَعَلْتَ) في سورة الأنبياء [الأنبياء: ٦٢].

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَنْهَدَىٰ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

[٤١] ولما جاءت بلقيس، خاف الجن أن تفشي سرهم إلى سليمان؛ لأن أمها كانت جنية^(٢)، وأن يتزوجها سليمان، فتلد له ولداً فلا ينفكون من

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٥).

(٢) قال الماوردي: وهذا مستنكر للعقول؛ لتباين الجنسين واختلاف الطبعين؛ إذ الآدمي جسماني والجنني روحاني، وهذا من صلصال كالفخار، وذاك من مارج من نار، والامتزاج مع هذا التباين مدفوع، والتناسل مع هذا الاختلاف ممنوع. ورده =

التسخير، فقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإنها شعراء الساقين، وإن حافرها كحافر حمار، قال سليمان:

﴿ نَكْرُوا ﴾ غيروا ﴿ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ بأن جعلوا أعلاه أسفله، ومكان الجوهر الأحمر أخضر، وبالعكس.

﴿ نَظَرَ أَنْهَدَى ﴾ إلى معرفته.

﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ فغير عرشها لاختبار عقلها.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤٢).

[٤٢] ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ ﴾ بلقيس ﴿ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ عرفته، لكن شبهت عليهم، لم تقل: نعم؛ خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا؛ خوفاً من التكذيب، فعرف سليمان كمال عقلها؛ حيث لم تقر ولم تنكر. ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ﴾ من تنمة كلام بلقيس؛ أي: آما بالآيات المتقدمة من أمر الهداية والرسول من قبل هذه المعجزة في العرش.

﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ طائعين له لما أخبرنا بما اقترحنا عليه من الدلالة على نبوته، وقيل: هو من كلام سليمان - عليه السلام - على جهة تعديد نعم الله

= القرطبي كما في «تفسيره» (٢١٣/١٣). وفي حلّ نكاح الإنس للجن خلاف، ففي «الفتاوى السراجية» للحنفية: لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء؛ لاختلاف الجنس، وفي «فتاوى البارزي» من الشافعية: لا يجوز التناكح بينهما، ورجّح ابن العماد جوازه. كذا في «فيض القدير» للمناوي (١/١٨٦).

عليه وعلى آبائه؛ أي: وأوتينا العلم بالله تعالى وقدرته على ما يشاء من قبل هذه الآيات، وكنا مسلمين منقادين لحكمه، لم نزل على دينه.

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ وَصَدَّهَا ﴾ الله بتوفيقها للإسلام عن عبادة ﴿ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي الشمس، وقيل: المعنى: وصدها منعها من الإيمان قبل ذلك ما كانت تعبد من دون الله.

﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ يعبدون الشمس، فنشأت فيهم، ولم تعرف إلا عبادتها.

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ولما أراد سليمان أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفهم لما قيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين^(١)، وليربها ملكاً أعظم من ملكها، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً؛ أي: قصرًا من زجاج؛ كأنه الماء بياضاً، وجعل صحن الدار قوارير، وجعل تحته أمثال الحيات والضفادع، فإذا رئي، ظن ماء حقيقة، ووضع سريره في صدر

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٠٤)، و«تفسير القرطبي» (١٣/٢٠٧).

الصحن، وجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ودعا بلقيس، فلما جاءت ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لُجَّةً﴾ هي معظم الماء، ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتنجو منه إلى سليمان، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شعراء الساقين. قرأ قبل عن ابن كثير: (سَاقِيهَا) بالهمز الساكن؛ لجواز أن يكون من العرب من يهزم مفرد ساق وجمعه، والباقون: بغير همز^(١)، فلما رأى سليمان ذلك، صرف بصره عنها.

ثم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ ببيان مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ من زجاج، وليس بماء حقيقة، ثم دعاها إلى الإسلام، فأجابت، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادتي غيرك.

﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ أي: وقد أسلمت ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أخلصت له التوحيد.

وأراد سليمان تزوجها، فكره شعر ساقها، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: موسى، فقال: إنها تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء، فأخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ، ويقال: إن الحمام الذي بيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها، وإنه أول حمام بني على وجه الأرض، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٧/٤).

وأقرها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له فيما ذكر، وتقدم ذكر سليمان وقدر عمره ومدة ملكه ومحل قبره وتاريخ وفاته في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ﴾ [الآية:

. [١٠٢]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: بأن.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فَرِيقَانِ﴾ مؤمن وكافر.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلُّ: الحقُّ معي.

﴿قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: العذاب الذي يوعدون

. به .

﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة؛ لأنهم كانوا يعتقدون لجهلهم أن العذاب

إذا نزل بهم تنفعهم توبتهم، فيصرون على كفرهم، فأوماً صالح إلى بطلان
اعتقادهم بقوله:

﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَا ﴿سَتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ من كفركم قبل نزول العذاب بكم.
﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن العذاب إذا نزل لا يرفع.

﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
تُفْتَنُونَ﴾ ﴿٤٧﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا﴾ أصله: تطيرنا؛ أي: تشاء منا ﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ من
المؤمنين؛ أي: أصابنا بسببكم شؤم، وهو القحط، وتفريق كلمتنا، وأصل
التطير: أن الرجل كان إذا سافر، مر بطائر، فزره، فإن مر سانحاً، وهو
الذي ولاه مياسره، فلا يتمكن من رميه، فيتشأم به، ثم استعمل في كل
ما يُتشأم به.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ أي: السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم.
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يأتي به إلا هو تعالى، وسمي طائراً؛ لسرعة نزوله،
ولا شيء أسرع من قضاء محتوم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشر.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ﴾ ﴿٤٨﴾.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي الحجر ﴿تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾ أي: أنفس،

والرهط: مادون العشرة، وليس فيهم امرأة، وتقدم الكلام عليه في سورة هود^(١)، وأسماءهم: راب، وغلم، والهديل، ومصدع، وشحيط، ولحيط، وسالف، وقدار، وسمعان رأس الماكرين.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها، كانوا يعملون بالمعاصي.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾ تحالفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ لنقتلنه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي: قومه الذين أسلموا معه، البيات: مباغته العدو ليلاً. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: ولي دمه. ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: إهلاكهم.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا، ووجه دعواهم الصدق، وقد جحدوا ما فعلوا بهم: أنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿لَتُبَيِّتَنَّهُ﴾ (ثُمَّ لَتَقُولَنَّ) بالتاء فيهما، وضم التاء الثانية في الأول، وضم اللام الثانية في الثاني؛ أي: يأمر بعضهم بعضاً بالتحالف على إهلاك صالح وأهله ليلاً؛ من البيات، وقرأ الباقون: بالنون في الفعلين وفتح التاء واللام إخباراً عن أنفسهم^(٢)، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (مَهْلِكَ) بفتح الميم

(١) عند تفسير الآية (٩٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، =

واللام؛ أي: هلاك أهله، **وقرأ حفص**: بفتح الميم وكسر اللام، والباقون:
بضم الميم وفتح اللام^(١)، وتقدم معناه.

﴿ **وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾.

[٥٠] ﴿ **وَمَكْرُؤًا مَكَرًا** ﴾ أي: غدروا غدراً حين قصدوا تبيت صالح
والفتك به.

﴿ **وَمَكْرَنًا مَكَرًا** ﴾ أي: جازيناهم جزاء مكرهم ﴿ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾
مرادنا منهم.

﴿ **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ**
أَجْمَعِينَ ﴾.

[٥١] ﴿ **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَهُمْ** ﴾ قرأ
الكوفيون، ويعقوب: (أنا) بفتح الهمزة رداً على العاقبة؛ أي: كانت العاقبة
أنا دمرناهم، **وقرأ الباقر**: بالكسر على الاستئناف^(٢)، المعنى: أن أولئك
التسعة أرادوا الفتك بصالح وأهله، فأهلكناهم.

= و«تفسير البغوي» (٤٠٨/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٨/٤).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص:
٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥٨/٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٤٠٨/٣)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٣٣٨/٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٣٥٩/٤).

قال ابن عباس: «أرسل الله الملائكة تلك الليلة^(١) إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم»^(٢) ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكهم الله بالصيحة.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٥٢).

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ نصب على الحال؛ أي: خالية.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم وكفرهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٥٣).

[٥٣] ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي،

وهم صالح ومن نجا معه من العذاب، وكانوا أربعة آلاف.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ

تُبْصِرُونَ﴾^(٥٤).

[٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: واذكر لوطاً.

(١) «الليلة» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٠٨).

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار .

﴿ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ بقلوبكم أنها خاطئة وفاحشة .

﴿ أَيَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ أَيَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عاقبة فعلكم . واختلاف القراء في الهمزتين من (أَيَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من (أَيِّنَّ لَنَا لأَجْرًا) في سورة الشعراء [الآية : ٤١] .

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾ يتنزهون عن إتيان الذكور .

﴿ فَأَجْنَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ أُمَّرَاتُهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرَاتِ ﴾ .

[٥٧] ﴿ فَأَجْنَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ أُمَّرَاتُهُ قَدَرْنَاهَا ﴾ بتخفيف الدال؛ أي: جعلناها، وقرأ الباقون: بتشديد الدال^(١)؛ أي: قدرنا عليها؛ من القدر والقضاء .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٠) .

﴿ مِنْ الْعَذَابِ ﴾ الباقيين في العذاب، وغَبَرٌ بمعنى: بقي، وقد يجيء
أحياناً في بعض كلام العرب يوهم أنه بمعنى مضى .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ وهي حجارة السجيل، أهلكت
جميعهم .

قال ابن عطية: وهذه الآية أصلاً لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللوطية، وبها تأنس؛ لأن الله عذبهم على كفرهم به، وأرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزنا، فيعتبر الإحصان^(١).
وتقدم الكلام على ذلك مستوفى في سورة النساء، وملخصه: أن مذهب مالك - رحمه الله - رجم الفاعل والمفعول به، أحصنا أو لم يحصنا، ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنا، فيه الرجم مع الإحصان، والجلد مع عدمه، ومذهب أبي حنيفة: يعزر، ولا حد عليه؛ خلافاً لصاحبيه، وعن أحمد رواية أن من تلوط بغيلاً، قُتل، بكرّاً كان أو ثيباً؛ لقوله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢)، ولكن

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٢٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٦٢)، كتاب: الحدود، باب: فيمن عمل عمل قوم لوط،
والترمذي (١٤٥٦)، كتاب: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي، وابن ماجه
(٢٥٦١)، كتاب: الحدود، باب: من عمل عمل قوم لوط، والإمام أحمد في
«المسند» (١/٣٠٠)، وغيرهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

الصحيح من مذهبه الأول ﴿فَسَاءَ﴾ فبئس ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) .

[٥٩] ثم أمر الله محمداً ﷺ بحمده، ثم بالسلام على خير خلقه، فقال:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية .

﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ هم الرسل .

﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ أجمع القراء على مد (آللّه)؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل؛ لتفرق بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على عدم تحقيقها؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت بالابتداء، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كفيته، فقال كثير منهم: تبدل ألفاً خالصة، وقال آخرون: تسهل بين بين^(١)، وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يُشْرِكُونَ) بالغيب إخباراً عن الكفار، وقرأ الباقون: بالخطاب^(٢)، المعنى: آله أنفع لعبديه، أم الأصنام لعبديها؟ وهذا إزام لهم، وتبكيك، لا أن في أصنامهم خيراً.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦١) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦١) .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَلَهُمْ قَوْمٌ يَعَدِلُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي: عبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو رد مردود على ما قبله من المعنى المتقدم، وفيه معنى التوبيخ لهم، والتنبيه على قدرة الله تعالى، وعجز آلهتهم.

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية^(١).

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ﴾ بسايتين ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي: حُسن، تبهج من رآها. وقف الكسائي (ذاة) بالهاء^(٢).

﴿ مَّا كَانَ ﴾ أي: ما ينبغي ﴿ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ لأنكم لا تقدرُونَ عليها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ ﴾ استفهام على طريق الإنكار؛ أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه؟ ﴿ بَلْ ﴾ ليس معه إله ﴿ هُمْ قَوْمٌ ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ يَعَدِلُونَ ﴾ يشركون. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَلِلَّة) كاختلافهم

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٢/٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٢/٤).

فيهما من (أَيْنَكُم) حيث وقع ، وتقدم التنبيه عليه قريباً .

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرُ لَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا .
﴿ وَجَعَلَ خِلَالَهَا ﴾ أي : وسطها ﴿ أَنْهْرًا ﴾ تطرد بالمياه .
﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ جبلاً ثوابت .
﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ العذب والمالح .
﴿ حَاجِزًا ﴾ مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر .
﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد الله ، فلا يؤمنون .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ﴾ المجهود الذي مسه الضر .
﴿ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ الضر .
﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ﴾ أي : سكان .
﴿ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ ﴾ بعد هلاك المتقدمين .
﴿ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ﴾ الذي خلقكم بهذه النعمة؟!
﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والمراد نفي التذكر؛ لأن القلة تستعمل بمعنى

النفى . قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وروح عن يعقوب : (يَذْكُرُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب^(١)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص : على أصلهم في تخفيف الذال .

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٣]

[٦٣] ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ ﴾ بالنجوم .

﴿ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ليلاً، وبعلامات الأرض نهاراً .
﴿ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف :
(الرِّيْحَ) على الأفراد، وقرأ الباكون : (الرِّيَاحَ) على الجمع^(٢) .
﴿ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ ﴾ أي : قدام المطر، وتقدم الكلام على (نُشْرًا)،
واختلاف القراء فيها، وتوجيه قراءتهم في سورة الفرقان عند تفسير قوله
تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ بُشْرًا ﴾ [الآية : ٤٨] .
﴿ أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ ۗ ﴾ يقدر على فعل ذلك ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٤١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٨-٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦٣) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦٣) .

﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ للبعث .

﴿ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ المطر ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ النبات .

﴿ أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ يفعل ذلك .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ حجتكم على دعاكم .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في إشراككم، والاستفهام في جميع هذه الآيات توبيخ لا استرشاد .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٦٥].

[٦٥] ولما سأل المشركون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، نزل قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) رفع بدل من (مَنْ)؛

لأنه فاعل (يَعْلَمُ) تقديره: لا يعلم إلا الله الغيب في السموات، فأعلم الله تعالى أنه لا يعلم وقت الساعة سواه، وجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يعني: البشر ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤١١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ يعلم الغيب، فقد أعظم على الله الفرية»^(١).

﴿ بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾^(٦٦).

[٦٦] ﴿ بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ (بل) بمعنى: هل . قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (أدرك) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف مفتوحة وألف بعدها^(٢) وأصله: تدارك، أدغمت التاء في الدال؛ أي: تتابع واجتمع علمهم بحدوث الآخر، فليس من اختص بشيء من علمها فهم جهالة بها.

﴿ بَلْ هُمْ ﴾ اليوم في الدنيا ﴿ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ من الساعة .

﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ جمع عمي؛ أي: عنها عمون بقلوبهم .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ كُنَّا تَرِبًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا الْمُخْرَجُونَ ﴾^(٦٧).

[٦٧] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ إِذْ كُنَّا تَرِبًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا الْمُخْرَجُونَ ﴾ من قبورنا؟ قرأ نافع، وأبو جعفر: (إذا) بكسر الألف على

(١) رواه البخاري (٦٩٤٥)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ ﴾ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿، ومسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله - عز وجل -: ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَلَ أَخْرَىٰ ﴾ .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٤١١/٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦٥).

الخبر (أثنا) على الاستفهام، ويحققان الهمزة الأولى، ويسهلان الثانية، وأبو جعفر وقالون: يفصلان بينهما بألف، وابن عامر، والكسائي: (أثنا) بالاستفهام في الأول مع تحقيق الهمزتين وبالإخبار في الثانية مع زيادة نون فيه فيقولان (إنّا لمخرجون)، وهشام راوي ابن عامر يفصل بألف في الاستفهام مع تحقيق الهمزتين، **وقرأ** الباقر: بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ويفصل بينهما أبو عمرو بألف، وعاصم، وحمزة، وخلف، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين^(١).

﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا ﴾ أي: البعث الذي تعدنا به ﴿ نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل محمد ﷺ، وليس ذلك بشيء ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ أي: ما هذا. ﴿ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٦٩].

[٦٩] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ تهديد لهم بأن ينزل بهم ما نزل بالمكذابين من قبلهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤١٢/٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٦٧/٤).

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ .

[٧٠] ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ في تكذيبهم وإعراضهم .

﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي : لا تهتم بتدبيرهم الحيل في إهلاكك ، فأنا كافيك وناصرك عليهم . قرأ ابن كثير : (ضَيْقٍ) بكسر الضاد ؛ أي : شدة ، والباقون : بالفتح ؛ أي : غم^(١) .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ ﴾ العذاب الموعود .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن العذاب ينزل بالتكذيب .

﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ اللام زائدة ؛ أي : ردفكم ، المعنى : دنا وقرب منكم .

﴿ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ من العذاب ، فحل بهم عذاب يوم بدر .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ حيث إنه لم يعجل عقوبتهم .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦٨) .

﴿ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النعمة .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٤) .

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تخفي .

﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر .

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٥) .

[٧٥] ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الغائبة : اسم لكل مستتر ، المعنى :

ليس شيء في الوجود .

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ ، أثبتته تعالى ويعلمه .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٧٦) .

[٧٦] ولما اختلف أهل الكتاب في دينهم ، وفي عيسى عليه السلام ،

نزل :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (١) المنزل على محمد ﷺ .

﴿ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الذين هم في زمان محمد ﷺ . ﴿ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ لأنه مذكور فيه .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/٤١٣) .

﴿ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

[٧٧] ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي : القرآن ﴿ هُدَىٰ ﴾ لمن اتبعه .

﴿ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم المنتفعون به .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٨﴾ .

[٧٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي ﴾ يفصل ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : بين المختلفين في الدنيا

يوم القيامة ﴿ بِحُكْمِهِ ﴾ بعدله .

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ فلا يرد حكمه .

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم وبحقيقة ما يقضي فيه .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

[٧٩] ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فإنه ناصرك عليهم .

﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ الدين الواضح ، وهو الإسلام .

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ يعني : الكفار .

﴿ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ معرضين ، لما كانوا لا يعون

ما يسمعون ، ولا ينتفعون به ، سماهم موتى صمّاً وعمياً . قرأ ابن كثير :

(وَلَا يَسْمَعُ) بالياء وفتح الميم (الصَّمُّ) بالرفع فاعلاً ، ونصب (الدُّعَاءَ)

مفعولاً، وقرأ الباقون: بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب (الصَّمَّ) و(الدُّعَاءَ) مفعولين، والفاعل مضمّر^(١)، المعنى: لا تقدر يا محمد على هدايتهم. واختلاف القراء في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أُولِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢].

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ نَسِمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٨١).

[٨١] ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ قرأ حمزة: (تَهْدِي) بالتاء وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف^(٢)، ونصب (العُمِّيِّ) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالباء وكسرها وفتح الهاء وألف بعدها، وجر (العُمِّيِّ)^(٣)، ووقف يعقوب (بِهَادِي) بإثبات الياء^(٤)، تلخيصه: لا سبيل إلى هداية هؤلاء عن ضلالتهم؛ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر.

﴿ إِنْ نَسِمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ القرآن ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ مخلصون.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٦٩).

(٢) «ألف» ساقطة من: «ش».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٧٠).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٧٠).

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ
كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [٨٢].

[٨٢] ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ أي: وجب العذاب.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ من ظهور أشراف الساعة.

﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ قيل: هي رجل، وأكثرهم: هي دابة،

وظهورها من أشراف الساعة.

قال ابن عباس: «هي ذات زغب وريش، لها أربع قوائم»^(١).

روي أن لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، ولون نمر، وصدر
أسد، وخاصرة هر، وقرن إيل، وقوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر
ذراعاً^(٢).

في الحديث: أن طولها ستون ذراعاً.

وعنه ﷺ: «أنها تخرج من الصفا أول ما يبدو رأسها ذات وبر وريش،
لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب»^(٣)، وروي غير ذلك.

﴿ تَكَلِّمُهُمْ ﴾ قال ابن عباس: «تكلم المؤمن والكافر»^(٤).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٤/٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»
(٢٩٢٥/٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٠٦٦)، عن حذيفة - رضي الله عنه - .
وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١٩/٣)، و«الفتح السماوي»
للمناوي (٨٩١/٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/٢٠)، عن حذيفة - رضي الله عنه - .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٩٢٦/٩)، بلفظ: «تَكَلَّمَ الْمُؤْمِنَ، وَتَكَلَّمَ
الْكَافِرَ».

﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (أَنَّ النَّاسَ) بفتح الألف؛ أي: تخبر الدابة من رآها أن أهل مكة ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وقرأ الباقون: بالكسر على الاستثناف^(١)؛ أي: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون: لا يصدقون.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٨٣).

[٨٣] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَحْشُرُ﴾ نجمع.

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: من كل قرن من الناس متقدم؛ لأن كل عصر لم يخلُ من كفرة بالله، من لدن تفرق بني آدم، (مِنْ) للتبعيض، والمراد: الرؤساء.

﴿فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن، و(مِنْ) للتعين؛ لأن جميع الكفار مكذبون.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أولهم على آخرهم، فيحشر رؤساء الأمم بين يدي أممهم إلى الموقف حتى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٨٤).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/٣٧١).

[٨٤] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوْا مَكَانَ الْحِسَابِ ﴾ قَالَ ﴿ تعالٰى تهديداً لهم :

﴿ أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُخِطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾ أي : كذبتم بها غير عالمين بها ، ولم تتفكروا في صحتها ، بل كذبتم جاهلين ، ونصب (عِلْمًا) على التمييز .

﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك ؟ وهو للتبكيه ؛ إذ لم يفعلوا غير التكذيب .

﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [٨٥]

[٨٥] ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ وجب العذاب .

﴿ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ بتكذيبهم بآيات الله .

﴿ فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ باعتذار لختم أفواههم .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٨٦]

[٨٦] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ ﴾ أي : خلقناه .

﴿ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ بالنوم والقرار .

﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ مضيئاً ، تُبْصِرُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون فيعتبرون .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ .

[٨٧] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم .

﴿ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام .

﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : يلقي عليهم الفزع إلى أن

يموتوا .

روي أن النفخات ثلاث : الأولى نفخة الصور للفرع ، والثانية نفخة الصعق للموت ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين للبعث ، وهذه النفخة الأولى ، المعنى : إذا نفخ في الصور ، مات من شدة النفخة جميع الخلائق .

﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ من ثبت عليه من الملائكة ، ثم يموتون بعد ذلك ، وقيل الاستثناء : فيمن قضى الله من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن ينالهم نوع الفرع في الصور ، قال ﷺ : «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض ، إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فأكون أول من رفع رأسه ، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أكان ممن استثنى الله ، أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال : أنا خير من يونس بن مَتَّى ، فقد كذب» (١) .

﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي : جميع الخلائق ﴿ أَتَوْهُ ﴾ قرأ حمزة ، وخلف ، وحفص عن

(١) رواه البخاري (٣٢٣٣) ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، ومسلم (٢٣٧٧) ، كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس - عليه السلام - ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وهذا سياق رواية البغوي في «تفسيره» (٤١٩/٣) .

عاصم: (أَتَوَّهُ) بفتح التاء وقصر الهمزة على صيغة الفعل الماضي؛ أي: جاؤوا لأمر الله؛ أي: أجابوه، وقرأ الباقون: بمد الهمز وضم التاء على وزن فاعلوه: (١) اسم فاعل من المجيء.

﴿دَخِرِينَ﴾ صاغرين.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٨٨] ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة؛ من جماد مكانه.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المعنى: إذا رأيت الجبال وقت النفخة الأولى، ظننتها ثابتة في مكان واحد؛ لعظمتها؛ لأن النظر لا يحيط بها، وهي في الحقيقة تسير سيراً سريعاً كالسحاب إذا ضربته الريح.

﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ أي: فعله ﴿الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه.

﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ من الأفعال الباطنة والظاهرة، فيجازيهم عليها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وهشام: (يَفْعَلُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب (٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٩-٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٧٢-٣٧٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ وهي قول: لا إله إلا الله ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ قال ابن عباس: «فمنها يصير الخير إليه»^(١)؛ يعني: له من تلك الحسنه خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان، فلا؛ فإنه ليس شيء خيراً من قول: لا إله إلا الله.

﴿ وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ قرأ الكوفيون: (فَزَعٍ) بالتنوين (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم؛ أي: فزع شديد، وقرأ الباقون: بغير تنوين على إضافة (فَزَعٍ) إلى (يَوْمَئِذٍ)؛ لأنه أعم؛ فإنه يقتضي الأمن من فزع ذلك اليوم، ويفتح نافع وأبو جعفر ميم (يَوْمَئِذٍ)، ويكسرهما الباقون^(٢).

﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٠].

[٩٠] ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ الشرك ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ أي: ألقوا رؤوسهم.

﴿ فِي النَّارِ ﴾ ويقال لهم تكبياً:

﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي والشرك؟!!

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٩٣٥/٩)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣٨٧/٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٧٣-٣٧٤).

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ ﴾ أي : قل يا محمد لقومك : إنما أمرت .

﴿ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ يعني : مكة ﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي : جعلها حرماً آمناً ، لا يسفك فيها دم ، ولا يظلم أحد ، ولا يصاد صيد ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ بالملك والعبودية .

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي : عابداً لله .

﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۗ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ واتل معناه : تابع بقراءتك بين آياته ، واسرُد .

﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ ﴾ إلى الإسلام ﴿ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ أي : فلنفسه ثوابه .

﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ عن الإيمان ، وأخطأ طريق الهدى .

﴿ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ المخوفين ، فليس علي إلا التبليغ للرسالة ، وهذا نسخ بآية السيف .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرِكُمْ ۗ أَيْنَهُ ۗ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمه ﴿ سَيَرِكُمْ ۗ أَيْنَهُ ﴾ وعدُّ بعذاب الدنيا ؛

كبدر والفتح ونحوهما ، وبعذاب الآخرة .

﴿فَنَعْرِفُونَهَا﴾ أنها آيات الله حين^(١) لا تنفع المعرفة .

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم . قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب للكفار، وقرأ الباقون: بالغيب إخباراً عنهم^(٢)، والله أعلم .



(١) «حين» ساقطة من «ش» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٧٥) .

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية، إلا قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية: ٥٢ إلى ٥٥]، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة بالجحفة وقت هجرة النبي ﷺ، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ [الآية: ٨٥]، وآيها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: خمسة آلاف وثمانين حرف، وكلمها: ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾

[١] ﴿طَسَمَ﴾ تقدم الكلام عليه ومذاهب القراء فيه أول الشعراء.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن مبينٌ للأحكام.

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[٣] ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ نقص عليك شيئاً من خبرهما.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق الذي لا شك فيه .

﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون بأن ما تأتيهم به صدق .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ
يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٤] .

[٤] ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ﴾ استكبر وتجبر ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مصر .

﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ فرقاً مختلفة في خدمته .

﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ هم بنو إسرائيل ، ثم فسر الاستضعاف فقال :

﴿ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ والسبب في ذلك : أن كاهناً قال له :

يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده ، فطمع بجهله أن يرد
القدر ، وسُمي : هذا استضعافاً ؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن
أنفسهم .

﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ فكذلك اجترأ على خلق كثير من أولاد الأنبياء

كما تقدم في سورة البقرة لتخيل فاسد .

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٥] .

[٥] ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : بني

إسرائيل ، يستضعفهم فرعون ، ونحن نريد أن ننعلم ونعظم المن عليهم ،
ولما كانت إرادة الله تعالى بالمنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة ،

جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم .

﴿ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً ﴾ قادة يقتدى بهم في الخير . وتقدم اختلاف القراء في (أَيْمَةً) في سورة الأنبياء عند قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً ﴾ [الآية: ٧٣] .

﴿ وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أملاك فرعون والقبط .

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ .

[٦] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ نوطن لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مستقراً .

﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ﴾ من بني إسرائيل .

﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ يتوقون مما أخبرهم به الكاهن ؛ أي : سيظهر للقبط ما كانوا يخافونه . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (وَيَرَى) بالياء وفتحها ، وإمالة فتحة الراء بعدها ، ورفع الأسماء الثلاثة فاعلين ، وقرأ الباقون : بالنون وضمها وكسر الراء ، ونصب الأسماء الثلاثة مفعولاً^(١) .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَاكْلِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

[٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ يوحابد بنت لاوا، وحي إلهام لا نبوة .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٠) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٥) .

﴿أَنْ أَرْضِعِيَّهُ﴾ ما أمكنك إخفاؤه، ولما وضعت موسى أمه، وخرجت القابلة من عندها، رآها بعض العيون، فقالت أخته: هذا الحرسي بالباب، فألقته أمه في التنور وهو يُسَجَر، فدخلوا فقالوا: ما شأن هذه القابلة عندك؟ قالت: هي مصافية لي فأرضعته ثمانية أشهر، وقيل: أربعة، وقيل: ثلاثة.

﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾ القتل ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر، والمراد هنا: النيل.

﴿وَلَا تَخَافِ﴾ عليه الغرق ولا الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِ﴾ على فراقه.

﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ﴾ لتربيته ﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فجمع في (١) هذه الآية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين، والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق لمتوقع، والحزن خوف يلحق لواقع، فخافت عليه، فوضعت في تابوت مطبق، ثم ألقته في النيل ليلاً (٢).

﴿فَالنَّقْطَةُ: أَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

[٨] وكان لفرعون ابنة يحبها، وبها برص، فوصفوا لها ريق حيوان شبه الإنسان يخرج من النيل يوم كذا عند طلوع الشمس، تلتطخ به وجهها، فتبرأ، فأقبل التابوت على وجه الماء، فقال فرعون: عليّ به.

(١) «في» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤٢٦/٣).

﴿فَاللَّقِطَةُ إِذْ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أخذوه، والالتقاط: هو وجود الشيء من غير طلب، وتقدم حكم اللقطة واللقيط في سورة يوسف (١).

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم.

﴿وَحَزْنًا﴾ يسبي (٢) نساءهم، واللام في (لِيَكُونَ) تشبه لام (كي)، وتسمى لام العاقبة، ولام الصيرورة؛ لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وحزناً) بضم الحاء وسكون الزاي، والباقون: بفتحهما، لغتان (٣) بمعنى.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ في كل شيء؛ لأنهم قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوا موسى ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، ففتح التابوت، فوجدوا فيه طفلاً (٤) صغيراً في مهده بين عينيه نور، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يرضع منه لبناً، ولعابه يسيل، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوه من التابوت، عمدت إلى مكان يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، فقبلته وضمته إلى صدرها.

-
- (١) عند تفسير الآية (١٠).
- (٢) في «ش»: «يستعبد».
- (٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٥).
- (٤) «طفلاً» ساقطة من «ش».

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] وأحبه فرعون وزوجته آسية بنت مزاحم وابنته حباً شديداً، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك! إن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقاً، فاقتله، فهم فرعون بقتله، فثبطته عنه آسية، وكانت من خيار النساء من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، وكانت أمّاً للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم.

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ ﴾ أي: هو قرّة ﴿ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (امرأة) (قرّة) بالهاء فيهما^(١). ﴿ لَا نَقْتُلُوهُ ﴾ قال ﷺ: «لو قالت يومئذ: قرّة عين لي كما هو لك، لهداه الله كما هداها»^(٢)، فاستوهبت آسية موسى من فرعون، فوهبها إياه، فتوسمت فيه النجابة.

فقالت: ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ في مهامنا ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ نتبناه. ﴿ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴾ أن هلاكهم على يده، وسمته آسية موسى؛ لأن تابوته وجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم (مو)، والشجر (شا). قال ابن عباس: «لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: ﴿ عَسَىٰ

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٧/٥).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٩٤٤/٩).

أَنْ يَنْفَعَنَا ﴿١﴾ ، لنفعله الله ، ولكنه أبقى ؛ للشقاء الذي كتبه الله عليه» (١) .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه ؛ لأنها دهشت لما علمت أن فرعون قد التقطه، وكانت قد نسيت وعد الله بسلامته .

﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أي : بأمر موسى ، وتبوح بسرها .
﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : شددنا عليه بالصبر والعصمة .
﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧] .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ ﴾ مريم : ﴿ قُصِّيهِ ﴾ اتبعي أثره ، وانظري فيه .
﴿ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ ﴾ أي : بعد .

روي أنها كانت تمشي جانباً، وتنظر إليه مزورة اختلاصاً، تري أنها لا تنظره .

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٩٧) .

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته، وأنها ترقبه .

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] وكان همُّ امرأةِ فرعون من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكلما أتوه بمرضعة، لم يأخذ ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ جمع مرضعة؛ أي: منعناه عن شرب لبن غير أمه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل قصّها أثره .

﴿فَقَالَتْ﴾ أخته حين رأت ذلك :

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ يضمونه ﴿لَكُمْ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قُتل ولدها، فأحبتُ شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه .

﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ والنصح: ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، فقال لها همامان: قد عرفت أهله؟ قالت: إنما قلت: هم للملك ناصحون، قالوا: نعم .

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] فجاءت بأمها وهو يصيح بعد أن مكث ثمانني ليال لا يقبل ثدياً، وهم في طلب مرضعة له، فلما شم ريحها، قبل ثديها، فقال فرعون: من أنت حتى قبل ثديك؟ قالت: إني طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي

إلا قبل ثديي، فدفعه إليها، وأجرى أجرتها عليها، فكانوا يعطونها كل يوم ديناراً^(١)، وأخذتها؛ لأنها مال حربي، لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها، فذهبت به إلى بيتها، فذلك قوله تعالى:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برد موسى إليها ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بفراقه.

﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة.

﴿أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ﴾ الذي وعدها به ﴿حَقٌّ﴾ برده إليها.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحة ذلك، فمكث عندها إلى أن فطمته، وردته، فتبناه فرعون وآسية.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٤).

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ اعتدلت قوته، وبلغ أربعين سنة، وهو سن بعث الأنبياء.

﴿ءَاتَيْنَاهُ﴾ قبل نبوته ﴿حُكْمًا﴾ حكمة وفقهاً ﴿وَعِلْمًا﴾ بمصالح الدارين، فكان يتكلم بالحق، وينكر عليهم قبل النبوة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤٢٨/٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢٢٣/٦).

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَدَخَلَ ﴾ موسى ﴿ الْمَدِينَةَ ﴾ هي مدينة منف من أرض مصر، وتقدم ذكرها في سورة يوسف، وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره. روي أن فرعون خاف من موسى، فأخرجه من مدينته، فغاب عنها سنتين، حتى كبر واشتد، فدخلها مستخفياً ﴿ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ ﴾ وقت غرة ﴿ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ يوم عيد لهم، وهم مشغولون بلهوهم.

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ ﴾ إسرائيلياً وقبطياً ﴿ يَقْتَتِلَانِ ﴾ يختصمان .
﴿ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ ﴾ أتباعه، روي أنه السامري ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ من القبط الذين هم على دين فرعون .

﴿ فَاسْتَعْتَهُ ﴾ طلب منه العوث ﴿ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ ﴾ وهو الإسرائيلي .
﴿ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ وهو القبطي، وكان موسى قد أعطي شدة عظيمة .
﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى ﴾ بالعصا، ولم يتعمد قتله، بل أراد دفع ظلمه .
﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ فقتله، فندم، فدفنه في الرمل .

و ﴿ قَالَ هَذَا ﴾ القتل ﴿ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي : بسببه ؛ لأنه هيج غضبي .
﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر العداوة، وهذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة، والسورة تدل عليه .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بقتل القبطي من غير أمر .

﴿ فَاغْفِرْ لِي ﴾ ذنبي ﴿ فَغَفَرَ لَهُ ﴾ لاستغفاره .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ ﴾ لذنوب عباده ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بهم .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ ﴾ أي : بإنعامك ﴿ عَلَيَّ ﴾ بالمغفرة والقوة
والحكم ، قسم محذوف الجواب ، تقديره : أقسم بما أنعمت لأتوبن ،
وتفسير الجواب .

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ عوناً ﴿ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ للكافرين ، وهذا يدل على أن
الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً ، قال ابن عباس : « لم يستثن ،
فابتلي من الغد »^(١) .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ
قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا ﴾ على نفسه ، ونصبه على الحال .

﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ ينتظر المكروه بأن يستعاد .

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/٤٣١) .

﴿فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيثه، ويصيح به من بعد على قبطي آخر، قال ابن عباس: أتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا واحداً، فخذ لنا حقنا، فقال: ابغوا لي قاتله، ومن يشهد عليه، فلا نستقيم أن نقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي^(١).

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ أي: قال للإسرائيلي:

﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الغواية؛ لأنك تسببت لقتل رجل، وتقاتل آخر.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

[١٩] وكان موسى قد غضب غضباً شديداً ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ قرأ أبو جعفر: (يَبْطِشَ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها^(٢)، وذلك أن موسى أدركته الرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يقصد قتله؛ لمكان غضبه، وسمع قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨) في حديث طويل.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢/٥).

فثم ﴿ قَالَ ﴾ الإسرائيلي : ﴿ يَمْوَسَىٰ أُرِيدُ أَنْ تَمُوتَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۚ إِنَّ
 تُرِيدُ ﴾ أي : ما تريد ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ بالقتل ظلماً .
 ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ فلما قال ذلك ، علموا حينئذ من قاتل
 الأول ، فوصل ذلك إلى فرعون ، فهُمُّوا بقتل موسى .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ ابْنَ الْوَالِدِ الْيَاقُونَ بِكَ
 لَيْقَتُلُوكَ فَخَرِّجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] قلما أرسل فرعون الذباحين لقتله ، أخذوا الطريق الأعظم .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ ﴾ مؤمن ، وكان ابن عم فرعون ، واسمه خرييل ، وقيل غيره ،
 وهو مؤمن آل فرعون .

﴿ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ آخرها .

﴿ يَسْعَى ﴾ أي : يسرع في مشيه ، فأخذ طريقاً قريباً حتى يسبق إلى موسى ،
 فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر .

﴿ قَالَ يَمْوَسَىٰ ابْنَ الْوَالِدِ الْيَاقُونَ بِكَ ﴾ يعني : أشرف قوم فرعون
 ﴿ يَاقُونَ بِكَ ﴾ أي : يتشاورون بسببك .

﴿ لَيْقَتُلُوكَ فَخَرِّجْ ﴾ من المدينة ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ في الأمر
 بالخروج .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ ﴾ موسى ﴿ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ التعرُّض له في الطريق .

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ، فلما أخبر فرعون بهربه ، بعث في طلبه ، فقال : اركبوا بنيان الطريق ؛ فإنه لا يعرف الطريق .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .

[٢٢] وخرج موسى هارباً بلا زاد ولا ظهر ، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه ، وما وصل إلى مدين حتى وقع خفٌ قدميه .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قصدها ماضياً إليها ، وهي قرية شعيب ، سميت بمدين بن إبراهيم ، وهي على بحر القلزم ، وتقدم ذكرها في سورة الأعراف^(١) وطه ، وهي على مسيرة اثني عشر يوماً من مصر ، وكان موسى لا يعرف طريقها ، فلذلك .

﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق ووسطه إليها ، فبعث إليه ملك ، فدلّه على الطريق . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (رَبِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(٢) .

(١) عند تفسير الآية (٨٥) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢/٥) .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ
 مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي إِلَّا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ
 وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أي: وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها
 مواشيهم ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم .
 ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ﴾ من مكان أسفل منهم ﴿ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ تَكْفَانُ
 غنمهما عن الماء؛ لئلا تختلط بغنم القوم؛ لضعفها عن السقي معهم .
 ﴿ قَالَتَا مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي ﴾ غنمنا معهم؛ لعجزنا ﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ حتى
 يصرفوا مواشيهم عن الماء؛ لأننا لا نستطيع أن نزاحم الرجال . قرأ
 أبو جعفر، وابن عامر، وأبو عمرو: (يُصْدِرُ) بفتح الياء وضم الدال على
 اللزوم؛ أي: يذهب الرعاء بمواشيهم عن الماء، والباقون: بضم الياء
 وكسر الدال^(١)، فالمفعول محذوف؛ أي: يصدر الرعاء مواشيهم من
 الماء، وأشَمَّ الصاد الزاي حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس، والرعاء
 جمع راع؛ كتاجر وتجار .

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ لا يقدر على رعي الغنم، وهو شعيب، وهو نبي
 القوم، وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله، قال لهما موسى: وهذا الماء لهم

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)،
 و«تفسير البغوي» (٣/٤٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢/٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣/٥).

خاصة؟ قالتا: لا، بل لجميع الخلق، وكانوا إذا فرغوا، عمدوا إلى حجر عظيم لا يرفعه إلا عشرة نفر يطبقونه على رأس البئر؛ لئلا يقدر على تنحيته.

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [٢٤].

[٢٤] فسكت موسى - عليه السلام - حتى فرغ الناس من سقي أغنامهم، فأطبقوا الحجر، وانصرفوا، فقام موسى، وقال للمرأتين: قربا أغنامكما من الحوض، ثم إنه تقدم إلى البئر، وضرب الصخرة برجله، فدحاها أربعين ذراعاً على ضعفه من الجوع وسقوط خُفِّ قدمه.

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ أغنامهما.

﴿ ثُمَّ ﴾ بعد فراغه ﴿ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ كان ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع.

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طعام قليل أو كثير.

﴿ فَقِيرٌ ﴾ محتاج.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آئِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] فانصرفت المرأتان إلى أبيهما شعيب، فأخبرته بما كان، فقال

لإحداهما: اذهبي فأتيني به ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْسِيًّ عَلَىٰ أَسْتَحْيَاءٍ﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء منه، فأومأت إليه .

و﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أجر سقيك، فقام موسى، ومرت المرأة بين يديه، فكشفت الريح عن ساقها، فقال لها موسى: تأخري ورائي، ودليني على الطريق، فتأخرت، وكانت تقول: عن يمينك، وشمالك، وقدامك، حتى وقف على باب شعيب^(١)، فلما ردت المرأة لأبيها، وأخبرته، فأذن له بالدخول، وشعيب يومئذ شيخ كبير، وقد كُفَّ بصره، فسلم موسى عليه، فرد عليه السلام، وعانقه، ثم أجلسه بين يديه، وكان قد هُييء العشاء، فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال: معاذ الله، فقال شعيب: أأست جائعاً؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نَقْرِي الضيف، ونطعم الطعام، فأكل على اسم الله، فلما فرغ من أكله، حمد الله، وأثنى عليه بالجميل، ثم سأله شعيب عن حاله وقصته .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَفَّصَ عَلَيْهِ الْقَبْصَ﴾ من حين مولده إلى حين جاءه .

﴿قَالَ﴾ له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجْوَتَ مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن له سلطان على مدين .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٦٠). عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٣٥).

﴿ قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَأْتِبَ اسْتَعْرَهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعْرَتِ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَأْتِبَ اسْتَعْرَهُ ﴾ اتخذهُ أجيراً يرعى غنمنا .

﴿ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعْرَتِ الْقَوِيُّ ﴾ على العمل ﴿ الْأَمِينُ ﴾ فقال لها أبوها :
وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت : أما قوته ، فإنه رفع الحجر من رأس البئر ،
لا يرفعه إلا عشرة ، وأما أمانته ، فإنه قال لي : امش خلفي حتى لا تصف
الريح بدنك . قرأ أبو جعفر ، وابن عامر : (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع على
تقدير : يا أبتاه ، ووقفوا (يَا أَبَهُ) بالهاء الساكنة ، ووافقهما على الوقف ابن
كثير ، ويعقوب ، وقرأ الباقون ، ومنهم ابن كثير ، ويعقوب : بكسر التاء
لأن به ، والجزم يحرك إلى الكسر^(١) .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحَدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي
حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٢٧].

[٢٧] فرغب شعيب في تزويجه .

و ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحَدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ واسمها صافوراء ، وهي
التي ذهبت إليه وطلبت استئجاره . قرأ ابن كثير : (هَاتَيْنِ) بالمد وتشديد
النون^(٢) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٦٠ و ١٢٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن
الجزري (٢ / ١٣١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ١٥) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ٩٥) ، =

﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيراً ﴿ثُمَّ لِنَفْسِي حِجَابٌ﴾ أي: سنين، منصوب على الظرف، واحدها حجة .

﴿فَإِنْ أَتَمَّمْتَ عَشْرًا﴾ أي: خدمة عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ تبرُّع لا إلزام مني .

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ يلزام أتم الأجلين .

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بما قلت . قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّي أُرِيدُ) (سَتَجِدُنِي) بفتح الياء فيهما، وقرأ الباقون: بإسكانهما فيهما^(١) .

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ .

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الشرط .

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ لا تخرج عنه .

﴿أَيَّمَا الْأَجَلِينَ﴾ أي: أيَّ الأجلين، و(ما) صلة ﴿قَضَيْتُ﴾ أتممت، الثمان أو العشر ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ فلا يُعتدى ﴿عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة على أحدهما .

= و«معجم القراءات القرآنية» (١٦-١٥/٥) .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦-١٥/٥) .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ مَا نَقُولُ وَكَئِيلٌ﴾ حفيظ، فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين، وزَوَّجَه ابنته صافوراء، ودخل موسى البيت، وأقام يرعى غنم شعيب عشرَ سنين .

والإجارة: بيع المنفعة بعوض، وهي - بكسر الهمزة -: مصدر أجره يأجره أجرًا، وإجارة، فهو مأجور، واشتقاقها من الأجر، وهو العوض، ومنه سمي الثواب أجرًا، ومن شرط صحتها أن تكون المنفعة والعوض معلومين بالاتفاق، فإذا استأجر رجل رجلاً لعمَل معين؛ كخياطة ثوب، أو بناء حائط، أو رعي غنم، ونحو ذلك بأجرة معلومة، صح بغير خلاف .

وتقدم ذكر الخلاف في منافع الحر، هل يجوز أن تكون صداقاً؟ في سورة النساء، وأما إجارة الملك في العقار ونحوه، فتصح مدة معلومة، وإن طال، بالاتفاق، واختلفوا في إجارة الوقف، فقال أبو حنيفة: لا تزد على ثلاث سنين، وقال مالك: تجوز سنتين، ولمن مرجعها له عشر سنين، وقال الشافعي وأحمد: تجوز مدة يمكن فيها بقاء العين غالباً، وهي عند أبي حنيفة عقد جائز تنفسخ بموت أحد المتعاقدين إن عقدها لنفسه، وإن عقدها لغيره لا تنفسخ؛ كالوكيل والوصي ومتولي الوقف لبقاء المستحق عليه والمستحق، حتى لو مات المعقود له صارت عند مالك والشافعي وأحمد عقداً لازماً لا تنفسخ بالموت، والوارث قائم مقامه، وإذا كانت الأجرة مؤجلة، فمات المستأجر، فمذهب أحمد أن الأجرة على حكمها في التأجيل، وتقدم بها وارثه مؤجلة، وعند مالك والشافعي تحل الأجرة بالموت .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ ءَأَنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۚ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَأَنسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ المشروط بينهما؛ أي: أتمه، مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخرى، فأقام عنده عشرين سنة، ثم قصد المسير إلى أهله، فبكى شعيب، وقال: يا موسى! كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت؟! فقال له: قد طالت غيبتني عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي، فإنهم في مملكة فرعون، فقام شعيب، وبسط يديه، وقال: يا رب إبراهيم الخليل، وإسماعيل الصفي، وإسحاق الذبيح، ويعقوب الكظيم، ويوسف الصديق! رُدَّ قوتي وبصري، فأمن موسى على دعائه، فرد الله عليه بصره وقوته، ثم أوصاه بابنته.

﴿ وَسَارَ ﴾ موسى ﴿ بِأَهْلِهِ ﴾ نحو مصر ﴿ ءَأَنسَ ﴾ أبصر.

﴿ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ﴾ أي: من جهته ﴿ نَارًا ﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة، فضرب خيمته على الوادي، وأدخل أهله فيها، وهطلت السماء بالمطر والثلج، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق، فأراد أن يقده، فلم يظهر له نار، فاغتم لذلك، فلما رأى النار من بعيد.

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَأَهْلُهُ امْكُثُوا) بضم الهاء في

الوصل^(١).

(١) لم أفق عليها من قراءة أبي جعفر، وسلفت عند تفسير الآية (١٠) من سورة طه: أن ضمَّ الهاء في الوصل هي قراءة حمزة.

﴿إِنِّي آتَيْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق؛ لأنه كان قد أخطأ الطريق. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (إِنِّي آتَيْتُ) (لَعَلِّي آتِيكُم) بإسكان الياء فيهما، وافقهم ابن عامر في (إِنِّي آتَيْتُ)، وقرأ الباقون: بالفتح فيهما^(١).

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ قرأ عاصم: (جَذْوَةٍ) بفتح الجيم، وحمزة وخلف: بضمها، والباقون: بكسرها، وكلها لغات صحيحة^(٢)، معناها: قطعة غليظة من حطب فيها نار لا لهب لها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكْ إِيَّتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ﴾ من جانب.

﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ عن يمين موسى. قرأ يعقوب: (الْوَادِ) بإثبات الياء حالة الوقف.

﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ وهي القطعة من الأرض بلا شجر، وبركتها؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧/٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١-١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧/٥-١٨).

لأن الله كلم موسى فيها، وبعثه نبياً ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها، وهي شجرة عُنَاب .

﴿أَنَّ﴾ يحتمل أن تكون مفسرة؛ لأن النداء قول، أو مخففة من الثقيلة؛ أي: نوذي بأن .

﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١) .

﴿وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ .

[٣١] ﴿وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك .

﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، وتقدم اختلاف القراء في (رآها) في سورة الأنبياء .

﴿وَلَّىٰ مُدَبِّرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت، فنودي:

﴿يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ عن المخاوف .

﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنبُكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩/٥) .

[٣٢] ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ هو القميص ، وتقدم الكلام عليه في سورة

النمل .

﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ بَرَصٌ ، فخرجت لها شعاع كضوء الشمس .

﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي : يدك ﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ قرأ نافع ،

وأبو جعفر ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وابن كثير : (الرَّهَبِ) بفتح الراء والهاء ، ورواه حفص عن عاصم : بفتح الراء وإسكان الهاء ، وقرأ الباقون : بضم الراء وإسكان الهاء ، وكلها لغات بمعنى الخوف^(١) ، ومعنى الآية : إذا هالكَ أمرُ يدك ، وما ترى من شعاعها ، فأدخلها في جيبك ، تعدُّ إلى حالتها الأولى .

﴿فَذَانِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد البيضاء . قرأ أبو عمرو ، وابن كثير ، ورويس : بتشديد النون والمد ، وهي لغة قريش ، والباقون : بالتخفيف^(٢) ﴿بُرْهَانَانِ﴾ حجتان ومعجزتان .

﴿مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧١) ،

و«تفسير البغوي» (٣/٤٣٩) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٤١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠) .

(٢) المصادر السابقة ، إلا «تفسير البغوي» .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [٣٣]

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ بها . قرأ يعقوب :
(يقتلونني) بإثبات الياء^(١) .

﴿ وَأَخِي هَكْرُوبٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [٣٤]

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَكْرُوبٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ وإنما قال ذلك ؛ للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه .

﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ معيناً .

﴿ يُصَدِّقُنِي ﴾ بتلخيص الحق ، وتقرير الحجة ، لا أن يقول له : صدقت ، أو للجماعة : صدقوه ، يؤيد ذلك قوله قبل : ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره .

﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ يعني : فرعون وقومه . قرأ حفص : (معي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(٢) ، وقرأ نافع (رداً) منون غير مهموز بوزن سَوَى طلباً للخفة ، وقرأ أبو جعفر : (رداً) بالالف من غير تنوين في الحالين ، وقرأ

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١/٥) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٩٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١/٥) .

الباقون: بإسكان الدال وبالهمز والتنوين^(١)، **وقراً** عاصم وحمزة: (يُصَدِّقُنِي) برفع القاف على الحال؛ أي: رِءَاءً مُصَدِّقاً، **وقراً** الباقون: بالجزم جواباً لـ(أرسله)^(٢)، **وقراً** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّي أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٣)، **وقراً** ورش عن نافع: (يُكَذِّبُونِي) بإثبات الياء وصلماً، ويعقوب: بإثباتها في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما^(٤).

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ [٣٥].

[٣٥] ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ سنقويك بأخيك، والعضد: قوام اليد، وبشدتها تشتد، وهو ما بين المرفق والكتف، ويقال للضعيف: هو يد بلا عضد، وكان هارون يومئذ بمصر.

﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا ﴾ قوة بالعصا، وحجة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢-٢٣).

﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا ﴾ أي: تمتنعان منهم بأياتنا، فلا يصلون إليكما بسوء .

﴿ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ أي: لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ .

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ واطحات .
﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى ﴾ مختلف ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ الذي تدعونا إليه ﴿ فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ كائناً في أيامهم .

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَى ﴾ قرأ ابن كثير: (قَالَ مُوسَى) بغير واو؛ كما هي في مصحف أهل مكة على الاستثفاف، وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم^(١)؛ لأنه عطف جملة على جملة .

﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ بالمحوق من المبطل .
﴿ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أي: العقبى المحمودة في الدار الآخرة .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤) .

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: الكافرون لا ينجح سعيهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ أَعْلَمُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(١)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَكُونُ لَهُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء؛ لتأنيث العاقبة^(٢).

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٣٨).

[٣٨] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ نفى علمه بإله غيره دون وجوده؛ إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم، ولذلك أمر ببناء الصرح؛ ليصعد إليه، ويطلع على الحال بقوله:

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ ﴾ اجعله أجراً، وهو أول من عمله.

﴿ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ قصراً عالياً.

﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ ﴾ أصعد ﴿ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ فأقتله.

﴿ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ ﴾ أي: موسى في ادعائه إلهاً غيري.

﴿ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ يقول هذا جهلاً وتمويهاً على قومه. قرأ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤).

الكوفيون، ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون بفتحها^(١).

وكان من قصة الصرح: أن هامان جمع خمسين ألف بناءً وصانع، وأخذوا في ذلك، وأسسوا حتى بنوا الصرح، وارتفع في الهواء ارتفاعاً لم يبلغه أحد من الخلق، أراد الله أن يفتنهم فيه، واشتد ذلك على موسى وهارون؛ لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه، فلما فرغوا منه، ارتقى فرعون فوقه، وأخذ سهماً، فرمى به نحو السماء، فرد إليه وهو ملطخ دماً، قال: قد قتلت إله موسى، ثم أمر الله جبريل - عليه السلام - أن يهدم الصرح، فجعل عاليه سافله، وهلك تحته ألف ألف رجل من عسكر فرعون، ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك؛ ممن كان على دين فرعون^(٢).

﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾^[٣٩].

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير استحقاق.

﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/٥٨١) عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٤١).

ويعقوب، وخلف: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء، وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم^(١).

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر.

﴿ فَاَنْظُرْ ﴾ يا محمد.

﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ وحذّر قومك من مثلها.

قال ﷺ حكاية عن الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في النار»^(٢).

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَئِكَ سَاءَ مَا يَصْرُفُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ .

[٤١] ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً ﴾ قدوة للضلال، ورؤساء ﴿ يُدْعُونَ إِلَى ﴾ عمل

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، وابن ماجه (٤١٧٥)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، وغيرهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، وهذا لفظ ابن ماجه.

أهل ﴿النَّارِ﴾ وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (أئمة) أول السورة .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يُمنعون من العذاب .

﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا وعذابًا .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المشوهين بسواد الوجه وزرقة العيون .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَآئِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ يعني : قوم نوح وعاد وشمود وغيرهم .

﴿بِصَآئِرٍ﴾ جمع بصيرة، وهي نور القلب؛ كالبصر نور العين
﴿لِلنَّاسِ﴾ فقط؛ ليصروا ذلك الكتاب، ويهتدوا به ﴿وَهَدَىٰ﴾ من الضلالة
﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بما فيه من المواعظ .

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ وَمَا كُنْتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ﴾ أي: بجانب غروب الشمس من الطور، وهو الذي كان فيه الميقات؛ حيث ناجى موسى ربه .
﴿ إِذْ قَضَيْنَا ﴾ أي: عهدنا ﴿ إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ ﴾ بالرسالة إلى فرعون .
﴿ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ الحاضرين ذلك المقام، فتذكره من ذات نفسك .

﴿ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ وَلَكِنَّا ﴾ أوحينا إليك ذلك، وأوحينا إليك أنا .
﴿ أَنْشَأْنَا ﴾ بعد عهد الوحي إليه إلى عهدك ﴿ قُرُونًا ﴾ كثيرة .
﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ﴾ أي: على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيه .
﴿ الْعُمُرُ ﴾ أي: أمد انقطاع الوحي، فجددنا بك العهد .
﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا ﴾ مقيماً ﴿ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ كمقام موسى وشعيب .
﴿ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ﴾ على أهل مكة ﴿ ءَايَاتِنَا ﴾ أي: لم تشاهد ما تقدمك، فتخبر به أهل مكة .

﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ إليك بأخبار المتقدمين، فتتلوها عليهم .

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ ﴾ ناحية الجبل .

﴿ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ ليلة المناجاة، والمعنى: لو لم نوح إليك هذا كله، ما علمت .

﴿ وَلَكِنْ ﴾ أعلمناك ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم أهل مكة .
﴿ مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن أهل مكة لم يجئهم نذير قبل محمد ﷺ، وكانوا في فترة بينه وبين عيسى عليه السلام، وهي مدة تقرب من ست مئة سنة .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون .

﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الكفر والمعاصي، وجواب (لولا) محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: لعاجلناهم بما يستحقونه من العقوبة .

﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا ﴾ هَلَّا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ ينذرنا .

﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين، فأرسلناك؛ لتزول حجتهم، وينقطع عذرهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:

[١٦٥].

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ ﴾

[٤٨] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ يعني : القرآن، ومحمد ﷺ .

﴿ قَالُوا ﴾ كفار مكة : ﴿ لَوْلَا أُوتِيَ ﴾ هَلَّا أُعْطِيَ محمد .

﴿ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ من التوراة وغيرها من الآيات .

قال الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﷺ .

﴿ قَالُوا سِحْرَانِ ﴾ أي : موسى ومحمد ﴿ تَظَاهَرَا ﴾ تعاونا، وهذا قول العرب، وقيل المراد : موسى وهارون، وهو قول من لم يؤمن بهما في زمانهما . قرأ الكوفيون : (سِحْرَانِ) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها؛ أي : التوراة والقرآن، يعني : كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى السحريين على الاتساع، وقرأ الباقون : بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء، على المعنى الأول^(١) .

﴿ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ ﴾ منهم من كتبهم ﴿ كَفْرُونَ ﴾ وكان العرب قد بعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم أنه صادق، وأن نعته وصفته عندهم .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٥)، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦) .

﴿ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ يعني: التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبَعُهُ ﴾ جواب ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في قولكم .

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ولما كان (فاتوا) أمراً، والأمر يقتضي الإجابة، قال:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ دعاءك إلى الإتيان بكتاب .

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ في كفرهم .

﴿ وَمَنْ ﴾ استفهام نفي .

﴿ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾؟ المعنى: لا أحد أضل

ممن اتبع هواه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أنفسهم باتباع الهوى .

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ أي: أنزل عليهم القرآن متواصلاً .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة، فيؤمنون .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ونزل في علماء المؤمنين من أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، مبتدأ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ ^(١) الضمير للقرآن، وخبر (الذين): ﴿ هُمْ بِهِ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ لأنه مذكور في كتبهم .

﴿ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن ﴿ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل وجوده ونزوله ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ مؤمنين بمحمد ﷺ .

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ أي: يضعف لهم أجرهم ضعفين؛ لإيمانهم بالكتابين ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ على العمل بالشريعتين ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في الطاعة .

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٢٩٨٨-٢٩٨٩).

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بِنَعْيِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ القبيح من القول، واللغو من الكلام: ما هو ساقط العبرة، وهو الذي لا معنى له ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون: تبا لكم، تركتم دينكم، فيعرضون عنهم، ولا يردون عليهم.

﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾ فكلُّ مطالب بعمله.

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلام توديع ومشاركة، وليس هو سلام التحية؛ أي:

لا نعارضكم في شيء ما؛ لأننا.

﴿ لَا بِنَعْيِ الْجَاهِلِينَ ﴾ لا نطلب صحبتهم؛ لثلاث نكوت مثلهم، والجهل نقيصة، وهو معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٥٦].

[٥٦] ولما حرص النبي ﷺ في إيمان أبي طالب، نزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (١) هدايته ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

فيدخله في الإسلام.

(١) رواه البخاري (٣٦٧١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة أبي طالب، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره =

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك .

﴿ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا
ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾ [٥٧] .

[٥٧] ﴿ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفَ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ أي : يأخذنا العرب
لقتلنا، والقائلون قريش، وسبب نزولها: أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن
عبد مناف قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكننا إن اتبعناك
على دينك، خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة، والاختطاف: الانتزاع
بسرعة، فنزل توبيخاً لهم:

﴿ أَوْلَمَ نُمَكِّنْ لَهُمْ ﴾^(١) نسكنهم ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ يأمنون فيه العدو
والخسف مع كفرهم، فكيف لو أسلموا؟! إن العرب كانت تغير بعضهم
على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون؛ حيث كانوا لحرمة
الحرم.

﴿ يُجِئَ ﴾ يجمع، ويحمل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ورويس عن
يعقوب: (تُجِئُ) بالياء على التأنيث؛ لأجل الثمرات، وقرأ الباقر: بالياء

= الموت ما لم يشرع في النزاع وهو الغرغرة، عن سعيد المسيب، عن أبيه -
رضي الله عنه - .

(١) انظر: «السنن الكبرى» للنسائي (١١٣٨٥)، و«أسباب النزول» للواحيدي (ص:
١٩٥).

على التذكير؛ للحائل بين الاسم المؤنث والفعل^(١) ﴿ثَمَرْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مما به صلاح حالهم وقوام أمرهم .

﴿رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ ونصبه حال من (ثمرات) .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما تقوله حق؛ لأنهم جهلة لا يتفطنون

له .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيْشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ أَهْلِ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيْشَتَهَا﴾ والبطر:

الطغيان في النعمة . قال ﷺ: «[فاضوا] في البطر، فأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام»^(٢) .

﴿فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا﴾ أي: يسكنها المارة والمسافرون ساعة أو يوماً .

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ﴾ جميع المخلوقات .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٨) .

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/٤٤٨)، عن عطاء من قوله .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾ في كل زمان .

﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ ﴾ أي : في أعظمها ﴿ رَّسُولًا ﴾ يذرهم ؛ لأن الرسل
إنما تبعث غالباً إلى الأشراف ، وهم غالباً يسكنون المدن ، وقيل : المراد بأم
القرى ها هنا : مكة ، وبالرسول : محمد ﷺ . قرأ حمزة ، والكسائي : (إِمَمًا)
بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً ، وإذا ابتداءً ، ضمها ، وبه قرأ الباقون في
الحالين (١) .

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ ترغيباً وترهيباً .

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ أي : مشركون ؛ أي :
أهلكتهم بظلمهم .

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ من أسباب الدنيا ﴿ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا ﴾ تتمتعون بها أيام حياتكم ، ثم أنتم وهي إلى فناء .
﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ لأنه مستمر .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٩٤) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للديماطي (ص :
٣٤٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٩/٥) .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أن الباقي خير من الفاني . قرأ أبو عمرو : (يَعْقِلُونَ) بالغيب ، وهو أبلغ في الموعظة ، وقرأ الباكون : بالخطاب ، وهو وجه من أبي عمرو ، إلا أن الأشهر عنه الغيب^(١) .

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾^(٦١) .

[٦١] فبعد ذكر الحياة الدنيا ، وما عند الله ، وتفاوتهما ، عَقَّبَهُ بالفاء مدخلاً عليها همزة الاستفهام ، فقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ هو الجنة .

﴿ فَهُوَ لَاقِيهِ ﴾ صائر إليه .

﴿ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ويزول عن قريب .

﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ في النار؟! .

روي أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل ، وقيل : نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل ، وقيل : في عمار والوليد بن المغيرة ، وقيل : في المؤمن والكافر^(٢) . قرأ الكسائي ، وقالون ، وأبو جعفر بخلاف عنه : (ثُمَّ هُوَ) بإسكان الهاء تخفيفاً ، والباكون : بضمها^(٣) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٧٢) ، و«تفسير البغوي» (٣/٤٤٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٩/٥) .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» (٩٧/٢٠) ، و«أسباب النزول» للواحدي (ص : ١٩٥) .

(٣) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٢) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

في الحديث: «من كانت الدنيا همّه، جعل الله فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همّه، جعل الله الغناء في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١).

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم شركائي في الدنيا؟

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ ثبت عليهم مقتضاه، وهو: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] وهم رؤوس الكفر:

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، لم نكرهم على الغي، إنما غووا باختيارهم، مع تسويلنا لهم.

﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ منهم ومن كفرهم، فصرنا أعداء، وكذبوا علينا.

﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ إنما عبدوا أهواءهم.

= (٢/٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٠/٥).

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠)، وغيرهما، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - .

﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [٦٤].

[٦٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً:

﴿ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ استعينوا بالهتكم ؛ لتخلصكم من العذاب .

﴿ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ لم يجيبوهم بنفع ؛ لعجزهم .

﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ لأربابهم ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ جوابه محذوف ؛ أي :

لما اتبعوهم في الدنيا، ولما رأوا العذاب في الآخرة .

﴿ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [٦٥].

[٦٥] ﴿ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ ﴾ أي : يسأل الله الكفار .

﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين دعوهم إلى الله، وهذا النداء

كالأول، ويحتمل أن يكون كل منهما بواسطة من الملائكة، ويحتمل غير ذلك .

﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٦٦].

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَّتْ ﴾ خفيت ﴿ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴾ الأخبار .

﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبر .

﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾
الناجين، و(عسى) حرف ترجى، وهو من الله واجب .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ولما قال المشركون: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ
عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي،
نزل جواباً لهم: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾^(١) لا مانع له .
﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ أي: ليس لهم الاختيار في شيء، ثم نزه نفسه
تعالى فقال: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به .

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تخفي .
﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يُظهرون .

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحدى (ص: ١٩٥) .

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٧٠) .

[٧٠] ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ ﴾ أي : هو مستحقه .

﴿ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ يحمده أولياؤه في الدارين .

﴿ وَلَهُ الْحُكْمُ ﴾ فصل القضاء بين الخلائق .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنشور . قرأ يعقوب : (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر

الجيم ، والباقون : بضم التاء وفتح الجيم (١) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١) .

[٧١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني يا أهل مكة .

﴿ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ دائماً .

﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ لا نهار معه .

﴿ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ بنهار تطلبون فيه المعيشة .

﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ سماع فهم وقبول ، وقرن بالضياء السمع ؛ لأن

السمع [يدرك] للأبصار البصر . قرأ قبل عن ابن كثير : (بِضِيَاءٍ) بهمزتين ، والباقون : بفتح الياء والهمز بعدها (٢) ، واختلاف القراءة في (أَرَأَيْتُمْ) =

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص : ٣٤٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣١ / ٥) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٠) ، و«الغيث» للصفاسي =

كاختلافهم في (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ) في سورة الفرقان [الآية : ٤٣].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٧٢].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

لا ليل فيه .

﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ استراحةً عن متاعب

الأشغال .

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قدرة الله ، فتوحدون؟! وقرن بسكون الليل البصر؛

لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون .

﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٣].

﴿ [٧٣] وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ أي : في الليل .

﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ بالنهار .

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعم الله سبحانه .

= (ص : ٣١٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٣١) .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٧٤).

[٧٤] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وكرر هذا المعنى إبلاغاً وتحذيراً، وهذا النداء هو ظهور كل ما وعد الرحمن على ألسنة المرسلين؛ من وجوب الرحمة لقوم، والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار، وذلة الكل لعزة رب العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار، فيقول الله لهم على معنى التوبيخ: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾!؟

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٧٥).

[٧٥] ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ أخرجنا في ذلك اليوم ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي: شاهداً، وهو رسولها، وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر، تقديره: ليشهد الشهيد على الأمة بخيرها وشرها.

﴿ فَقُلْنَا ﴾ للأمم على جهة استبراء الحججة والإعذار في المحاوراة: ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ حججتكم بأن الله شريكاً، فيسقط حينئذ في أيديهم. ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ في الإلهية، لا شريك له.

قال ابن عطية: ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند إرادة الحكم:

أَبَقِيَتْ لَكَ حِجَّةٌ؟^(١)

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٢٩٧).

﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الباطل في الدنيا .

﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَايَاتُنَا مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [٧٦] .

[٧٦] ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ هو اسم أعجمي؛ كهارون، فلذلك لم ينصرف، وهو ابن عم موسى على الأشهر؛ لأنه يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن فاهث، وفد من بني إسرائيل بإجماع، وآمن بموسى، واتبعه، وكان يلقب: المنور؛ لحسن صوته، وكان يقرأ التوراة من قلبه، وكان عاملاً لفرعون .

﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ترفع وجاوز الحد على بني إسرائيل؛ بظلمه وكفره وكثرة ماله، وخالف موسى، وكذَّبه .

﴿ وَءَايَاتُنَا مِنْ الْكُتُوبِ ﴾ الأموال المدخرة ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ (ما) موصولة، و(مفاتيحه) جمع مفتاح - بالكسر -، وهو الذي يُفتح به الباب .

﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ ﴾ أي: تُثقلهم، وتميل بهم إذا حملوها، وكان فقيراً جداً، فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى، وكانت تعرف ذلك، فرزق مالا عظيماً يُضرب به المثل على طول الدهر، وكان مفاتيح كنوزه تحمل على أربعين بغلاً، وقيل غير ذلك .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾ متعلق بقوله ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ والمراد بقومه: المؤمنون منهم ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ بحطام الدنيا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ البَطْرِين بِالْمَالِ، وَلَمْ يَشْكُرُوا عَلَى مَا أُعْطُوا.

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة، وهو أن تشكره على نعمه، وتنفق المال في رضاه.

﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ هو أن تأخذ ما يكفيك.
﴿ وَأَحْسِنَ ﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ فيما أنعم عليك
﴿ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ لا تعص؛ لأن من عصى الله، فقد طلب الفساد في الأرض.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لسوء أفعالهم.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [٧٨].

[٧٨] ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ ﴾ أي المال.

﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من ﴿ عِنْدِي ﴾ أي: علم الله فيَّ خيراً، فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بالمال عليكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عِنْدِي) بفتح

الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن ابن كثير^(١)، قال الله تعالى:

﴿أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ﴾ الكافرة.

﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، وهذا توبيخ له؛ لأنه كان قد

علم حال من تقدمه وهلاكه، فلم ينزجر.

﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه بهم، بل يدخلون النار بغير

حساب ولا سؤال.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٧٩).

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ في زينته على بغلة شهباء عليها سرج ذهب، ومعه أربعة آلاف فارس^(٢) ﴿فِي زِينَتِهِ﴾ عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية، عليهم الحلبي والديباج^(٣) ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ﴾ من المال ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ جدٌ وبختٌ عظيم من الدنيا.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٤٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٢/٥).

(٢) «فارس» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤٣٦/٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٢٩/٧).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقْلِقُهَا إِلَّا الْأَصْبِرُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

[٨٠] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ وهم أحبار بني إسرائيل الزاهدون في الدنيا لغابطي قارون: ﴿ وَيَلَكُمْ ﴾ وأصل وَيَل: الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر .

﴿ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ ﴾ صدَّق بتوحيد الله .

﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ مما أُوتي قارون في الدنيا .

﴿ وَلَا يُقْلِقُهَا ﴾ أي: يوفق لهذه الكلمة التي قالها العلماء، وقيل: لا يرزق الأعمال الصالحة .

﴿ إِلَّا الْأَصْبِرُونَ ﴾ على طاعة الله .

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] وسبب هلاك قارون: أنه بغى على موسى، وكان أول طغيانه: أن أوحى إلى موسى: أن مُز بني إسرائيل أن يعلقوا أرديتهم خيوطاً أربعة خضراً على لون السماء يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل منها، قال موسى: ألا نأمرهم بجعلها كلها خضراً؛ فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسى! إن من أمري ليس بصغير وإن هم لم يطيعوني في الصغير، لم يطيعوني في الكبير، فأمرهم، ففعلوا، وامتنع قارون، ولما عبروا البحر، جعل موسى الجودة والقربان في هارون، فقال: يا موسى! تذهب بالرسالة، وهارون

بالقربان والجودة، فما يبقى لي، وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة؟! ليس لي على هذا صبر، فقال موسى: من الله، فقال: لا أصدقك حتى تأتي علي ذلك بآية، فأمر موسى أشراف قومه بوضع عصيهم في بيت، ففعلوا، وباتوا يحرسونها، فأصبحت عصا هارون مورقة خضراء، فقال قارون: ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل موسى، وجعل موسى يداريه؛ لما بينهما من القرابة، وهو لا يلتفت إليه، وبني داراً، وصَفَّحَهَا بِالذَّهَبِ، وجعل أبوابها ذهباً، وتكبر بسبب كثرة ماله على موسى، ولما نزلت الزكاة، صالحه موسى على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً، وعن كل ألف درهم درهماً، وعن كل ألف شاة شاة، ثم رجع موسى إلى بيته، فجمعها، فرآها جملة عظيمة، فلم تسمح بذلك نفسه، فمنعها، وخرج عن طاعة موسى، وأحضر امرأة بغيّاً، وأمرها بقذف موسى بنفسها، فلما كان يوم العيد، قام موسى خطيباً، فقال: من سرق قطعناه، ومن زنى غير محصن جلدناه، ومن زنى محصناً رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت؟! قال: وإن كنت أنا، فقال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فأحضرت، فأنشدتها موسى بالله أن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جُعللاً على أن أرميك بنفسي، فخرّ موسى ساجداً يبكي، وقال: يا رب! إن قارون قد بغى علي، فأقبل موسى حتى دخل قارون، وقال: يا عدو الله! تبعث إلي المرأة على رؤوس بني إسرائيل تريد فضيحتي؟! يا أرض خذيه، فساخت داره في الأرض ذراعاً، وسقط قارون عن سريره، فأخذته الأرض إلى ركبتيه، فقال: يا موسى! أغثني، فقال: يا عدو الله تبني مثل هذه الدار، وتشرب في آنية الذهب والفضة، وأنا أدعوك إلى [حظك] فلا تقبله، وتقول: إنما أوتيته على علم عندي؟! يا أرض خذيه، فأخذته، روي أنه ناشده سبعين مرة،

وهو لا يلتفت إليه؛ لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيه، فانطبقت عليه،
فذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ﴾^(١) من دون عذابه، فأوحى الله إلى موسى: ما أغلظ قلبك،
استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه؟! فوعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة
واحدة، لأغثته.

﴿ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴾ الممتنعين مما حل به .

روي أنه حُسِفَ به إلى الأرض السفلى، ولما خسفت به، قال بنو
إسرائيل: إنما دعا عليه ليستبد بأمواله، فدعا موسى، فحسِفَ بجميع
أمواله^(٢).

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُهُ
لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٨٢).

[٨٢] ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ ﴾ أي: صار أولئك الذين تمنوا ما رزق
من المال والزينة .

﴿ بِالْأَمْسِ ﴾ أي: بالوقت القريب منهم، استعاره هنا؛ لأن أمس عبارة
عن اليوم الذي قبل يومك، يتندمون .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٥٥-٤٥٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٥٦-٤٥٧).

﴿يَقُولُونَ وَيَكَاكَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق .

﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا .

﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ لتوليدِهِ فينا ما ولده فيه ، فحسِف به لأجله .

﴿وَيَكَاةٌ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمة الله ؛ كقارون . (وَيَكَاةٌ) كتبت موصولة كلمة واحدة في جميع المصاحف ، وكذلك (وَيَكَاةٌ) لكثرة الاستعمال ؛ لأن أصلها: (وَي) تعجب و(ما) متصلة بـ(أن) عند البصريين ، ولذلك فتحت الهمزة ، فصار معناها الندامة ، والتنبيه على الخطأ ، وعند الكوفيين أن (وَيَاكَ) ويلك ، ومعناها: ألم تر ، واختلف في الوقف عليهما ، فوقف أبو عمرو: (وَيَاكَ) على الكاف مقطوعة من الهمزة ، وإذا ابتداءً ، ابتداءً بالهمزة (أَنَّ) ، و(أَنَّه) ، ووقف الكسائي (وَي) على الياء مقطوعة من الكاف ، وإذا ابتداءً ، ابتداءً بالكاف (كَأَنَّ) و(كَأَنَّه) ، ووقف الباقون (وَيَكَاةٌ) (وَيَكَاةٌ) موصولة اتباعاً للمصحف ، وهذا هو الأولى والمختار في مذاهب الجميع ؛ اقتداء بالجمهور ، وأخذاً بالقياس الصحيح^(١) ، **وقرأ يعقوب** ، وحفص عن عاصم: (لَخَسَفَ) بفتح الخاء والسين ، الفاعل الله تعالى ، **وقرأ** الباقون: بضم الخاء وكسر السين مجهولاً^(٢) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١) ، و«الكشف» لمكي (١٧٦/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣-٣٤/٥) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٥) ، و«تفسير البغوي» (٤٥٧/٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٤٢/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٤/٥) .

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِينَ ﴾ (٨٣).

[٨٣] ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ أي : الجنة .

﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ﴾ بغيًا .

﴿ فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ عملاً بالمعاصي ﴿ وَالْعَاقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُنْقِينَ ﴾ .

عن علي رضي الله عنه : أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل
القدوة (١) .

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ
عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤) .

[٨٤] ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴾ أي : بعمل صالح .

﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا ﴾ أي : من ثوابها الموازي لها .

﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
أخبر تعالى أن السيئة لا يُضاعف جزاؤها؛ فضلاً منه ورحمة .

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨٥) .

[٨٥] ولما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة ، سار في

(١) انظر : « الدر المنثور » للسيوطي (٦ / ٤٤٤) .

غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن، رجع إلى الطريق، ونزل الجحفة بين مكة والمدينة، فاشتاق إلى مكة، فنزل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾^(١) أنزله شيئاً بعد شيء ﴿لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة، ولما وُعد ﷺ بالعود إلى مكة بعد قول المشركين له: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، نزل:

﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هو أعلم بالفريقين، فيجازي كلاً بعمله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها^(٢).

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٨٦).

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: يوحى إليك القرآن.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ نصب على أنه استثناء منقطع؛ أي: لكن رحمة من ربك، فأعطاك القرآن.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعِينًا ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٢٦/٩)، عن الضحاك.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٤٢/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤/٥).

﴿ وَلَا يَصُدُّنَا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْنَا وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَا ﴾ لا يصرّفنا .

﴿ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ عن قراءتها، والعمل بها .

﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْنَا ﴾ أي: بعد وقت إنزالها إليك، و(إذ) تضاف إلى الزمان؛ كحينئذ. قرأ يعقوب: (يَصُدُّنَا) مجزوم النون، والباقون: بفتحها مشددة^(١).

﴿ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ إلى توحيدهِ ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الخطاب الظاهر للنبي ﷺ، والمراد: أهل دينه، وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة، وهذا كله منسوخ بآية السيف، وسبب هذه الآية: ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ من تعظيم أوثانهم، وعند ذلك ألقى الشيطان في أمنيته أمر الغرانيق كما تقدم في سورة الحج .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٨].

[٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ نهى عما هم بسبيله، فهم المراد،

وإن عري اللفظ عن ذكرهم .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ أي: إلا هو .

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٥/٥)، والقراءة المشهورة على يعقوب كقراءة الجمهور .

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ فصلُ القضاء، وإنفاذُ القدرة في الدارين .

﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إخبار بالحشر والعودة من القبور. قرأ يعقوب:

تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع؛ من رجوع الآخرة، وقرأ
الباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١)، قال ابن عطية: وقرأ أبو عمرو
بالوجهين^(٢)، والله أعلم.



-
- (١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء
البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٣٥).
- (٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٣٠٤).

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

مكية، إلا الصدر منها العشر الآيات، فإنها مدنية، نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة، وآيها: تسع وستون آية، وحروفها: أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفاً، وكلمها: تسع مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَعْرَ ١﴾.

[١] ﴿الْمَعْرَ﴾ تقدم الكلام عليه أول سورة البقرة، وملخصه: أن معناه: أنا الله أعلم، وتقدم الخلاف في الحروف التي في أوائل السور أول سورة مريم. قرأ أبو جعفر: بتقطيع الحروف، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة كما تقدم التنبيه عليه غير مرة.

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

[٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ قرأ ورش: (أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ) بفتح الميم وحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الميم تخفيفاً، ويجوز بالمد والقصر في (ميم) كما تقدم عن الجمهور حالة الوصل في أول سورة آل عمران،

لكن الوصل هنا مختص بمذهب ورش، **وقرأ الباقون**: بإسكان الميم وفتح الهمزة^(١).

﴿ **أَنْ يَرْكُؤُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ استفهام تقريع وتوبيخ، والمعنى: أظنوا تركهم غير مفتونين؛ لقولهم: آمنة؟! والفتنة: الامتحان بالشدائد، تلخيصه: لا بد من امتحانهم، وإذا أحب الله عبداً، جعله للبلاء غرضاً.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك^(٢)، فنزلت الآية تسلية ومعلمة أن هذه سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين؛ ليعلم الصادق، ويرى ثواب الله له، ويعلم الكاذب، ويرى عقاب الله إياه.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة، فهي في معناها باقية في أمة محمد ﷺ موجود حكمها بقية الدهر^(٣).

﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾^(٣).

[٣] ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ كالأنبياء والأولياء، فمنهم من نُشر

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١٥٨/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي

(ص: ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٩/٥).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥-١٩٦).

(٣) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣٠٥/٤).

بالمشار، وعذب بأنواع العذاب، فلم ينصرف عن دينه .

﴿ فَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ ﴾ بالامتحان ﴿ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في الإيمان .

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴾ أي : فليظهروا الصادق من الكاذب .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٤] .

[٤] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (أم) معادلة للألف في قوله : (أَحْسِبَ)، المعنى : أظن المسيئون، وهم الكفار .

﴿ أَنْ يَسْبِقُونَا ﴾ أي : يفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم؟! !

﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ بئس حكماً يحكمون لأنفسهم بهذا الظن .

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٥] .

[٥] ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ﴾ يأمل ثوابه، ويخشى البعث والحساب .

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ هو الأمد المضروب للثواب والعقاب ﴿ لَآتٍ ﴾ لكائن .

روي عن يعقوب، وقنبل : الوقف بالياء على (لَآتِي) .

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فلا يفوته شيء .

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦] .

[٦] ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ ﴾ جهاد حرب، أو جهاد نفس؛ بالصبر على مريض

الطاعة .

﴿فَاتِمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثوابه لها .

و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى جهادهم .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٧]

[٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لنبطلنها بسترها وترك العقوبة عليها .

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : نضاعف لهم الحسنات .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨]

[٨] ونزل في سعد بن أبي وقاص، وهو من السابقين الأولين لما أسلم، فحلفت أمه ألا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد، فقال : والله! لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^(١) نصب بـ(وصينا)؛ أي : وصيناها أن يفعل بهما ما يحسن .

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه لي شريك .

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك، وجاء في الحديث : «لا طاعة للمخلوق في

(١) انظر : «صحيح مسلم» (٤/١٨٧٧)، و«أسباب نزول» للواحدي (ص : ١٩٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٥٢١) .

معصية الخالق»^(١)، ثم أوعد بالمصير إليه ، فقال :

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من صالح أعمالكم وسيئها،
وأجازيكم عليها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ زمرة.

﴿الصَّالِحِينَ﴾ وهم الأنبياء والأولياء، وهي الجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ
كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي : طاعته
والإسلام.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ﴾ أي : عذاب ﴿النَّاسِ﴾ إياه هنا ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ فساوى
بين العذابين، فخاف العاجل، وأهمل الآجل، وهم ناس كانوا يؤمنون
بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار، صرفهم عن الإيمان.

﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ دولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أي : المرتدون.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٦/٥)، والحاثر بن أبي أسامة في «مسنده»
(٦٠٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧٣)، وغيرهم عن عمران بن حصين
- رضي الله عنه -.

﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ على دينكم، ولكننا أكرهنا على الكفر، فقال تعالى:
تكذيباً لهم:

﴿ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ من الإيمان والكفر؟!!

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ حقيقةً، فثبتوا على الإيمان عند
البلاء.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ في إيمانهم؛ بترك الإسلام عند البلاء. وهذه
الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية، وباقي السورة مكية.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ
وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ﴾ الطريق الذي
نسلكه في ديننا ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ ﴾ أوزاركم؛ أي: إن كان فيها إثم،
فنحتمله، فأخبر الله عز وجل أن ذلك باطل، وأنهم لو فعلوه، لم يتحمل
عن أحد من هؤلاء المغترين بهم شيء من خطاياهم التي تختص بهم بقوله
تعالى:

﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيما يزعمون؛

لأنهم لو يعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك، وهذا من قول كفار مكة لمن
آمن منهم.

﴿ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْئَلَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ ﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها.

﴿ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ هي أثقال الذين أضلّوهم.

﴿ وَلِيَسْئَلَنَ ﴾ سؤال توبيخ.

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ على الله من الكذب.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ ﴾ بقي ﴿ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ينذرهم فلا يلتفتون إليه، وفسر العدد بسنة، ثم بعام؛ استثقالاً لتكرير لفظ واحد بلا فائدة، ولما جاء بقصة نوح تهويلاً لما جرى عليه من قومه، ذكر الألف أولاً؛ ليكون أفخم في أذن السامع، ثم أخرج منها الخمسين؛ إيضاحاً لمجموع العدد.

وقد وقع في كلام المؤرخين أن نوحاً عاش العدد المذكور فقط، وظاهر الآية الشريفة يخالفه؛ لأنه يدل على أنه لبث العدد المذكور في قومه بعد إرساله إليهم ينذرهم، وأن الطوفان وقع بعد ذلك، وقد روي أنه عاش ألفاً وأربع مئة وخمسين سنة، وهو يوافق الآية الشريفة؛ لأن ظاهرها يدل على أنه عاش أكثر مما ذكره المؤرخون، وتقدم ذكر نسبه وتاريخ مولده ومحل قبره في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾

[الآية: ٣٣]، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [الآية: ٥٩]، وتقدم ذكر تاريخ ركوبه في السفينة، وخروجه منها، وما بين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية المحمدية في سورة هود عند آخر القصة.

فلما أنذرهم هذه المدة، وهي تسع مئة وخمسون سنة، فلم يؤمنوا، أذن له في الدعاء، فدعا عليهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ ما أطاف وأحاط بغلبة؛ كالسيل، فغرقوا.

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من الغرق.

﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: السفينة، أو العقوبة.

﴿آيَةً﴾ علامة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ يقتضي أنه أخذ قومه فقط، وقد اختلف في ذلك، فقالت فرقة: إنما غرق في الطوفان طائفة من الأرض، وهي المختصة بقوم نوح، وقالت فرقة هي الجمهور: وإنما غرقت المعمورة كلها، وهذا هو ظاهر الأمر؛ لاتخاذ السفينة، وغير ذلك من الدلائل.

فإن قيل: كيف غرق الجميع، والرسالة إلى البعض؟ فالوجه في ذلك أن يقال: إن اختصت شيء بأمة ليس هو بالألّ يهدي غيرها ولا يدعوها إلى توحيد الله تعالى، وإنما هو بالألّ تؤخذ بفعال غيرها، ولا يبث العبادات

فيهم، لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة، والناس حولها يعبدون الأوثان فلا محال أن دعاءه إلى توحيد الله قد كان بلغ الكل، فنالهم الغرق؛ لإعراضهم وتماديهم.

﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١٦].

[١٦] ﴿وَابْرَاهِيمَ﴾ عطف على نوح؛ أي: وأرسلنا إبراهيم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أطيعوا الله وخافوه، وهذه القصة تمثيل لقريش، وكان نمرود وأهل مدينته عبدة أصنام، فدعاهم إبراهيم - عليه السلام - إلى عبادة الله، ثم فرد لهم ما هم عليه من الضلال.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الكفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١٧].

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ (١) أصناماً.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تخلقون كذباً.

(١) من قوله: «بخيط في الخرزة...» (ص: ١٣٦) من سورة النمل الآية (٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ من سورة العنكبوت سقط من «ت»، وذلك بمقدار إحدى عشرة لوحة من النسخ الخطية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم .

﴿فَابْتَغُوا﴾ فاطلبوا ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ﴾ فإنه المالك له .

﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ على نعمه .

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالمعاد والحشر . قرأ يعقوب : (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم ، والباقون : بضم التاء وفتح الجيم (١) .

﴿وَأِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ .

[١٨] ﴿وَأِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم ، فأهلكوا .

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُدْئِي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالدلائل والنظر . قرأ حمزة ، والكسائي ،

وخلف ، وأبو بكر عن عاصم : (تَرَوْا) بالخطاب ، والباقون : بالغيب على الحكاية (٢) .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤١/٥) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٣) ، =

﴿ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴾ يخلقه ابتداءً نطفةً ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم شخصاً سوياً ، ثم يميته ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ حياً وقت البعث .
﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ لا يفتقر في فعله إلى شيء .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[٢٠] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ إلى ديارهم وآثارهم .

﴿ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ أي : خلقه ابتداءً على غير مثال .

﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ وهي نشأة القيام من القبور ، المعنى : إذا قَدَّر على بدء الخلق أولاً ، فهو على إنشائه وإحيائه بعد الموت أقدر . قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (النَّشْأَةَ) بفتح الشين والمد حيث وقع ، والباقون : بسكون الشين مقصورة ، وهما لغتان^(١) ؛ كالرأفة والرأفة ، ووقف حمزة على وجهين في ذلك : أحدهما : أن يلقي حركة الهمزة على الشين ، ثم يسقطها طرداً للقياس ، والثاني : أن يفتح الشين ، ويبدل الهمزة ألفاً إتباعاً للخط ، ومثله قد سمع من العرب^(٢) .

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤٢/٥) .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٩٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٣) ،

و«تفسير البغوي» (٣/٤٦٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٣) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٧٣) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص :

٣٤٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٣) .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على الأولى .

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١) .

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ بتيسيره لأعمال من حق عليه العذاب .

﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ بتيسيره لأعمال من سبقت عليه^(١) الرحمة ، لا معترض عليه .

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ترجعون .

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ، وإن هربتم .

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا﴾ تعجزونه .

﴿فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها ، المعنى : لا مخلص لكم من الله .

﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ﴾ يمنعكم منه^(٢) .

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه ، والوليُّ أخصُّ من النصير .

(١) في «ت» : «له» .

(٢) في «ت» : «فيه» .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ ﴾ بدلائل وحدانيته ﴿ وَلِقَائِهِ ﴾ بالبعث ﴿ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ﴾ أي: يئسسون منها يوم القيامة، فعبّر عنها بالماضي؛ للتحقيق والمبالغة.

﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بكفرهم، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة، وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم عليه السلام.

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢٤].

[٢٤] ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ حين دعاهم إلى الإيمان.
﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ وجعلها عليه برداً وسلاماً.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُكُمْ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ

بَيْنَكُمْ ﴿قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس: (مَوَدَّةٌ) رفعاً بلا تنوين (بَيْنَكُمْ) خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذوا من دون الله هي مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مَوَدَّةٌ) نصباً من غير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الباقون: (مَوَدَّةٌ) بالنصب والتنوين (بَيْنَكُمْ) بالنصب^(١)، معناه: إنما اتخذتم هذه الأوثان مودةً بينكم.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تتوَادُّونَ على عبادتها، وتتواصلون عليها في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرأ القادة من الأتباع.

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: يلعن الأتباعُ القادةَ.

﴿وَمَا أَوْلَاكُمْ﴾ جميعاً، العابدون والمعبودون، والتابعون والمتبعون.

﴿الْأَنَارُ وَمَالِكُمْ مِّنْ نَّصْرِينَ﴾ يُخْلَصُونَكُم منها.

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٢٦] ﴿فَأَمَّنَ لَهُ﴾ أي: لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ لما رأى النار لا تحرقه،

وهو أول من آمن به.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٤-٤٥).

﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى ﴾ حيث أمرني .

﴿ رَبِّي ﴾ بالهجرة إليه ، فهاجر من كوئا سواد الكوفة إلى حران ، ثم إلى فلسطين ، وهو أول من هاجر ، ومعه لوط وسارة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وقيل غير ذلك ، ومنه قيل : لكل نبي هجرة ، ولإبراهيم هجرتان . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وأبو عمرو : (رَبِّي) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها^(١) .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي يمنعني من أعدائي .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يأمرني بما فيه صلاحي .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٢٧] .

[٢٧] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ ﴾ فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله ﴿ وَالْكِتَابَ ﴾ يريد به : الجنس ؛ ليتناول التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ هو الثناء الحسن .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي : في زمرةهم ، وهم الأنبياء وأتباعهم صلوات الله عليهم أجمعين .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٠٣) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٦) .

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وهي إتيان الرجال .

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (إِنَّكُمْ) بالإخبار، وقرأ الباقون، وهم: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (أَنَّكُمْ) بالاستفهام، فأبو عمرو يحقق الهمزة الأولى، ويسهل الثانية، وهو على أصله في إدخال ألف بينهما، والباقون: يحققون الهمزتين^(١) .

﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَنْتَ يَا بَعْدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة، كانوا يجلسون عليها، فمن مر بهم، أخذوه، فأحبثوا به. اتفق القراء على الاستفهام في هذا الحرف، وهم على أصولهم، فنافع، وابن كثير،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠ و ٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢-١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٧٢-٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٦-٤٧) .

وأبو جعفر، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: يحققون الهمزة الأولى،
ويسهلون الثانية بين الهمزة والياء، ويفصل بين الهمزتين بألف: أبو جعفر،
وأبو عمرو، وقالون، واختلف عن هشام، والباقون، وهم الكوفيون، وابن
عامر، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين^(١).

﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ ﴾ أي: مجلسكم ومتحدثكم، والنادي والندبي:
مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا خرجوا منه، فليس بنادي ﴿ الْمُنْكَرُ ﴾
هو إتيان الرجال بعضهم بعضاً في المجالس، روي أنهم كانوا يجلسون على
الطريق، وعند كل واحد منهم^(٢) قصعة فيها حصاً، فمن مر بهم، حذفوه،
فمن أصابه منهم، فهو أحق به، فيأخذ ما معه، وينكحه، ويغرمه ثلاثة
دراهم، ولهم قاض يقضي بينهم بذلك، ومنه: هو أجور من قاضي سدوم،
وكان من أخلاقهم مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وفرقتها،
وحل الأزرار، والسباب والفحش، ورمي البندق، واللعب بالحمام.

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ لما أنكر عليهم.

﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ له استهزاء:

﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ فيما تعدنا من نزول

العذاب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٣ و ٣٧٣)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٤٧/٥).

(٢) «منهم» ساقطة في «ت».

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] فعند ذلك ﴿ قَالَ ﴾ لوط: ﴿ رَبِّ انصُرْنِي ﴾ بتصديق قولي .

﴿ عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لحملهم الناس على ما لا يجوز .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى ﴾ من الله بإسحاق ويعقوب .

قرأ هشام: (أبراهام) بالألف .

﴿ قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ هي سدوم .

﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ بالكفر والمعاصي .

﴿ قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّوْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم للرسول؛ إشفافاً على المؤمنين، ومجادلة عنهم:

أرأيتم إن كان فيهم مئة بيت من المؤمنين، أتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل يتحدر حتى انتهى إلى عشرة أبيات، فقالت الملائكة: ليس

فيها عشرة، ولا خمسة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، فحينئذ قال إبراهيم:

﴿ إِنَّكَ فِيهَا لُوطًا ﴾ سُمِّيَ بذلك؛ لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم؛ أي:

تعلق ولصق، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، فراجعوه حينئذ، و﴿ قَالُوا

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ﴾ لا تخف أن يقع حيف على مؤمن .

﴿لُنَجِّيَنَّهٗ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بإسكان النون الثانية، وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم^(١).
 ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقيين في العذاب.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٣٣).

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ظن أنهم من الإنس.

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ فأجأته المساءة والغم خيفة عليهم من قومه. قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (سِيءَ) بإشمام السين الضم^(٢).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أصله أن الرجل إذا طالت ذراعه، أدرك ما لم يدرك القصير، فجعل ضيق الذراع عبارة عن تحمل ما لا يطاق، والمعنى: اغتم غمًا شديدًا؛ خوفًا أن يخبث قومه بهم.

﴿وَقَالُوا﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بإهلاكنا إياهم.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٨).
 (٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٩).

﴿ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ . قرأ ابن كثير،
 وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مُنْجُوكَ)
 بإسكان النون وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم^(١) .

﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ ﴾^(٣٤) .

[٣٤] ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ ﴾ قرأ ابن عامر: بفتح النون وتشديد الزاي،
 والباقون: بإسكان النون^(٢) وتخفيف الزاي .

﴿ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾ عذاباً .
 ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم .

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٣٥) .

[٣٥] ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ﴾ أي: من القرية^(٣) .
 ﴿ آيَةً بَيِّنَةً ﴾ آثار منازلهم الخربة .

﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون الآيات تدبُّرَ ذوي العقول .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)،
 و«تفسير البغوي» (٣/٤٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢/٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٤٩) .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)،
 و«تفسير البغوي» (٣/٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٠) .

(٣) «أي: من القرية» زيادة من «ت» .

﴿ وَإِلَىٰ مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ
الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٣٦).

[٣٦] ﴿ وَإِلَىٰ مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ نصب بأرسلنا مقدره .
﴿ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ افعلوا ما ترجون به العاقبة .
﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَثْمِينَ ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة .
﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِينَ ﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَّيْنَا لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ
لَّهُمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا ﴾ نصب بمضمر؛ أي: أهلكتناهما. قرأ حمزة،
ويعقوب، وحفص: (وَتَمُودًا) بغير تنوين على تأويل القبيلة، والباقون:
بالتنوين، فمن نون، وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن
كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوطة^(١).

﴿ وَقَدْ تَبَّيْنَا لَكُمْ ﴾ يا أهل مكة .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٢٨٩-٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٠).

﴿ مِّن مَّسْكِنِهِمْ ﴾ أي: منازلهم بالحجر واليمن ما وصف من إهلاكهم .

﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ الطريق السوي .

﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ عقلاء متمكنين من النظر .

﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ .

[٣٩] ﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ﴾ أي: وأهلكناهم .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ والدلالات

﴿ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ فائتين عذابنا .

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

[٤٠] ﴿ فَكَلَّا ﴾ منهم ﴿ أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ عاقبناه به .

﴿ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ وهم قوم لوط، والحاصب: الريح التي

تحمل الحصباء، وهي الحصى الصغار .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ يعني: ثمود .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ يعني : قارون وأصحابه .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ يعني : قوم نوح ، وفرعون وقومه .

﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ﴾ فيعاقبهم بغير جرم .

﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالتعريض للعذاب .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) .

[٤١] ولما كانت العنكبوت أضعف الحيوان، وبيته أضعف البيوت،
ضرب مثلاً للأصنام وعابديها، فقيل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني : الأصنام، يرجون نفعها ونصرها .

﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا ﴾ تأوي إليه، وهو في غاية
الضعف، لا يدفع عنها حراً ولا برداً، وكذلك الأوثان لا تملك لعابديها
نفعاً ولا ضرراً .

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن نفعهم
بمعبودتهم كنفع العنكبوت ببيتها، لما عبدوهم .

وروي عن علي - رضي الله عنه - : أنه قال : « طهروا بيوتكم من نسيج
العنكبوت ؛ فإن تركه يورث الفقر » (١) .

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/٢٨٠) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أي: قل للكفرة: إن الله يعلم ﴿ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْلَمُ مَا) بإدغام الميم في الميم، والباقون: بالفك^(١)، وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب؛ لذكر الأمم، وقرأ الباكون: بالخطاب^(٢)، فأما موضع (ما) من الإعراب، فقيل: معناه: أن الله يعلم الذين تدعون من دون الله من جميع الأشياء: أن حالهم هذه، وأنهم أمر لا قدرة له، و(من) تبيين، المعنى: الله مطلع عليكم وعلى أعمالكم، فيجازيكم.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الْحَكِيمُ ﴿ الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير.

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [٤٣].

[٤٣] وكان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن ربَّ محمد يضرب

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥١).
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥١).

المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فنزل: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: وهذه.

﴿الْأَمْثَلُ﴾ الأشباه، والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لكفار مكة .
﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ يعلم^(١) فائدة ضربها .
﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ الذين يعقلون عن الله، فيعملون بطاعته، ويجتنبون سخطه .

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعرض الصحيح الذي هو حق لا باطل، وهو أن تكون مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين منهم .
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لدلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على عظم قدرته وتوحيده .

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن .

(١) في «ت»: «يفهم» .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ المعروفة .

﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ ما قُبِحَ من الأعمال ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما لا يُعرف في الشرع، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بُعداً»^(١).

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أفضل الطاعات؛ لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»^(٢).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء .

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤٦).

[٤٦] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا﴾ تخاصموا ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: باللين إذا بذلوا الجزية ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالمعادنة، استثناء من الجنس؛ أي: إلا الذين أبوا أن يعطوا الجزية، ونصبوا الحرب، فأولئك

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٦٦/٩)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزبيدي (٤٤/٣).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٣/٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٦)، عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

انتصروا منهم، وجادلوهم بالسيف حتى يؤمنوا^(١)، أو يُقرُّوا بالجزية .

﴿ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ المعنى : أخبروهم أنكم مؤمنون بالله ، وجميع كتبه .

روي أن رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، ومُرَّ بجنازة، فقال : يا محمد! هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ : «الله أعلم»، فقال اليهودي : إنها تتكلم، فقال ﷺ : «ما حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً، لم تصدِّقوه، وإن كان حقاً، لم تكذبوه»^(٢) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾^(٤٧) .

[٤٧] ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي : وكاننا التوراة ﴿ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه .
﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ ﴾ وهم من أسلم من كفار مكة ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحدوا .

(١) في «ت»: «يسلموا» .

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٤)، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٠٦)، عن ابن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه .

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن .

﴿ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ ﴾ تكتبه ﴿ بِيَمِينِكُمْ ﴾ وقوله: بيمينك؛ لأن الكتابة
غالباً تكون باليمين، المعنى: لم تكن قارئاً ولا كاتباً، ولو كنت تعرف شيئاً
من ذلك .

﴿ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ في نبوتك، وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي
لا يكتب ولا يقرأ، وإنما أخذه من كتب من تقدمه .

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ أي: ذو آيات
واضحات .

﴿ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ لأنهم يجدونه في كتبهم كذلك لا يكتب
ولا يقرأ، وقيل: المعنى: بل القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين الذين
حفظوه؛ لأن من خصائص القرآن كونه معجزاً، وهو محفوظ في الصدور،
بخلاف سائر الكتب؛ لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً، فإذا
أطبقوه، لم يعرفوا منه شيئاً، سوى الأنبياء، وما نقل عن قارون .

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ اليهود .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ أي: هَلَّا ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (آية) على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (آيات) على الجمع؛ كالناقة، والعصا، والمائدة^(١).

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ في قدرته، ينزلها إذا شاء، وليس إلي من ذلك شيء.

﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ كلفت الإنذار وإبانتته بالدلائل الواضحة.

﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٥١] ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن.

﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بصدقك، وهو أعظم الآيات؛ لأنه ثابت على مرور الأيام؛ بخلاف سائر الآيات؛ فإنها انعدمت.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ القرآن الذي هو آية مستمرة.

﴿ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ ﴾ تذكيراً ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٢).

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ .

[٥٢] ولما لم يصدقوا بالقرآن، نزل: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
شَهِيدًا ۞ لي بالبلاغ، وعليكم بالكذب؛ لأنه ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۞ فلا يخفى عليه حالي وحالكم .
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ ۞ أي: بغير الله .
﴿ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ والمغبونون؛ لا شرائهم الكفر
بالإيمان .

﴿ وَاسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ .

[٥٣] ونزل فيمن استعجل العذاب استهزاء: ﴿ وَاسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ ۞
بقولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۞ [الأنفال: ٣٢] .
﴿ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى ۞ في اللوح المحفوظ؛ أنهم يعذبون فيه، وهو يوم
القيامة .

﴿ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا .

﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً ۞ فجأة في الدنيا؛ كيوم بدر، والآخرة عند نزول الموت

بهم .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ بإتيانه .

﴿ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ .

[٥٤] ﴿ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ أعاده تأكيداً .

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ جامعة لهم .

﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ ﴾ يُصِيبُهُمْ ﴿ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي :

من جميع جوانبهم ، المعنى : إذا غشيهم العذاب ، أحاطت بهم جهنم .

﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا ﴾ جزاء ﴿ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي . قرأ نافع ،

والكوفيون : (وَيَقُولُ) بالياء ؛ أي : ويقول لهم الموكَّلُ بعذابهم ، وقرأ

الباقون : بالنون^(١) ، وهي إمانون العظيمة ، أو نون جماعة الملائكة .

﴿ يَعْجَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ .

[٥٦] ونزل فيمن كان يؤذى بمكة من ضعفاء المسلمين ، ويخشى

الجوع إن خرج ﴿ يَعْجَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ ﴾ فاخرجوا ، فأنا رازقكم

حيث كنتم .

﴿ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴾ والفاء في (فَأَيَّاي) جواب شرط محذوف ، تقديره : إن

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٠١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٤) ،

و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٣) .

لم تتمكنوا من العبادة بأرض؛ لكثرة المعاصي، فاعبدون غيرها، في الحديث: «من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد»^(١). **قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: (يا عبّادِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها**^(٢)، **وقرأ ابن عامر: (أرضِي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها**^(٣)، **وقرأ يعقوب: (فاعبُدوني) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها**^(٤).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ثم شجّع المهاجرين بقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ أي: مرارته؛ كما يجد الذائق طعم المذوق، المعنى: كل أحد ميت أينما كان، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم بأعمالكم. **قرأ أبو بكر عن عاصم:**

- (١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨٨/٧) عن الحسن مرسلًا، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣٥١/١).
- (٢) انظر «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٤).
- (٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢-٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٤).
- (٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٤).

(يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ويعقوب: على أصله في فتح التاء وكسر الجيم^(١).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بالثاء المثلثة ساكنة بعد النون، وإبدال الهمزة ياء؛ من الثواء، وهي الإقامة، يقال: ثوى الرجل: إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الباقون: بالباء الموحدة وفتحها وتشديد الواو وهمز بعدها^(٢)، وأبو جعفر: على أصله في إبدال الهمزة ياء مفتوحة^(٣)؛ من التبوء وهو المنزل؛ أي: لننزلنهم.

﴿ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ علالي ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣/٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٥٥-٥٤).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٥).

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٥٩].

[٥٩] ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على الشدائد ومفارقة الأوطان وأذى المشركين .

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يعتمدون .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ۗ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٦٠].

[٦٠] ولما قال النبي ﷺ للمؤمنين الذين كانوا بمكة، وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس لنا فيها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ (١) أي: وكم .

﴿ مِّن دَابَّةٍ ﴾ هي كل نفس تدب على الأرض من الحيوان . وتقدم اختلاف القراء في (وَكَايِّن) في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الآية: ٤٥].

﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لا تطبق حملة؛ ضعفاً عن حملة وكسبه .

﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ حيث كنتم .

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم: لا نجد ما ننفق في المدينة .

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما في ضمائركم .

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٢١).

قال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً»^(١).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٦١).

[٦١] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وإن اعترفوا بذلك.

فقل: ﴿فَأَنَّى﴾ أي: فكيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافهم أنه خالق الأشياء العظام التي هي دلائل القدرة؟! والاستفهام فيه للتوبيخ والتفريع.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦٢).

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُضَيِّقُ ﴿لَهُ﴾ والضمير في قوله: (يَقْدِرُ لَهُ) لمن يشاء، فكأن بسط الرزق وقدره جُعلا لواحد، ويحتمل أن يكون تقديره: ويبسط لمن يشاء، ويقدر لمن يشاء، فحذف من يشاء، ووضع الضمير موضعه.

(١) تقدم تخريجه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ما يصلح العباد، وما يفسدهم .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٣] .

[٦٣] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكّنات بأسرها .
﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ثبوت الحجة عليكم .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ما يقولون ؛ لأنهم مع إقرارهم بذلك يشركون .

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦٤] .

[٦٤] ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ ﴾ واللّهو : هو الاستمتاع بملذات الدنيا .

﴿ وَلَعِبٌ ﴾ أي : عبث ، وسميت بذلك ؛ لتشاغلهم بها ، وسرعة فنائها .

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ أي : حياتها ﴿ لَهِىَ الْحَيَوانُ ﴾ أي : حياة لا موت فيها ، وسميت بالحيوان ؛ لأن في الحيوان زيادة مبالغة على الحياة ، وهو مصدر حَيِي ، وقياسه حَيِيان ، قلبت الياء واواً ؛ لثلاث حذف إحدى الألفات ، والحياة حركة ، والموت سكون ، والحيوان مقر الحياة ، وهو ضربان : ماله الحاسّة ، والآخر ماله البقاء الدائم ، تلخيصه : لهم البقاء السرمدى .

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ، لم يؤثروا الدنيا على الآخرة .

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ .

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا﴾ أي : الكفار ومعهم أصنامهم .

﴿فِي الْفُلِكِ﴾ في البحر ، وخافوا الغرق .

﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي : لم يشركوا أحداً معه في الدعاء .

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عناداً .

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم ، لفظه أمر ، ومعناه التهديد .

﴿وَلِيَتَمَنَّعُوا﴾ بما بأيديهم من النعم . قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ،

وخلف ، وقالون : (وَلِيَتَمَنَّعُوا) بإسكان اللام أمراً تهديداً ، وقرأ الباقون :

بكسرها^(١) ، جعلوها لام كي ، تلخيصه : لا فائدة لهم في الإشراف إلا الكفر والتمتع .

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك حين يُعاقبون .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٠٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٤) ، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٨) .

﴿ أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخَظَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [٦٧].

[٦٧] ﴿ أَوْلَم يَرَوْا ﴾ أهل مكة .

﴿ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ يأمنون فيه .

﴿ وَيُنْخَظَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون .

﴿ أَفِالْبَاطِلِ ﴾ الأصنام والشياطين ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ ﴾ محمد والإسلام ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ وهذا تذكير لأهل مكة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [٦٨].

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بزعمه الشريك والولد لله تعالى .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴾ محمد والقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ من غير توقف عناداً .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ مقام للكافرين؟ استفهام بمعنى

التقرير؛ لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي، صار إيجاباً؛ أي: ألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا هذا الكذب الشنيع؟!

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٩].

[٦٩] ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ أي: من أجلنا؛ لنصرة ديننا .

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير. **قرأ** أبو عمرو:
(سُبُلَنَا) بإسكان الباء، والباقون: بضمها^(١)، وكذلك اختلافهم في (رسلنا)
و(رسلهم) و(رسلكم) حيث وقع.
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة، والله أعلم.

* * *



(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٥٩).



مكية، إلا قوله: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهُ﴾، أيها: ستون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسة مئة وأربعة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثمان مئة وتسع عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَعْرُوفِ﴾.

[١] نقل المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم؛ لأنهم أصحاب كتاب مثلهم، والمشركون يحبون ظهور فارس؛ لأنهم كانوا مجوساً لا كتاب لهم كالمشركين، فبعث كسرى ملك فارس جيشاً، وبعث قيصر ملك الروم جيشاً، فالتقيا فغلب فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا، لنظهرن عليكم، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿الْمَعْرُوفِ﴾^(١) تقدم التنبية على

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٤٢٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزليعي (٣/٥٤)، =

معناه، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول سورة العنكبوت .

﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾^(٢) .

[٢] ﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾ حين قاتلهم الفرس .

﴿ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾^(٣) .

[٣] ﴿ فِي آدْنَى الْأَرْضِ ﴾ أقربها، وهي أذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ الفرس .

﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) .

[٤] ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ ﴾ هو ما بين ثلاث إلى عشر، فلما نزلت الآيات، قال أبو بكر: «لا يقر الله أعينكم، ستكون لهم الغلبة عليكم» فَنَاحَبَهُ؛ أي: رَاهَنَهُ أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ عَلَى عَشْرِ قُلُوصٍ إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الْبِضْعُ مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ، فزايده في الخطر، وماده في الأجل»، وذلك قبل تحريم القمار، فجعلنا المناحبة على مئة قلووص إلى تسع سنين، فمات أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ مِنْ طَعْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ بَارَزَهُ، ثُمَّ نَصَرَتْ الرُّومُ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ أَوْ بَدْرٍ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الرَّهْنَ مِنْ

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/٤٧٨).

ورثة أبي، وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له: «تصدق به»^(١). **وقرأ**
 عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: (غَلَبَتْ
 الرُّومُ) بفتح الغين واللام، و(سَيُغْلَبُونَ) بضم الياء وفتح اللام^(٢)، وقالوا:
 نزلت حين أخبر النبي ﷺ غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: غلبت الروم
 فارس في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في
 بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم، قال
 البغوي: والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين^(٣).

وقد حكى بعض المؤرخين في معنى ذلك: أن بيت المقدس لما فتح
 على يد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سنة خمس عشرة، أو ست
 عشرة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيدي المسلمين أربع مئة وسبعاً
 وسبعين سنة، ثم تغلب عليه الفرنج، واستولوا عليه في شعبان سنة اثنتين
 وتسعين وأربع مئة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيديهم إحدى وتسعين
 سنة، إلى أن فتحه الله على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب -
 رحمه الله - في يوم الجمعة سابع عشرين رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس
 مئة، ووقع من الاتفاقات العجيبة أن الناصر صلاح الدين كان قبل ذلك
 استولى على مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمس مئة فامتدحه
 القاضي محي الدين بن الزكي قاضي دمشق بقصيدة منها:

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/١٧-١٨).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي»

(٣/٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٦٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٤٨٧).

وَفَتَحَكُمْ حَلْبًا بِالسَّيْفِ فِي صَفْرِ مَبْشَرٍ بِفَتْوحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبٍ

فكان كما قال، وفتح القدس في رجب كما تقدم، ف قيل له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن مرجان^(١) في قوله تعالى: ﴿الْمَغْلِبَاتِ الرُّومِ﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ^٢، وكان الإمام أبو الحكم بن مرجان الأندلسي قد صنّف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمسة مئة، وبيت المقدس يومئذ بيد الفرنج لعنهم الله.

قال ابن خلكان في «تاريخه» في ترجمة ابن الزكي: ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن مرجان حتى وجدته على هذه الصورة، ولكن رأيت هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب، أم هو ملحق، قال وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حين حزره من قوله تعالى: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾، انتهى^(٢)، وقد صحح البغوي الأول كما تقدم.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ من قبل قتالهم وبعده، فأى الفريقين كان له الغلبة، فهو بأمر الله وقضائه.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يغلب الروم فارس.

﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١) «برجان» في: «ت».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/٢٢٩-٢٣٠).

﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له .

﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فينصر هؤلاء تارة، وهؤلاء أخرى .

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب .

﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين .

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ نصب على المصدر؛ أي: وعد الله وعداً بظهور الروم

على فارس .

﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحة وعده؛ لجهلهم .

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من أمر معاشهم، ولا فرق بين عدم

العلم وبين العلم المقصور على الدنيا .

﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ساهون لا يتفكرون فيها، وكرر الضمير

تأكيداً .

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا

بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدلهم على المطلوب منهم فقال :

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: ألم يحدثوا الفكرة الصالحة في قلوبهم.

فيقولوا: ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: لم يخلقهما عبثاً، بل لحكم ظاهرة ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ آتٍ^(١) لوقت معلوم، إذا انتهت إليه، فنيت، وهو يوم القيامة.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ ﴾ بالبعث والجزاء.

﴿ لَكَافِرُونَ ﴾ جاحدون، يظنون بقاء الدنيا، وعبر عنه بلقاء الله؛ لأنه عظم الأمر، وفيه النجاة والهلكة.

﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا
وَحَاءَ تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أهل مكة.

﴿ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ المعنى: ألم يسافروا، فيعترفوا^(٢) مصارع المهلكين؛ كعاد وثمود بعد أن.

﴿ كَانَُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة، وسمي الثور ثوراً؛ لإثارته الأرض؛ كما سميت بقرة لبقرها الأرض.

(١) «آتٍ» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «فيعترفوا».

﴿وَعَمْرُوها﴾ أي: المدمرين ﴿أَكْثَرُ مِمَّا عَمَرُوها﴾ أكثر من عمارة أهل مكة، فأهلكوا، فما الظن بأهل مكة، وهم دونهم في العدد والعدد وقوة الجسد.

﴿وَحَاءَ تَهُمُ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيدمرهم من غير جرم.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْأَأُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠).

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ أي: آخر أمر ﴿الَّذِينَ أَسْأَأُوا﴾ العمل بكفرهم.

﴿السُّوْأَى﴾ تأنيث الأسوأ، وهو الأفتح، يعني: الخلة التي تسوؤهم، وهي جهنم.

﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ أي: لأجل أن كذبوا^(١).

﴿بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ، والقرآن.

﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو،

ويعقوب: (عاقبة) بالرفع اسم كان، وخبرها (السُّوْأَى)، وقرأ الباقون: بالنصب على خبر كان^(٢)، وتقديره: ثم كان السوءى عاقبة الذين أسأؤوا.

(١) «أي: لأجل أن كذبوا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ينشئهم ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بالبعث بعد الموت .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجزئهم بأعمالهم . قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: (يُرْجَعُونَ) بالغيب مع ضم حرف المضارعة، واختلف عن يعقوب، فقرأ رويس: بالخطاب، وروح: بالغيب، وكل منهما يفتح حرف المضارعة على أصل يعقوب، وقرأ الباقون: بالخطاب مع الضم^(١) .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

[١٢] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ ﴾ أي: يئس .

﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون من كل خير .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ الذين عبدوهم دون الله .

﴿ شُفَعَاءُ ﴾ يجيرونهم من عذاب الله .

﴿ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾ أي: بالهتهم ﴿ كَافِرِينَ ﴾ جاحدين، يتبرأ كل

= (٢/٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٦٥) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٨٩)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨ و٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية»

(٥/٦٧) .

واحد منهم من الآخر، وكتب (شُفَعَوْا) بواو قبل الألف؛ كما كتب (عُلِمُوا) بَيَّي إِسْرَائِيلَ) في الشعراء [الآية: ١٩٧]، و(السُّوَأَى) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴾ بعد الحساب إلى الجنة والنار، فلا يجتمعون أبداً.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴾ بستان مخضر في الجنة .

﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ يُسْرُونَ، وكل أرض ذات نبات وماء روضة، ونكرت لإرادة الجنس، وتفخيماً لها.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ بالبعث يوم القيامة .

﴿ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ لا يغيبون عنه .

﴿ فَسَبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (١٧) .

[١٧] سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن المواقيت الخمس، هل هي في كتاب الله تعالى؟ قال: «نعم»، ثم تلا: ﴿ فَسَبِّحْنَ اللَّهَ ﴾ (١) أي: نزهوا الله.

﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ تدخلون في المساء، والمراد: صلاتا المغرب والعشاء.

﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ أي: تدخلون في الصباح، وهو صلاة الفجر.

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (١٨) .

[١٨] ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: «يحمده أهل السموات والأرض ويصلون» (٢)، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ هي صلاة العصر. ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ تدخلون في الظهر، وهي صلاة الظهر.

واتفق الأئمة على أن الصلوات المفروضة في اليوم واللييلة خمس، وعلى أنها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والفجر ركعتان، وتجب الصلاة بأول الوقت لغير معذور، وعليه بآخره بالاتفاق.

فأول وقت الظهر: إذا زالت الشمس، وهو ابتداء طول الظل بعد تناهي

-
- (١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٤١).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٢٢١).

قصره بالاتفاق، وآخر وقتها: إذا صار ظل الشيء مثله بعد الذي زالت فيه الشمس عند الشافعي وأحمد، وقال مالك: هو آخر وقت الظهر، وهو بعينه أول وقت العصر المختار يكون وقتاً لهما ممتزجاً بينهما، فإذا زاد زيادة بينة، خرج وقت الظهر المختار، واختص الوقت بالعصر، وعند أبي حنيفة آخر وقت الظهر مصير ظل الشيء مثليه، وخالفه صاحباه، فوافقا الشافعي وأحمد.

ثم العصر، ووقتها من خروج وقت الظهر على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار مصير ظل كل شيء مثليه عند مالك والشافعي وأحمد، ووقت الضرورة عند الشافعي وأحمد إلى غروب الشمس، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة، وقال مالك: وقت الضرورة ببقاء خمس ركعات من النهار يدرك بها الظهر والعصر، وما دون ذلك يدرك بها العصر دون الظهر.

ثم المغرب، ووقتها من مغيب الشمس بالاتفاق، قال مالك: وقت المغرب في الأخبار مغيب الشمس، وهو وقت واحد مضيق غير ممتد، لا يؤخر عنه، مقدر آخره بالفراغ منها في حق كل مكلف، وآخر وقتها عند الشافعي وأحمد مغيب الشفق الأحمر بالأفق، وهو من بقايا شعاع الشمس، وعند أبي حنيفة هو البياض الذي يبقى بعد الحمرة؛ خلافاً لصاحبيه.

ثم العشاء، ووقتها من مغيب الشفق على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار عند مالك والشافعي وأحمد ثلث الليل الأول، ووقت الضرورة عند مالك بقاء أربع ركعات من الليل قبل طلوع الفجر يدرك بها المغرب والعشاء، وما دون ذلك يدرك بها العشاء وحدها، وعند الشافعي وأحمد وقت الضرورة إلى طلوع الفجر الثاني، وهو البياض الذي يبدو من قبل

المشرق معترضاً بالأفق ولا ظلمة بعده، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة .

ثم الفجر، ووقتها من طلوع الفجر الثاني وهو الصادق إلى طلوع الشمس بالاتفاق، وتعجيلها أفضل عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة يستحب الإسفار، فمن أدرك قبل الشمس ركعة، فقد أدرك الصلاة عند الشافعي، وعند مالك مع الطمأنينة، وعند أحمد يدرك الوقت بتكبيرة الإحرام، وكذا الحكم عندهم في جميع الصلوات، وعند أبي حنيفة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الفجر بطلت صلاته، وليس كذلك إذا خرج الوقت في بقية الصلوات، والزائد على قدر واجب في الصلاة في قيام ونحوه نفل بالاتفاق .

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة .

﴿ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ عكسه . قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم : (الْمَيِّتِ) بالتشديد في الحرفين، والباقون : بالتخفيف^(١) .

﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ ﴾ بالمطر وإخراج النبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يسها .

﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي : كذلك نحياكم عند البعث . قرأ حمزة ،

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٢٤-٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٨/٥) .

والكسائي، وخلف: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء، واختلف عن ابن ذكوان^(١).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ دلائله الدالة على قدرته ووحدانيته .
﴿ أَنْ خَلَقَكُمْ ﴾ أي: خلق أصلكم، وهو آدم ﴿ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ ﴾
تَنْشُرُونَ ﴿ تنبسطون في الأرض، و(إذا) للمفاجأة؛ أي: فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

[٢١] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ حواء من ضلع آدم،
والنساء بعدها من أصلاب الرجال ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ لتأواوا إلى أزواجكم .
﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾ الجماع ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ الولد، فبرحمة الله يتعاطفون، ويرزق بعض بعضاً .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في عظمة الله وقدرته .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (٣/٤٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٦٩) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ ۚ ﴾

باللغات .

﴿ وَالْوَنُكُمُ ﴾ أبيض وأسود وغيرهما .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ ظاهرة ﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم : بكسر اللام الثالثة ، جمع عالم ، وهو ذو العلم ، وخص العلماء ؛ لأنهم أهل النظر والاستدلال ، دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها ، وقرأ الباقون : بفتح اللام^(١) ، جمع العالم ، وهم الخلق ، معناه : الآيات حجة على كل مخلوق .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ ﴾ أي : نومكم ﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ .

﴿ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ ﴾ أي : جعل الليل للسكنى ، والنهار للتصرف في طلب المعاش .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واعتبار .

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٠٧) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٥) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فِيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٤]

[٢٤] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من الصواعق .

﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيث .

﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فِيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو،
ويعقوب: (وَيُنزِلُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد^(١) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [٢٥] .

[٢٥] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ أي تدوما قائمتين إلى
أجلهما .

﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: من القبور ﴿ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾

المعنى: من دلائله على ألوهيته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى
حين يقال: يا أهل القبور اخرجوا، فيخرجون بلا توقف ولا إباء .

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٦٩) .

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُونَ ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَلْبُونَ ﴾ مطيعون لا يمتنعون

عليه، والمراد: طاعة الإرادة، لا طاعة العبادة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ينشئه من العدم أولاً.

﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بعد الموت للبعث.

﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي هو هين عليه، وما شيء عليه بعزير.

﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: الوصف الذي ليس لغيره

مثله.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ صفتان موافقتان لمعنى الآية؛ لأنه وصف

الوحدانية.

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ

شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ مِّمَّنْ خَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

أَنْفُسِكُمْ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ثم عقبه بصفات التشريك فقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

أي: بين لكم شبهاً من حالكم، و(مِنْ) هذه ابتدائية؛ أي: أخذ مثلاً وانتزعه

من أقرب شيء منكم، وهي أنفسكم، ثم بين المثل فقال: ﴿ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿٢٨﴾ أي: من عبيدكم وإمائكم، و(مِنْ) هنا تبييض .
﴿مَنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من المال، و(مِنْ) هنا زائدة لتأكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ﴾ في المال .
﴿سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ﴾ أي: تخافون مواليكم خيفة ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾
أي: أمثالكم من الأحرار، المعنى: هل ترضون أن يشارككم مَنْ مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ فيما رزقناكم، فتكونوا سواء، فتخافونهم أن ينفردوا بأمر دونكم،
كما تخافون الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك، فكيف ترضون لله
بشريك فيما يملكه؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كهذا التفصيل ﴿نُفِصِلُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم .

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ .
[٢٩] فلما لم ينزجروا، أضرب عنهم فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
أنفسهم بالكفر ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تقليداً للجهالة ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ
أَضَلَّ﴾ أي: أضله .
﴿اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب .

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِي
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أخلص دينك لله، وذكر الوجه؛ لأنه جامع

حواس الإنسان وأشرفه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة .

﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ خلقه الله . وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي^(١)، ويعقوب: (فِطْرَةٌ) بالهاء^(٢)، وهو نصب على الإغراء؛ أي: الزم فطرة الله .
﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي الإسلام .

﴿لَا بُدَّ لَ لِحَاقِ اللَّهِ﴾ خبر بمعنى النهي؛ أي: لا تبدلوا دين الله .

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته؛ لعدم تدبرهم .

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣١) .

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين؛ أي: راجعين إليه بالتوبة؛ لأن مخاطبته ﷺ تدخل معه فيها الأمة .

﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣٢) .

[٣٢] وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين؛ أي:

(١) «والكسائي» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٠/٥) .

جعلوه فرقاً مختلفة فيما يعبدونه على اختلاف^(١) أهوائهم. **قرأ حمزة، والكسائي: (فَارْقُوا)** بألف بعد الفاء وتخفيف الراء؛ أي: خرجوا من دينهم وتركوه، **وقرأ الباقون: بغير ألف مشدداً على المعنى الأول^(٢).**

﴿وَكَانُوا شِعَابًا﴾ أي: صاروا فرقاً مختلفة.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين.

﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون؛ ظناً منهم أنه الحق.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ﴾ [٣٣].

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ قحط وشدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ منقلبين.

﴿إِلَيْهِ﴾ بالدعاء.

﴿ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ خصباً ونعمة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ﴾ فأجاء فريق منهم بالإشراك.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣٤].

[٣٤] ثم أمرهم بإعادة وتهديداً فقال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾ أي: بسبب

ما أتيناهم، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد.

فقال: ﴿فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حالكم في الآخرة.

(١) «اختلاف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧١).

﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ أي : حجة .

﴿ فَهَوْ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ أي : يبين عذرهم عن شركهم .

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ نعمة من مطر ونحوه .

﴿ فَرِحُوا بِهَا ﴾ فرح البطر .

﴿ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ ﴾ قحط ونحوه .

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أعمالهم الخبيثة .

﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ فأجاؤا القنوط، وهو الإياس من رحمته تعالى . قرأ أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي، وخلف: (يَقْنَطُونَ) بكسر النون، والباقون: بفتحها^(١) .

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ يوسِّعه ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٢/٥) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فيستدلون بها على قدرته وحكمته .

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣٨) .

[٣٨] ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ بأن تبره وتصله ﴿ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ من
الزكاة، وتقدم الكلام عليهما في سورة التوبة، واختلاف الأئمة فيهما، وفي
بقية الأصناف الثمانية ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ يطلبون ثوابه .

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم من (١) النعيم
المقيم .

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم
مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣٩) .

[٣٩] ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا ﴾ قرأ ابن كثير: (أَتَيْتُمْ) بقصر الهمزة، وقرأ
الباقون: بالمد (٢)؛ أي: أعطيتهم، ومن قصر، فمعناه: ما جئتم من ربا ذلك
على وجه الإعلام (٣)؛ كما تقول: أتيت خطأ، وأتيت صواباً، فهو يؤول في
المعنى إلى قول من مد ﴿ لَّيْرَبُوا ﴾ أي: يزيد ﴿ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾ قرأ

(١) «من» ساقطة في «ت» .

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)،
و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢) .

(٣) في «ت»: «ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء» .

نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (لِتُرَبُّوا) بالتاء المضمومة وسكون الواو على الخطاب؛ أي: لتربوا أنتم، وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، **وقرأ** الباقون: بالغيب وفتح الياء والواو، وجعلوا الفعل للربا^(١)؛ لقوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ أي: لا ينمو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ولا يبارك فيه.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ﴾ تبتغون ﴿وَجَهَ اللَّهُ﴾ اتفق القراء على مد ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ من أجل قوله: (وَأَيَّتَ الرَّكَاةِ)، ثم رجع من الخطاب إلى الغيبة.

فقال: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ تُضَاعَفُ حسناتهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ المعنى: هو المختص بهذه الأشياء ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ فلم يجيبوا عجزاً.

فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من المعبودين. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٤٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للديلمي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (١/٥١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٣).

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤١].

[٤١] ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ ﴾ الجذب وقلة البركة ﴿ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ السواحل والمدن التي على ظهر البحر والأنهار، وقال الحسن بن أبي الحسن: البر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة، قال ابن عطية: وهذا هو القول الصحيح، وظهور الفساد فيهما هو بارتفاع البركات، ونزول رزايا وحدوث فتن، وتغلب عدو، وهذه الثلاثة توجد في البر^(١) والبحر^(٢).

﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: جزاء بما كسبت.

﴿ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ من الذنوب.

﴿ لِيُذِيقَهُمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب، وقنبل بخلاف عنه: (لِيُذِيقَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء^(٣) أي عقوبة ﴿ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ من الذنوب ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن معاصيهم بالتوبة.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانْ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [٤٢].

[٤٢] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ليروا

(١) «البر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٣٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٤).

منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بكفرهم .

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ ﴾ تقدم تفسيره .

﴿ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ المستقيم ، وهو دين الإسلام .

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ لا يقدر أحد على رده
﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ . قرأ حمزة : (لَا مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع (١) .
﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴾ يتفرقون : فريق إلى الجنة ، وفريق إلى النار .

﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي : وبال كفره .

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ يوطئون منزلاً في الجنة .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾ من عطائه .

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ لا يُظهر عليهم أمارات الرحمة ، ولا يرضاه لهم

ديناً .

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ ﴾ الشمال والصبأ والجنوب ؛ فإنها رياح الرحمة ، وأما الدبور ، فريح العذاب ﴿ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ بالمطر .

﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ المنافع التابعة لها .

﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ ﴾ في البحر بالرياح .

﴿ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ لتطلبوا من رزقه بتجارة البحر .

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة الله .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالدلالات على صدقهم .

﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ عذبنا الذين كذبوهم .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بإنجائهم من العذاب لإيمانهم .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من خلله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ ﴾ قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (الريح)

بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس ، والباقون : بألف على الجمع^(١) ،
ولا خلاف في الحرف المتقدم قبل هذا أنه على الجمع .

﴿ فَتَشِيرُ سَحَابًا ﴾ أي : تنشره ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي : نحوها .
﴿ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ من قلة وكثرة .

﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾ قرأ ابن عامر ، وأبو جعفر : بإسكان السين على
التوحيد ، وقرأ الباقر : بفتح السين جمع كسفة ؛ أي : قطعاً ، واختلف عن
هشام^(٢) ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ أي : المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ وسطه .

﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ﴾ أي : بالودق .

﴿ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون بالمطر .

﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾^(٤٩) .

[٤٩] ﴿ وَإِنْ كَانُوا ﴾ أي : الخلق ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ ﴾ المطر .

﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل السحاب ﴿ لَمُبْلِسِينَ ﴾ آيسين .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٧٨) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص :
٣٤٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٧٤) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٠٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٥) ،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢ / ٣٠٩) ، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥ / ٧٤-٧٥) .

﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أثر) بقصر الهمزة وحذف الألف بعد التاء على التوحيد، وقرأ الباقون: بمد الهمزة وألف بعد التاء على الجمع^(١)، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة التاء^(٢)، و(رَحِمَتِ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(٣)، المعنى: انظر إلى تأثير المطر.

﴿ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بالنبات والأشجار وأنواع الثمار.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي: محييا بعد الموت.

﴿ لَمُحْيِي الْمَوْتِ ﴾ وهو الله تعالى.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من البعث وغيره.

﴿ وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا ﴾ مضرة على زرعهم، فأفسدته ﴿ فَرَأَوْهُ ﴾ أي:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)،

و«تفسير البغوي» (٣/٥٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٩)، و«النشر في القراءات

العشر» لابن الجزري (٢/٥٤-٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٦).

(٣) سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

النبات ﴿مُصْفَرًا﴾ بعد خضرته ﴿لَظَلُّوا﴾ أي: ليظللن ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون ما سلف من النعم.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

﴿٥٢﴾ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ .

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ تقدم تفسير نظير هاتين الآيتين . واختلاف القراء فيهما مستوفى في سورة النمل [الآية: ٨١]، وكذا الحكم في التفسير والاختلاف هنا .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ .

﴿٥٤﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي: من النطف ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ أي: من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب . قرأ أبو عمرو: (خَلَقَكُمْ) بإدغام القاف في الكاف، وقرأ: (مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) بإدغام الدال في الضاد^(١)، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي: قوة الشباب ﴿ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية»

ضعف الشيخوخة وشيبيها. قرأ حمزة، وعاصم بخلاف عن رواية حفص :
بفتح الضاد في الأحرف الثلاثة، والباقون: بضم الضاد فيهما، فالضم لغة
قريش، والفتح لغة تميم^(١).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبي وشيبة.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا
يُؤْفَكُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ التي فيها القيامة.

﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في القبور
﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة، ويكذبون
ثم، فيفتضحون.

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون إلى
الكذب في الدنيا. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (كَذَلِكَ كَانُوا)
يادغام الكاف الأولى في الثانية^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص:
١٧٥-١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٧٧/٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٥).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ۖ .

[٥٦] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ من الملائكة والإنس مُنكرين عليهم

كذبهم :

﴿ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي : فيما كتبه الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور .

﴿ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ والفاء بعد جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام ، تقديره : إن شككتم في يوم البعث .

﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ الذي كنتم تنكرونه في الدنيا .

﴿ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق . قرأ نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، ويعقوب ، وخلف : (لَبِئْتُمْ) و(لَبِئْت) حيث وقع بإظهار التاء عند التاء ، والباقون : بالإدغام^(١) .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ۖ .

[٥٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ ﴾ اعتذارهم ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي : لا تُطلب منهم العتبي ؛ أي : لا يقال لهم : أَرْضُوا رَبَكُمْ

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص : ٣٤٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٥) .

بالتوبة والطاعة^(١) كما دُعوا إليه في الدنيا؛ من قولهم: استعتبني فلان، فأعتبه؛ أي: استرضاني، فأرضيته، وحقيقة أعتبه: أزلت عتبه، والعتب في معنى الغضب. قرأ الكوفيون: (يَنفَع) بالياء على التذكير، والباقون: بالناء على التأنيث^(٢).

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بِئَايَةٍ يَقُولنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٥٨).

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال. قرأ ابن كثير: (القرآن) حيث وقع بالنقل، والباقون: بالهمز^(٣).

﴿وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بِئَايَةٍ يَقُولنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عناداً:
﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: أصحاب باطل.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٩).

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الطبع، وهو الختم.

﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ﴾ الجهلة ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

(١) «الطاعة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٥).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧٨/٥).

﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [٦٠].

[٦٠] ﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصرتك، وإظهار دينك، لا بد من إنجازه ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ ﴾ لا يحملنك على الخفة والطيش ﴿ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته. قرأ رويس عن يعقوب: (يَسْتَخِفَّنكَ) بتخفيف النون، والباقون: بالتشديد^(١)، والله أعلم.



(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٧٩).



مكية غير ثلاث آيات، أولهن: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾،
أيها: أربع وثلاثون آية، وحروفها: ألفان ومئة وعشرة أحرف، وكلمها:
خمس مئة وثمان وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ .

[١] ﴿الْمَ﴾ .

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الكتب المتقدمة أنها في القرآن معنى .

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ أي: ذي الحكمة .

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ .

[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ قرأ حمزة: (وَرَحْمَةً) بالرفع على الابتداء؛ أي:

هو هدى ورحمة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال من الآيات^(١) ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم .

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ .

[٥] ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بطلبتهم .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٦﴾ .

[٦] وكان النضر بن الحارث بن كلدة يتجر، فيأتي الحيرة، فيشتري أخبار الأعاجم، ويحدث بها قريشاً، ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستمحون حديثه، ويتركون سماع القرآن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٣).

مَنْ يَشْتَرِي ﴿١﴾ يُسْتَبَدَلُ ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ باطله، وقيل: نزلت فيمن يشتري المغنيات، قال عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ: «لا يحل شراء المغنيات، ولا بيعهن، وأثمانهن حرام» ﴿٢﴾؛ لأن في مثل هذا نزلت هذه الآية.

﴿لِيُضِلَّ﴾ ليصير آخر أمره إلى الضلال.

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل بجهل.

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي: السبيل ﴿هُزُؤًا﴾ سخرية.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيُضِلَّ) بفتح الياء (وَيَتَّخِذَهَا) برفع الذال عطفاً على (يشتري)، و(هُزُؤًا) بضم الزاي والهمز، وقرأ حفص عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، (وَيَتَّخِذَهَا) بنصب الذال عطفاً على (لِيُضِلَّ)، و(هُزُؤًا) بضم الزاي وفتح الواو منونة بغير همز، وقرأ حمزة، وخلف: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزُؤًا) بإسكان الزاي مع الهمز، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزُؤًا) بضم الزاي والهمز (٣).

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحي (ص: ١٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٥)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة لقمان، وقال: حديث غريب، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، وابن ماجه (٢١٦٨)، كتاب: التجارات، باب: مالا يحل بيعه، والإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٥٧)، عن أبي أمامة - رضي الله عنه -.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤ و ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٥ و ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٣-٨٤).

﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَىٰ مَسْتَكْبِرًا كَان لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَىٰ مَسْتَكْبِرًا ﴾ لا يعبأ بها .

﴿ كَان لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ وهو الثقل الذي يغير إدراك المسموعات . قرأ نافع : (أُذُنَيْهِ) بإسكان الذال، والباقون : بضمها^(١) .
﴿ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وذكر البشارة على التهكم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ لما ذكر الكفرة وتوعدهم بالنار، عقب بذكر المؤمنين، ووعدهم بجنات النعيم؛ ليبين الفرق .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال من ضمير (لَهُمْ) ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ مصدران مؤكَّدان، الأول مؤكَّد لنفسه؛ لأن معنى ﴿ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ وعدهم بها، فأكد معنى الوعد بالوعد، ﴿ وَهُوَ ﴾ دال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد، وأكد جميعاً ﴿ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ .
﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلبه شيء ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أفعاله .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٥) .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ جمع أعمدة، وهي جمع عمود
البيت؛ يعني: السواري ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ استشهاد برؤيتهم لها كذلك،
والمراد: نفي العمد أصلاً، وهو الأصح، فهي واقفة كالقبة، والقدرة أعظم
من ذلك .

﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ ﴾ جبلاً رست؛ أي: ثبتت في الأرض .

﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ لئلا تضطرب بكم .

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ ثم رجع من الغيبة إلى الحضور .

فقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ والزوج في
اللغة: النوع والصنف، وليس بالذي هو ضد الفرد، وقوله: ﴿ كَرِيمٍ ﴾
أي: كثير المنفعة .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ يعني: الذي ذكرت مما تعينون مخلوق الله .

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من آلهتكم التي تعبدونها .

﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين،

فذكرهم بالصفة التي تعم معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الأمم .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) .

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ﴾ وهو ابن ناعور ابن أخت أيوب عليه السلام، وقيل غير ذلك ﴿الْحِكْمَةَ﴾ العقل والعلم، ولم يكن نبياً، وكان قاضياً في بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام، روي أنه خيره الله بين النبوة والحكمة، فاختر الحكمة.

وروي عن ابن عمر: أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حقاً أقوله، لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثيرَ التفكر، حسنَ اليقين، أحب الله تعالى، فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»^(١) انتهى، وكان يؤازر داود؛ لحكمته، وعاش ألف سنة، وقبرُ لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة رملة فلسطين، وعليه مشهد، وهو مقصود للزيارة، وقال قتادة: قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها، وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد، أخرجهم بنو إسرائيل من القدس، فألجؤوهم إلى الرملة، ثم أحاطوا بهم هناك، فتلک قبورهم.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: وقلنا له: أن اشكر الله على ما أعطاك من الحكمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (أَنْ اشْكُرْ) بضم النون في الوصل، والباقون: بالكسر^(٢).

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٣٨٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٥/١٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨٥/٥).

﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ لأن ثوابه له .

﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ نعمة ربه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ ﴾ عن خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ محمود

على صنعه .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) .

[١٣] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي : واذكر إذ ﴿ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ ﴾ واسمه أنعم ، وقيل :

أشكم .

﴿ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾ يذكره بالآخرة ﴿ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . قرأ ابن كثير : (يا بُنَيَّ) بإسكان الياء مخففة [في هذا الحرف ، وقرأ حفص عن عاصم : (يا بُنَيَّ) بفتح الياء مشددة في الأحرف الثلاثة على قولك : يا بُنَيَّا ، ووافقه البزي في : (يا بُنَيَّ أقم الصلاة) ، وقرأ قبل : (يا بُنَيَّ أقم الصلاة) بإسكان الياء مخففة^(١) ، وقرأ الباقون : بكسر الياء مشددة في الثلاثة على إدغام إحدى الياءين في الأخرى^(٢) .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُ الْهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (١٤) .

[١٤] ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي : توالى

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥١٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٦) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٦) .

عليها ضعف على ضعف؛ لأن الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف ﴿وَفِصَلَّهُ﴾ أي: مدة فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ أي: وصيناه بشكرنا، وشكر والديه. قرأ أبو عمرو: (أَنْ أَشْكُرَ لِي) بإدغام الراء في اللام، ورؤي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه^(١).

﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع، قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس، فقد شكر والديه^(٢).

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراف.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الشرك.

﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: صحاباً معروفاً، وهو البر والصلة.

(١) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٦).

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/٢٨٢).

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ أي: دين ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أقبل على طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وجيء بهاتين الآيتين اعتراضاً في قصة لقمان؛ لمناسبة بينهما؛ لأن فيهما نهياً عن الشرك كما في القصة.

﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

[١٦] ثم قال لقمان مخاطباً ابنه: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: زنة حبة من حب الخردل. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مِثْقَالُ) برفع اللام؛ أي: إن وقع زنة حبة، وقرأ الباقر: بالنصب (١) على معنى: إن كان العمل مثقال حبة، وتقدم نظيره في سورة الأنبياء.

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ قال ابن عباس: «هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها» (٢).

﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ للجزاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها، لا يفوته شيء،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الصنعاني» (٣/١٠٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٩/٣٠٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٤٤٧) وقال: كأنه من متلقى الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

ويجازي به، روي أن آخر كلمة تكلمها هذه، ثم انشقت مرارته؛ لهيبتها، فمات.

﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وابدأ بنفسك، وتقدم تفسير المعروف والمنكر والحكم فيه في سورة التوبة.

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ من الأذى بسبب ذلك؛ فإنه يورث المحن.
﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ مما عزمه الله؛ أي: قطعه قطع إيجاب.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً واحتقاراً لهم. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: (تُصَعِّرُ) بتشديد العين من غير ألف، والباقون: بتخفيفها وألف قبلها^(١)، ومعناها واحد؛ من الصَّعَرَ: داء يأخذ الإبل، فتميل أعناقها منه.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٨).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ بطراً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ ﴾ متبختر في مشيته .

﴿ فَخُورٍ ﴾ على الناس صاحبُ خيلاء .

﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١٩) .

[١٩] ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ اعدل ، فلا تدب ، ولا تثب .

﴿ وَاعْضُضْ ﴾ انقص .

﴿ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ واخفضه في محل الخطاب دون الإرهاب للعدو .

﴿ إِنَّ أَنْكَرَ ﴾ أقبح ﴿ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ لأن أوله زفير ، وآخره شهيق ؛ كصوت أهل النار .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٢٠) .

[٢٠] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ بأن جعله سبباً لمنافعكم

﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ بأن مكنكم من الانتفاع به .

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ ﴾ أكمل عليكم ﴿ نِعْمَهُ ﴾ قرأ نافع ، وأبو جعفر ،

وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم : (نِعْمَهُ) بفتح العين وضم الهاء على الجمع

والتذكير؛ لأن أنعمه كثيرة، وقرأ الباقون: بإسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والتوحيد^(١)؛ إرادة الجنس.

﴿ظَهْرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة، ولما كان النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأمّية بن خلف، وأشباههم يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته.

نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢) مستفادٍ من دليل.

﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى الرسول.

﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢١).

[٢١] كما قال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وجواب (أَوْلَوْ) محذوف، تقديره: أتتبعون الشيطان، وإن كان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ والتقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به، ومنه القلادة، ثم

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٥١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٨٩)، والقراءة جاءت بخلاف عن أبي عمرو وابن كثير وعاصم.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥١٢).

استعمل في تفويض الأمر إلى الغير؛ كأنه ربطه في عنقه، واصطلاحاً: قبول قول الغير بلا حجة، فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام؛ لأنه حجة في نفسه.

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: يخلص دينه لله.

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في عمله (١).

﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وهو:

لا إله إلا الله.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ فيعطي كلاً جزاءه.

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٣).

[٢٣] ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ﴾ فإنه لا يضرك. قرأ نافع:

(يُحْزِنُكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي (٢)

﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ في الدارين.

(١) في «ت»: «علمه».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٩٠/٥).

﴿ فَنذِتُّهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ بالإهلاك والتعذيب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ فمُجَازٍ عَلَيْهِ .

﴿ نُمِنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ نُمِنَعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ نمهلهم مدة آجالهم ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ نلجئهم .

﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لوضوح الدليل

المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب

بطلان معتقدتهم .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ التوحيد ووجوبه عليهم .

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره .

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ الذي لا حاجة له في وجوده وكماله إلى شيء .

﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المحمود؛ أي : كذلك هو بصفته وذاته .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ
أُبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧) .

[٢٧] ولما نزل بمكة: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة،
أتاه أحبار اليهود، وقالوا: يا محمد ما تريد بقولك: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ إيانا أم قومك؟ فقال: كُلاً، فقالوا: أليست التوراة فينا؟ قال: هي
في علم الله قليل .

فنزول: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ (١) أي: شجرة شجرة حتى
لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد بُرئت أقلاماً.

﴿ وَالْبَحْرُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَالْبَحْرُ) بالنصب عطفاً على
(ما) التي هي اسم (أن)، وقرأ الباقون: بالرفع على أنه ابتداء، وخبره في
الجملة التي بعده (٢).

﴿ يَمُدُّهُ ﴾ يزيده، وينصبُ فيه ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (٣)؛ أي: من خلفه ﴿ سَبْعَةُ
أُبْحُرٍ ﴾ .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١ / ٨١). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:
١٩٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣ / ٥١٤)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢ / ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٩٠-
٩١).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣ / ٥١٤)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢ / ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٩٠-
٩١).

﴿ مَا نَفَدَتْ ﴾ المعنى: لو أن جميع أشجار الأرض أقلام، وتنصب في البحر سبعة أبحر، ومياهاها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لنفدت الأقلام والمداد، ولم تنفذ ﴿ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴾؛ يعني: علمه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ونزل رداً على منكري البعث: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ ﴾ مع كثرتم.

﴿ إِلَّا كَفَنَسٍ ﴾ أي: إلا كخلق نفس ﴿ وَاحِدَةً ﴾ وبعثها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ فلا يفوته شيء ٤.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يدخل أحدهما في الآخر.

﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى منتهى معلوم:

الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، وقيل: الأجل المسمى: القيامة التي تنقضي فيها هذه البنية.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ عالم بكنهه .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٠) .

[٣٠] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾ أي : لتعلموا أن الله ﴿ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي : صفة الألوهية حق ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ من الأصنام ﴿ الْبَطْلُ ﴾ المعدوم . قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم : (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون : بالخطاب^(١) .
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ ﴾ على كل شيء ﴿ الْكَبِيرُ ﴾ عن أن يكون له شريك .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣١) .

[٣١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ أي : إن ذلك من نعمة الله عليكم، و(نِعْمَتِ) رُسِمَت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء : ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(٢) .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٢/٥) .

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة .

﴿لِيرِيكُمْ مِّنْ آيَاتِنَا﴾ من عجائبه .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ صبور على أمر الله .

﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) .

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ يعني: الكفار، وهم في البحر ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾

لأن موج البحر يرتفع ويتراكب كالظلل، وهي السحب .

﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يذكرون معه^(١) سواه .

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾ عدل، موف في البر بما عاهد الله

عليه في البحر من التوحيد له، قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل، هرب

عام الفتح إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله

من هذا، لأرجعن إلى محمد، ولأضعن يدي في يده، فسكنت الرياح،

فرجع عكرمة إلى مكة، فأسلم وحسن إسلامه^(٢) .

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار .

﴿كَفُورٍ﴾ للإحسان إليه .

(١) «معه» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥١٥) .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا ﴾ أي : عذاب يوم .

﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا ﴾ أي : لا يقضي عنه ، و(يُجْزِي) - بالضم - : يغني ، والتلاوة بالأول .

﴿ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ ما روي عن يعقوب وقنبل : الوقف بالياء على (جَازِي) (١) .

﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بالثواب والعقاب ﴿ حَقٌّ ﴾ لا خُلفَ فيه .
﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان ، والغرور : التطميع بما لا يحصل ، ومعنى الآية : أن تعمل بالمعصية ، وتتمنى المغفرة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٤) .

[٣٤] ولما سئل النبي ﷺ عن الساعة ، وعن نزول الغيث ، وعن وضع الحمل ، والكسب ، والموت ، نزل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ (٢) وقت

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١) .

(٢) انظر : «أسباب نزول» للواحيدي (ص : ١٩٩-٢٠٠) .

قيامها ﴿وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ﴾ في محله المعين له في علمه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم: (وَيُنزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون: بإسكان النون وتخفيف الزاي^(١) ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ من ذكر وأثني، وأسود وأبيض، وغير ذلك.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ من برّ وبحر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مفاتيح الغيب خمسة» وتلا هذه الآية^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالأشياء كلها ﴿حَيْرٌ﴾ يعلم بواطنها وظواهرها، والله أعلم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١)، كتاب: التفسير: باب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.



وتسمى: سورة المضاجع، مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إلى تمام ثلاث آيات، وآيها: ثلاثون آية، وحروفها: ألف وخمسة مئة وثمانية عشرة حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾.

[١] ﴿الْم﴾ اختلفوا في إعراب أوائل السور على ثلاثة أقوال: قيل: محلها رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه ألف لام ميم، أو مبتدأ وما بعده خبر، وقيل: محلها نصب على إضمار فعل؛ أي: اقرأ ألف لام ميم، وقيل: في محل جر على إضمار جر بالقسم؛ أي: وألف لام ميم، وتقدم تفسيره واختلاف القراءة فيه غير مرة.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في الكتاب أنه تنزيل.

﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لأنه معجز ، وإذا تَوَمَّلْ ، وُجِدَ كذلك .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [٣] .

[٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي : بل أيقولون : ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ أي : اختلق محمدُ القرآن .

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي : القرآن ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم العرب .

﴿ مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن العرب لم يُبعث إليهم أحد قبل النبي ﷺ ؛ لأنهم كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ بإنذارك إياهم .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

[٤] ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تقدم الكلام فيه في سورة طه ﴿ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ ﴾ من دون عذابه .

﴿ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ المعنى : إذا خالفتموه ، فلا ناصر يذب عنكم ، ولا شافع يشفع لكم .

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ بمواعظ الله!؟

﴿ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

[٥] ﴿ يَدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ يقضي القضاء وينزله ﴿ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبَعَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ ﴾ يصعد ﴿ إِلَيْهِ ﴾ المعنى: ينزل الملك بالوحي من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إلى مقره منها.

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ من أيامكم؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة^(١)، فيكون هبوط الملك وصعوده في قدر يوم واحد، وأما قوله: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] فهو مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض، ثم عوده إلى السدرة، فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا.

﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ المدبر ﴿ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي: يعلم الظاهر والباطن ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بعباده.

(١) في «ت»: «عام».

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ [٧].

[٧] ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ قرأ نافع، والكوفيون: (خَلَقَهُ) بفتح اللام؛ أي: كل شيء^(١) خلقه حسن، وقرأ الباقون: بإسكانها^(٢)؛ أي: أحسن كمل^(٣) خلق كل شيء؛ أي: أتقنه وأحكمه.

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ ﴾ أي: آدم ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [٨].

[٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾ ذريته.

﴿ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾ من نطفة؛ لأنها تسلسل من الإنسان.

﴿ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف.

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [٩].

[٩] ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ قومه وسوى خلقه ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ أي: جعل

فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه، فصار بذلك حياً حساساً بعد أن كان جماداً، لا أن ثم حقيقة نفخ، ثم عاد إلى ذريته فقال:

(١) «شيء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٥١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٨/٥).

(٣) «كمل» ساقطة في «ت».

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ﴾ بعد أن كنتم نُظْفَاءً .

﴿ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ يعني : لا تشكرون إلا شكراً قليلاً .

﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ وَقَالُوا ﴾ منكرو البعث : ﴿ آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ذهبنا وصرنا تراباً، و(ضَلَلْنَا) بالصاد المهملة: تغيرنا، والتلاوة بالأول ﴿ آءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ المعنى: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا؟ واختلف القراء في (أئذا) (أئننا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، **فقرأ** ابن عامر، وأبو جعفر: (إِذَا) بالإخبار (أئننا) بالاستفهام، وابن عامر: يحقق الهمزتين، وأبو جعفر: يسهل الثانية ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، **وقرأ** نافع، والكسائي، ويعقوب: (أئذا) بالاستفهام (أئننا) بالإخبار، فنافع يسهل الهمزة الثانية، ورواية قالون: يفصل بينهما بألف، ووافقه رويس عن يعقوب في التسهيل، والكسائي: يحقق الهمزتين، وافقه روح عن يعقوب، **وقرأ** الباقون: (أئذا) (أئننا) بالاستفهام فيهما، فابن كثير وأبو عمرو: يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو: يفصل بينهما بألف، وعاصم وحمزة وخلف: يحققون الهمزتين^(١)، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٦٢-٣٦٤ و٣٧٢-٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٩٩).

للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

﴿قُلْ يَنفِقْنِكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ يَنفِقْنِكُمْ﴾ يقبض أرواحكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: وكل يقبض أرواحكم، وهو عزرائيل - عليه السلام -، والتوفي: هو استيفاء العدد، معناه: أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليهم الموت.

روي أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد، يأخذ منها صاحبها ما أحب بلا تعب، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، روي أن أعوانه ينزعون الروح، فإذا بلغت ثغرة النحر، نزعها هو^(١).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت أحياءً، فيجزئكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تُرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥٤١/٢١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥٢٠/٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٠/٥).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [١٢] .

[١٢] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ أي: وليتك يا محمد ترى ﴿ إِذِ الْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون ﴿ نَاكِسُوا ﴾ مطأطئو ﴿ رُءُوسِهِمْ ﴾ خجلاً وندماً ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يوم القيامة، فتمنى تعالى أن يراهم نبيّه - عليه السلام - على الحالة الرديئة؛ لأنهم آذوه .

﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: ويقولون: ربّنا ﴿ أَبْصَرْنَا ﴾ صدق وعدك .
﴿ وَسَمِعْنَا ﴾ منك تصديق رسلك، تقديره: لو رأيت حالهم، لرأيت العجب .

﴿ فَارْجِعْنَا ﴾ إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ فيها .
﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ هنا بما أنكرنا ثم .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٣] .

[١٣] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ رشدها إلى الإيمان، وأجبرناها عليه .

﴿ وَلَٰكِن حَقَّ ﴾ أي: ثبت ﴿ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ بالوعد، وهو: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ ﴾ أي: الشياطين ﴿ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وهو قوله لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥] .

﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ ﴿١٤﴾ .

[١٤] ثم يقال : ﴿ فذوقوا ﴾ هذا الذي أنتم فيه ؛ من التنكيس والخزي .

﴿ يَمَا نَسَيْتُمْ ﴾ بسبب نسيانكم ﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ وهو يوم القيامة ، واشتغالكم بملذاتكم عن الاعتداد له ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ تركناكم .
﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ الدائم في جهنم ﴿ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

[١٥] ثم أثنى - عز وجل - على المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا ﴾ وعضوا ﴿ بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين خوفاً منه .

﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ نزهوا الله عما لا يليق به ، حامدين له على ما وفقهم .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ على الإيمان به ، والسجود له ، وهذا محل سجود بالاتفاق ، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم ، ويُسن عند الشافعي وأحمد أن يقرأ في فجر الجمعة في الركعة الأولى : ﴿ الْم ﴾ السجدة ، وفي الثانية ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ [الإنسان] وكره أحمد المداومة عليهما ؛ لئلا يُظن أنها مفضلة

بسجدة، وعند أبي حنيفة ومالك: لا يسن، بل كره أبو حنيفة تعيين سورة غير الفاتحة بشيء من الصلوات؛ لما فيه من هجران الباقي، وكره مالك قراءة السجدة في صلاة الفرض جهراً أو سراً، فإن قرأ، هل يسجد؟ فيه قولان.

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿ نَتَجَافَى ﴾ ترتفع ﴿ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ جمع مضجع، وهو الفراش، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة.

وقال ابن رواحة يمدح النبي ﷺ:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ
أَرَانَا الْهَدَى بَعْدَ الْعَمَى فقلوبنا به موقناتٌ أَنْ مَا قَالَ وَقَعُ
بَيْتٌ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنِ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ^(١)
﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من النار ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الجنة.
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدقون تطوعاً.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧).

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ لا ملكٌ مقرب، ولا نبي مرسل.

(١) رواه البخاري (٥٧٩٩)، كتاب: الأدب، باب: هجاء المشركين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

﴿ مَا أَحْفَى لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ هو ما تقر به أعينهم . قرأ حمزة ، ويعقوب :
 (أُحْفِي) بسكون الياء معلوماً مستقبلاً؛ أي: أخفي أنا، وقرأ الباقون:
 بفتحها مجهولاً على بناء الفعل للمفعول^(١) .

﴿ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الخير .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : «يقول الله تبارك وتعالى :
 أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على
 قلب بشر ، بَلَّه ما اطلعت عليه»^(٢) ، و(بَلَّه) ؛ أي : غير .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾^(٣) .

[١٨] ولما وقع تنازع بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبين
 الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه ، فقال الوليد: لعلي:
 اسكت ، فإنك صبي ، فقال له علي : «اسكت ؛ فإنك فاسق» ، نزل قوله
 تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾^(٣) عند الله ، أفرد
 مؤمناً وفاسقاً حملاً على لفظ (مَنْ) وجمع (لَا يَسْتَوُونَ) حملاً على معناها ؛

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦) ، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧) ،
 و«تفسير البغوي» (٣/٥٢٤) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
 (٢/٣٤٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠١/٥) .

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٢) ، كتاب: التفسير ، باب: قوله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ، ومسلم (٢٨٢٤) ، في أول كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠٧/٢١) ، عن عطاء ، ورواه الواحدي في «أسباب
 النزول» (ص: ٢٠١-٢٠٢) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

لأنها للعموم؛ لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٩].

[١٩] ثم بين التفاوت بينهما فقال: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ ﴾ استحقاقاً تكرماً منه تعالى ﴿ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ التي يأوي إليها المؤمنون.

﴿ نُزُلًا ﴾ جزاءً وثواباً ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بسبب أعمالهم.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ إهانة لهم، وزيادة في غيظهم، قال هنا: (الَّتِي) أراد: العذاب، وفي سبأ (الَّتِي) أراد: النار.

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ﴾ أي: الأقرب عذاب الدنيا من

القتل والأسر والمحن ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ عذاب الآخرة؛ أي: نذيقهم العذاب هنا قبل العذاب .

ثم ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي: من بقي منهم ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ يتوبون .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ (٢٢) .

[٢٢] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ فلم يتفكروا فيها، و(ثم) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها .

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أجمعين ﴿ مُنْتَقِمُونَ ﴾ وظاهر الإجماع هنا: أنه الكفر، وروى معاذ بن جبل - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ: أنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقد لواءً في غير حق، ومن عَقَّ والديه، ومن نصر ظالماً»^(١) .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢٣) .

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ أي: شك ﴿ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ أي: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله ابن عباس وغيره ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وهو التوراة، وهو التوراة ﴿ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ روي أن

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١/٢٠) . وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥٥٥/٦) .

التوراة إنما جعلت هدى لبني إسرائيل خاصة دون بني إسماعيل .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [٢٤]

[٢٤] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ ﴾ من بني إسرائيل ﴿ أُمَّةً ﴾ قادة في الخير يُقتدى بهم؛ يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم. واختلاف القراء في (أُمَّةً) كاختلافهم فيه في الحرف المتقدم في سورة الأنبياء [الآية: ٧٣] ﴿ يَهْدُونَ ﴾ يدعون إلى الطاعة ﴿ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (لَمَّا) بكسر اللام وتخفيف الميم؛ أي: بصبرهم، وقرأ الباقون: بفتح اللام وتشديد الميم^(١)؛ أي: حين صبروا على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم .

﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ إمعانهم فيها النظر .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٢٥]

[٢٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقضي بين الأنبياء وأممهم .

﴿ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٤/٥).

﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢٦).

[٢٦] ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ يُبَيِّنْ ﴾ لَهُمْ ﴾ أي: لأهل مكة. قرأ زيد عن يعقوب: (نَهْد) بالنون، والباقون: بالياء^(١)، فالفاعل على القراءتين مضمرة؛ أي: الله.

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ أي: الأمم؛ كعاد وثمود ﴿ يَمْشُونَ ﴾ أهل مكة ﴿ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴾ يمرون على ديارهم في متاجرهم. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ المواعظ فيتعظون؟! *

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢٧).

[٢٧] ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ أي: اليابسة المعدومة النبات. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (الْمَاءَ إِلَى) كاختلافهم فيهما من قوله: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢]، المعنى: ألم يستدلوا على قدرتنا بسوقنا المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها؟! قال ابن عباس: «هي أرض باليمن»^(٢).

(١) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٥/٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٢٧).

﴿فَنُخْرِجْ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمَهُمْ﴾ كالتبن ﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾ كالحبوب

والفواكه .

﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ ذلك فيؤمنون؟!

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ .

[٢٨] ولما قال الكافرون للمؤمنين استهزاء: متى الساعة فيقضى بيننا

وبينكم؟! نزل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾^(١) أي: القضاء والحكم .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في الوعد .

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ وهو يوم القيامة .

﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يُمهّلون؛ فإنه يوم نصر

للمسلمين على الكفرة، والفصل بينهم .

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد، وهو منسوخ بآية السيف .

﴿وَأَنْظِرْ﴾ وعدي بنصرك ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ هلاكك .

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١٦/٢١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥٥٧/٦).

عن جابر - رضي الله عنه -، قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ:
﴿تَبْرَكَ﴾، و﴿الْعَمَّ﴾ تَنْزِيلٌ^(١)، والله أعلم.

* * *



(١) رواه الترمذي في (٢٨٩٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/٣٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٧)، وغيرهم.



مدنية، وآيها: ثلاث وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف وسبع مئة وستة وتسعون حرفاً، وكلمها ألف ومئتان وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[١] رُوِيَ أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَعِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَأَبَا الْأَعْوَرِ بْنَ سَفِيَانَ السَّلْمِيَّ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ قِتَالِ أَحَدٍ، وَقَدْ أَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَكَلِّمُوهُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، وَطُعْمَةُ بْنُ أَبِي رَيْقٍ، وَمَعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اِرْضُ ذِكْرَ آلِهَتِنَا اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَقُلْ: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةَ لِمَنْ عِبَدَهَا، وَنَدْعُكَ وَرَبِّكَ، فَشَقَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي قَتْلِهِمْ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتَهُمُ الْأَمَانَ»، فَقَالَ عُمَرُ: اخْرُجُوا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ أَنْ يَخْرِجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ

تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ﴾^(١)، ولم يقل: يا محمد؛ ك: يا آدم، ويا موسى، ويا عيسى؛ تشریفاً له، وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فلإعلام أنه كذلك، وللتنبية على اتباعه. **قرأ نافع:** (النَّبِيَّ) و(النَّبِيُّونَ) و(النَّبِيِّينَ) و(نَبِيِّهُمْ) و(الْأَنْبِيَاءَ) و(النُّبُوءَةَ) بالمد والهمز حيث وقع، فيكون معناه: المخبر؛ من أنبا ينبيء؛ لأنه إنباء عن الله، وخالفه قالون في حرفين من هذه السورة يأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى، **وقرأ** الباكون: بترك الهمزة وتشديد الياء^(٢)، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تركت الهمزة فيه تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذ من النبوة، وهو المكان المرتفع.

﴿أَتَقِ اللَّهَ﴾ دُم على التقوى.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة؛ يعني: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعرور.

﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ من أهل المدينة: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد، وطعنة، فيما يخالف شريعتك، ويعود بوهن في الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلق، وهذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا عليك منهم، ولا من إيمانهم، فالله عليم بما ينبغي لك، حكيم في هدى من يشاء، وإضلال من يشاء.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٥٢-٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٩/٥).

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

[٢] ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ واعمل به .
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب،
يعني: الكفرة والمنافقين؛ أي: إن الله خبير بمكائدهم، فيدفعها عنك، وقرأ
الباقون: بالخطاب^(١)، وقوله: (كان) في هاتين الآيتين هي التي تقتضي
الدوام^(٢)؛ أي: كان ويكون^(٣)، وليست الدالة على زمان مخصوص للمضي .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٣﴾ .
[٣] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ثِقْ بِهِ ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ حافظاً ورازقاً لك،
والوكيل: القائم بالأمر، المغني فيه عن كل شيء .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي
تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ
وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ﴿٤﴾ .

[٤] ولما قال الكفار: إن لمحمد قلبين: قلب معناه، وقلب مع
أصحابه، نزل:

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٨-٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص:
١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٩/٥).
(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٢٠٢).
(٣) «أي: كان ويكون» زيادة من «ت» .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^(١) وقيل: نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان ليبياً حافظاً، وكان يقول: إن لي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ، فانهزم مع المشركين بدر، وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقبل له في ذلك، فقال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان، ما نسي نعله في يده^(١).

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي ﴾ جمع التي. قرأ أبو عمرو، والبخاري عن ابن كثير: (اللأئي) بياء ساكنة بدلاً من الهمزة في الحالين، وروي عنهما تسهيل الهمزة بين بين، والوجهان صحيحان، وقرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: بتسهيل الهمزة كذلك، وقرأ قالون عن نافع، وقبل عن ابن كثير، ويعقوب: بتحقيق الهمزة، وحذف الياء بعدها؛ لأن الهمزة المكسورة بدل الياء، وقرأ الكوفيون، وابن عامر: بإثبات الياء ساكنة بعد الهمزة، وكلها لغات معروفة^(٢)، وكذلك التعليل والاختلاف في (المجادلة)، وموضعي (الطلاق).

﴿ تَظَاهِرُونَ مِّنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ قرأ عاصم: (تُظَاهِرُونَ) بضم التاء وتخفيف الظاء، وألف بعدها، وكسر الهاء مع تخفيفها؛ كـ (تقاتلون)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: كذلك، إلا أنهم بفتح الياء والهاء، أصله:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧-١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٠٩-١١٠).

تظاهرون، حذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر: كذلك، إلا أنه بتشديد
الظاء على إدغام إحدى التاءين في الظاء، وقرأ الباقون، وهم: نافع،
وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو^(١)، ويعقوب: (تَطَهَّرُونَ) بفتح التاء
وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف بينهما، أصله: تتظهرون،
وأدغمت التاء في الظاء، فشددت^(٢).

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي؛ أي:
حرام كبطن أمي؛ لقربه من الفرج، وكني عنه بالظهر؛ لأنه قوام البنية،
المعنى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهم هذا في التحريم كأمهاتكم،
ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة، وسيأتي الكلام على ذلك، وعلى الكفارة
فيه، واختلاف الأئمة في حكمه في (سورة المجادلة) إن شاء الله تعالى.

وكان الرجل في الجاهلية يتبنى ولد غيره، فينسب إليه، ويتوارثان،
وكان النبي ﷺ قد أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل
الوحي، وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ
زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج
محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾^(٣) من تبنيتموه ﴿بِأَنَاءِكُمْ﴾ حقيقة

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)،
و«تفسير البغوي» (٣/٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١١٠-١١١).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحي (ص: ٢٠٢).

في الحكم والحرمة والنسب، ونسخ التبني بهذا، والأدعياء: جمع دَعِيَ، وهو من دُعِيَ إلى غير أبيه، تلخيصه: ممتنع أن يكون لرجل قلبان، وأن تكون زوجة الرجل أمه، وأن يكون شخص واحد ابن رجلين، إنما.

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ النسب ﴿ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ لا حقيقة له .

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ وهو أن غير الابن لا يكون ابناً .

﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ الطريق المستقيم .

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

[٥] وكان زيد يدعى بابن محمد ﷺ، فنزل: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ (١) الذين ولدوهم .

﴿ هُوَ ﴾ أي: دعاؤهم بأبائهم ﴿ أَقْسَطُ ﴾ أعدل ﴿ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ ﴾ فتسبوهم إليهم، ﴿ فَاِخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ أولياؤكم، المعنى: إذا جهل نسبه، يقول: يا أخي! يا مولاي! يريد: الأخوة في الدين، والولاية فيه .

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ﴾ والخطأ هنا بمعنى: النسيان .

(١) رواه البخاري (٤٥٠٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾، ومسلم (٢٤٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما-، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: لا إثم عليكم إذا قتلتم لولد غيركم: يا بني! سهواً، وقيل: خطوهم: التسمية قبل النهي، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لا يوصف ذلك بخطأ إلا بعد النهي، وإنما الخطأ هنا بمعنى النسيان، وما يكون مقابل العمد، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة عقابه، وقد قال ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ»^(١).

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يريد: لما مضى من فعلهم في ذلك، ثم هي صفتان لله تعالى تَطَرَّدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِىَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٦).

[٦] ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ في كل شيء من أمر الدين والدنيا، فيحكم فيهم بما يشاء. قرأ نافع: (النَّبِيِّ أُولَى) بالمد والهمز في (النَّبِيِّ)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة^(٢).

﴿وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: كأمهاتكم في وجوب تعظيمهن، وتحريم

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرک» (٢٨٠١)، وغيرهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٣٦٩).
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٢/٥).

نكاحهن، لا في النظر إليهن، والخلوة بهن؛ فإنه حرام في حقهن؛ كما في حق الأجانب، ولا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن: هم أحوال المؤمنين وخالاتهم، قالت عائشة: «لستُ بأم نسائكم، وإنما أنا أم رجالكم»^(١)، فبان بهذا أن معنى هذه الأئمة تحريم نكاحهن.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ وذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ يعني: ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة، وكان في صدر الإسلام يتوارثون بالهجرة والمؤاخاة، فنسخ بهذه الآية، وصارت بالقرابة، وتقدم حكم ميراث ذوي الأرحام واختلاف الأئمة فيه آخر سورة الأنفال.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن فعلكم ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ﴾ الذين يتولونكم من المعاقدين ﴿مَعْرُوفًا﴾ بالوصية جائزاً. ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ يعني: نسخ الميراث بالهجرة، ورده إلى ذوي الأرحام.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/٢٠٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧٠/٧).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ﴿٧﴾ .

[٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ حين استأثروا من نسل^(١) آدم مثل الذر ﴿ مِيثَاقَهُمْ ﴾ عهودهم بتبليغ الرسالة، وأن يصدق بعضهم بعضاً، وخصَّ محمد مع جماعة منهم بالذكر^(٢)؛ لأنهم أصل الشرائع صلوات الله عليهم أجمعين، وكان محمد ﷺ أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، فلذلك قدم هنا تشریفاً له، فقال:

﴿ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل .

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ عظيم الشأن على الوفاء بما حملوا .

﴿ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿٨﴾ .

[٨] ﴿ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله الأنبياء الذين صدقوا عن الوفاء بميثاقهم في إبلاغ الرسالة، والحكمة في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، تبييت من أرسلوا إليهم، وإثبات الحججة عليهم، ويعطف على ﴿ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ بالرسل ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ المعنى: أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه؛ لأجل إثابة المؤمنين، وأعد للكافرين عذاباً أليماً .

(١) في «ت»: «ظهر» .

(٢) «بالذكر» زيادة من «ت» .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وذلك حين حوصر

المسلمون مع رسول الله ﷺ يوم الخندق .

﴿ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ هم الأحزاب، وكان ذلك في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، وسببها أن نفراً من اليهود حَزَبُوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ، وقدموا على قريش بمكة يدعونهم إلى حربه؛ لأن رسول الله ﷺ أجلى بني النضير من ديارهم، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك^(١)، أمر بحفر الخندق حول المدينة برأي سلمان الفارسي يحول بين المؤمنين^(٢) والكفار، وعمل فيه بنفسه، وفرغ من الخندق، وأقبلت قريش ومن تبعهم من بني قريظة، مقدّمهم أبو سفيان، وكانوا عشرة آلاف نزلوا قريباً من الغابة، والنبي ﷺ في ثلاثة آلاف، واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالحصا والنبال .

﴿ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ ليلاً، وهي الصبا، فأطفأت النيران، وأكفأت القدور، قال ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادَ بِالذَّبُورِ»^(٣) .

(١) في «ت»: «فلما بلغ النبي ﷺ ذلك» .

(٢) في «ت»: «المسلمين» .

(٣) رواه البخاري (٩٨٨)، كتاب: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا»، ومسلم (٩٠٠)، كتاب: صلاة العيدين، باب: في ریح الصبا والذبور، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم ألف ملك، فكبرت في جوانب العسكر، وقلعت الأوتاد وأطناب الفساطيط، ولم تقاتل يومئذ، وماجت الخيل بعض في بعض، وقذف الرعب في قلوبهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: النجاء النجاء من سحر محمد، فارتحلوا ليلاً منهزمين بغير قتال، وانقلبوا خاسرين، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»^(١)، فكان ذلك حتى فتح مكة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب؛ أي: بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة، وقرأ الباقر: بالخطاب^(٢)؛ أي: بما تعملون من حفر الخندق.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءُوكُم﴾ بدل من (إِذْ جَاءَتْكُمْ) ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق: بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من بطن الوادي من قبل المغرب: قريش.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت حيرة وشخوصاً من الرعب.
﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم.

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، عن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - .
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٠٩/٥).

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ أي: اختلف الظنون، فظن المؤمنون النصر لهم، وظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (الظُّنُونَا هُنَالِكَ)، و(الرَّسُولَا وَقَالُوا)، و(السَّبِيلَا رَبَّنَا) بألف في الثلاثة وصلاً ووقفاً؛ لأنها مثبتة في المصاحف، و**قرأ** أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب: بغير ألف في الحالين على الأصل، و**قرأ** ابن كثير، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بألف في الوقف دون الوصل، واتفقت المصاحف على رسم الألف في الثلاثة دون سائر الفواصل^(١).

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

[١١] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ثمَّ ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا بالحصر والقتال؛ ليتبين المخلص من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ حُرِّكُوا حركة شديدة من شدة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ معتب بن قشير وأصحابه.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٨-٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/١١٣-١١٤).

﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ شك وضعف اعتقاد: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وعداً باطلاً، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ .

[١٣] ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من المنافقين، وهم أوس بن قيطي وأصحابه: ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ اسم أرض، والمدينة في ناحية منها.

﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (مُقَام) بضم الميم؛ أي: لا إقامة لكم. وقرأ الباقر: بالفتح^(١)؛ أي: لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه.

﴿ فَارْجِعُوا ﴾ أمرهم بالهروب من عسكر رسول الله ﷺ.

﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ هم بنو سلمة وبنو حارثة.

﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي: خالية ضائعة غير حصينة، وهي مما تلي العدو، ويخشى عليها السراق، فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ بل هي حصينة.

﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ من القتال.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١١٤).

﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَبَثُّوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [١٤].

[١٤] ﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: المدينة ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ نواحيها،

المعنى: لو دخل الأحزاب المدينة من جوانبها.

﴿ ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ ﴾ الردة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين.

﴿ لَأَتَوْهَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (لَأَتَوْهَا) بقصر الهمزة؛

أي: لجأؤها وقبلوها، وقرأ الباقون: بالمد^(١)؛ أي: لأعطوها السائلين.

﴿ وَمَا تَبَثُّوا بِهَا ﴾ أي: ما احتبسوا عن الفتنة ﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ ولأسرعوا

الإجابة إلى الشرك طيبةً به أنفسهم، وقيل: وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا قليلاً حتى هلكوا.

وحدَّ حرم المدينة: ما بين ثور إلى عَيْر، وهما جبلان، فثور جبل صغير إلى الحمرة بتدوير خلف أحد من جهة الشمال، وغير مشهور بها، وقدر الحرم: بريد بريد، وقد ورد في الحديث: «اللهم إني أُحَرِّمُ ما بين لابتيها»^(٢)، وفي رواية: «ما بين جبليها»^(٣)، وفي رواية: «ما بين

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٦/٥).

(٢) رواه البخاري (٥١٠٩)، كتاب: الأئمة، باب: الحيس، ومسلم (١٣٦٥) (٢/٩٩٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

(٣) رواه مسلم (١٣٧٤)، كتاب: الحج، باب: الترغيب في سكنى المدينة، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

مَأْزِمِيهَا»^(١)، ولابتا المدينة: هما الحرَّتَانِ الشرقية والغربية، والحررة هي: الأرض ذات الحجارة السود، ورواية «ما بين لابتيتها» أرجح؛ لتوارد الرواية عليها، ورواية «جبلتها» لا تنافيتها، فيكون عند كل لابة جبل، فما بين لابتيتها بيان لحد حرمتها من جهتي المشرق والمغرب، وما بين جبلتها بيان لحدده من جهتي الجنوب والشمال، وأما رواية «مَأْزِمِيهَا»، فالمأزم: المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه، وهذا يدل على أن صيدها وشجرها محرم، وهو قول الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة، ولا جزاء فيه بالاتفاق، والله أعلم، وتقدم ذكر حدود الأرض المقدسة في المائة، وحرمة مكة في التوبة.

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ [١٥].

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ هم بنو حارثة، هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل، عاهدوا الله من قبل حفر الخندق.

﴿ لَا يُولُونَ الْآذِينَ ﴾ منهزمين، فوقع يوم الخندق من بني حارثة هذا الاستئذان.

﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ عنه، وهذا توعد.

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، ومسلم (١٣٦٥) (١٣٦٥/٢) (٩٩٣/٢)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٦﴾ .

[١٦] ﴿ قُلْ ﴾ لهم : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ لأن من حضر أجله ، مات أو قتل ﴿ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ ﴾ بعد هذا الفرار .
﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : إلا مدة آجالكم ، وهي قليل .

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : يمنعكم منه .
﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ﴾ هزيمة ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ نصره .
﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا ﴾ قريباً ينفعهم .
﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ناصرأ يمنعهم .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي : المشبطين الناسَ عن رسول الله ﷺ .

﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي : أقبلوا إلينا ، ودعوا محمداً وأصحابه ، نزلت في أخوين كان أحدهما مؤمناً ، والآخر منافقاً ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ ﴾ لا يحضرون الحرب ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياء من غير احتساب .

﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ ﴾ بخلاء بالنفقة في سبيل الله ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ في تلك الحالة .

﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ في الرؤوس ؛ من الخوف والجبن .

﴿ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ لأن من قرب من الموت ، وغشيه أسبابه ، يذهب عقله ، ويشخص بصره فلا يَظَرِفُ .

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ ﴾ آذوكم ﴿ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ سليطة .

﴿ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ أي : عند الغنيمة يشاحون المؤمنين ، ويقولون : أعطونا ؛ فإنا شهدنا معكم القتال ، فلستم أحقَّ بالغنيمة منا ، وعند البأس هم أجبن قوم .

﴿ أَوْلَيْتِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ صدقاً ﴿ فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ أبطل جهادهم ؛ لنفاقهم .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ أي : الإحباط ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ هيناً .

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ يَحْسَبُونَ ﴾ أي : المنافقون ﴿ الْأَحْزَابِ ﴾ الطوائف المختلفة .

﴿لَمْ يَدْهَبُوا﴾ عن قتالهم جنباً ورفقاً.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾

يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب؛ من الخوف والجبين.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَسَاءَلُونَ) بتشديد السين وفتحها

وألف بعدها؛ أي: يتساءلون، وقرأ الباقون: بإسكانها من غير ألف^(١)

﴿عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ يتعرفون أحوالكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني: هؤلاء المنافقين ﴿فِيكُمْ﴾ في الخندق.

﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء؛ رمياً بالحجارة والنبال يقيمون به عذرهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المخلفون ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة

صالحة؛ لأنه يقتدى به. قرأ عاصم: (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة، والباقون:
بكسرها، وهما لغتان^(٢).

﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ أي: ثوابه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ونعيم الآخرة.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في جميع أوقاته وأحواله.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٥٤٨/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٨/٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)،

و«تفسير البغوي» (٥٤٨/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١٨/٥).

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [٢٢].

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ واجتماعهم عليهم، ثم رأوا زلزلتهم وخوفهم ورحيلهم منهزمين. واختلاف القراء في (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) كاختلافهم في (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) في سورة (الكهف) [الآية: ٥٣] ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من النصر، وهو قوله تعالى في البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ الْآلَ إِن نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [الآية: ٢٤١]، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا ما أصاب الأحزاب من الشدة، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله.

﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ﴾ الخوف عند مجيء الأحزاب.

﴿إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمر الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع

رسول الله ﷺ.

﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ نذره^(١)؛ بأن قاتل حتى استشهد؛ كحمزة،

ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، والنعب: النذر، واستعير للموت،

(١) «نذره» زيادة من «ت».

وهو من النفس، قيل: ومنه النحيب؛ لما فيه من التنفس.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ﴾ الشهادة؛ كعثمان وطلحة، قال رسول الله: ﷺ «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبهُ، فليُنظر إلى هذا» يشير إلى طلحة^(١)؛ لأنه وقى النبي ﷺ بيده، فصارت شلاء.

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ عهدهم^(٢) ﴿بَدِيلًا﴾ شيئاً من التبديل.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٢٤] ثم ذكر تعالى جزاء الفريقين فقال: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بجزاء وفائهم بالعهد، واللام في (لِيَجْزِيَ) لام الصيرورة والعاقبة، ويحتمل أن تكون لام كي.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ﴾ بأن يدعهم على النفاق ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيهديهم إلى الإيمان. واختلاف القراء في الهمزتين من (إِنْ شَاءَ أَوْ) كاختلافهم فيهما من قوله ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٨٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦٩/٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٨/١)، وغيرهم عن عائشة - رضي الله عنها - .
(٢) «عهدهم» زيادة من «ت».

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [٢٥].

[٢٥] ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من قريش وغطفان ﴿ بِغَيْظِهِمْ ﴾ لم تُشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ ظفراً ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ بالملائكة والريح .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا ﴾ يقهر أعداءه ﴿ عَزِيزًا ﴾ ينصر أوليائه .

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [٢٦].

[٢٦] ثم بعد ذهاب الأحزاب إلى بلادهم ، رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بأصحابه ، فجاءه جبريل - عليه السلام - ، وقال : «وضعتم السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها منذ أربعين ليلة ، إن الله يأمرك بالمشير إلى قريظة ، وإني منزلٌ حصونهم» ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ، فأذن : «أن من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلينَّ العصرَ إلا في بني قريظة» ، وأعطى رايته علياً ، فسار بالناس حتى دنا من الحصن ، فحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار ، فقالوا لأبي لبابة : أنزل على حكم محمد؟ فقال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح ، وتقدم خبر أبي لبابة في سورة الأنفال ، فطلب بنو قريظة من النبي ﷺ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله ﷺ في طلبه ، فجاء راكب حمار ، وكان رجلاً جسيماً ، فقال ﷺ : «قوموا إلى سيدكم» ، فأنزلوه ، فنزل ، فقالوا : يا أبا عمرو! إن

رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال لمواليه: «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت؟» قالوا: نعم، قال: «وعلى من هاهنا؟» في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: «أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء»، فكبر النبي ﷺ، وقال: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»، فاستنزلوا، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحبسهم في دار بنت الحارث: امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر به خندقاً، وضربت أعناقهم فيه، وكانوا ست مئة، أو سبع مئة، وقيل: كانوا بين الثمان مئة إلى التسع مئة، ثم قسم الأموال والسبايا، واصطفى لنفسه ﷺ ريحانة بنت شمعون، فكانت في ملكه حتى مات، ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة، دلت عليه امرأة من بني قريظة رَحَى شدخت رأسه، فقال ﷺ: «له أجر شهيدين»، وقتلها به^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، ولا شيء بعده»^(٢)، وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة الشريفة، فأُنزل الله تعالى في قصة بني قريظة:

(١) هذا السياق كله في «سيرة ابن هشام» (١٩٩/٤) وما بعدها. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١٠٣/٣).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٨)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، ومسلم (٢٧٢٤)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أي: أعانوهم؛ يعني:
الأحزاب ﴿ مِنْ صِيَاصِيهِمْ ﴾ حصونهم، وكل ما يُمتنع به أو فيه صيصية. قرأ
يعقوب: (صِيَاصِيهِمْ) بضم الهاء، وابن كثير، وأبو جعفر: يضمن الميم،
ويصلانها بواو في اللفظ حالة الوصل، واختلف عن قالون^(١).

﴿ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني: بني قريظة ﴿ الرُّعْبَ ﴾ قرأ ابن عامر،
والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (الرُّعْبَ) بضم العين، والباقون:
بإسكانها^(٢).

﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ منهم، وهم الرجال.

﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ منهم، وهم النساء والذراري.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾^(٢٧).

[٢٧] ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا ﴾ هي كل أرض
تفتح إلى يوم القيامة. قرأ أبو جعفر: (تَطَّوْهَا) بإسكان الواو بغير همز،
والباقون: بالهمز^(٣).

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري

(٢/٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٢٠).

(٣) نظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٩٧)، و«معجم القراءات

القرآنية» (٥/١٢١).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨).

[٢٨] كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فأذينه، وسألته زيادة نفقة، وتغايرن، فغمّه ذلك، فصعد إلى غرفة له، فمكث فيها ولم يخرج إلى أصحابه، فنزل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ (١) أمر وجوب في تخييرهن، وهو من خصائصه ﷺ ﴿إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾ أي: أجبني إلى ما أعرضُ عليك، ولم يرد حقيقة الإقبال والمجيء ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطيكُنَّ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أصل التسريح: الإرسال؛ كالطلاق.

وتقدم اختلاف الأئمة فيه في سورة البقرة، وملخصه: أن صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية عند مالك والشافعي ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسراح، وعند أبي حنيفة وأحمد: هو لفظ الطلاق ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً للسنة.

واتفق الأئمة على أن السنة في الطلاق أن يطلقها واحدة في طهر لم يصبها فيه، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها، وإن طلق المدخول بها في حيضها أو طهر أصابها فيها، وهي ممن تحبل، فهو طلاق بدعة محرّم، ويقع بالاتفاق، وجمع الثلاث بدعة عند أبي حنيفة ومالك، وقال أحمد: هو محرّم؛ خلافاً للشافعي، ويقع بلا خلاف بينهم.

(١) رواه مسلم (١٤٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالبينة، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالِدَارَ الْأَخْرَى فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالِدَارَ الْأَخْرَى فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (من) للتبيين^(١)؛ لأنهن كلهن كنَّ محسنات، فأخبر
بذلك عائشة - رضي الله عنها -، فاختارت رسول الله، ثم اختارت الباقيات
الصالحات اختيارها.

واختلف الأئمة فيما إذا قال الزوج لامرأته: اختاري نفسك، فاختارت،
فقال أبو حنيفة: تطلق واحدة بائنة، وقال مالك: إذا أطلق التخيير، ولم
يقيده بعدد مخصوص، فإنها تطلق ثلاثاً، وقال الشافعي وأحمد: تطلق
واحدة يملك فيها الرجعة، وإذا قامت من مجلسها قبل أن تختار نفسها،
انقطع التخيير باتفاقهم.

واختلفوا فيما إذا قال: أمرك بيدك، فقال أبو حنيفة: إذا قال: أمرك
بيدك في تطلق، فاختارت نفسها، يقع طلاق رجعية، وإن نوى الثلاث،
صح، فلو قالت: اخترت واحدة، فهي ثلاث، وهو كالتخيير يتوقف على
المجلس، قال مالك: إن طلقت نفسها ثلاثاً، فناكرها، وذكر أنه قصد
بالتملك طلاق واحدة، فقله مع يمينه، وإن لم يكن له نية، فلها أن توقع
ما شاءت من عدد الطلاق، ولا منكرة له عليها، فإن مكنته من نفسها،
فوطئها أو باشرها، سقط تملكها، ولها أن تمنع نفسها لتنظر في أمرها،
فإذا أبطأت على زوجها، ومنعته نفسها، ولم توقع طلاقاً، كان له

(١) «للتبيين» زيادة من «ت».

مخاصمتها إلى الحاكم، فيوقفها الحاكم ويأمرها أن توقع الطلاق، أو تسقط التمليك، فإن أبت الأمرين، أسقط الحاكم تمليكها، وقال الشافعي: له تفويض طلاقها إليها، وهو تمليك في الجديد، فيشترط لوقوعه تطليقها على الفور، وفي قول عنه: توكيل، فلا يشترط الفور، وعلى القولين له الرجوع قبل تطليقها، ولو قال: طلقي، ونوى ثلاثاً، فقالت: طلقت، ونوتهن، فثلاث، وإلا، فواحدة، ولو قال: ثلاثاً، فوحدت، أو عكسه، فواحدة، وقال أحمد: إذا قال: أمرك بيدك، فلها أن تطلق ثلاثاً، وإن نوى واحدة، وهو في يدها أبداً ما لم يقل: فسخت، أو يطأها، فيبطل بذلك، والله أعلم.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠).

[٣٠] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ معصية ظاهرة؛ من نشوز، وسوء خلق. قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرهما^(١).

﴿يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر: (نُضَعَّفَ) بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف قبلها، ونصب (العذاب)، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُضَعَّفَ) بالياء وتشديد العين وفتحها

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢١/٥).

من غير ألف قبلها، ورفع (العذابُ)، وقرأً الباكون: كذلك، إلا أنهم بتخفيف العين وألف قبلها، وهما لغتان مثل: بَعَدَ وَبَاعَدَ^(١).

﴿ضَعْفَيْنِ﴾ مثلين ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: عذابها ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً، وتضعيف عقوبتهن على المعصية؛ لشرفهن؛ كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة، وتضعيف ثوابهن؛ لترفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾^(٣١).

[٣١] ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ يعقوب: (مَنْ تَأْتِ مِنْكُنَّ) (وَمَنْ تَقْنُتُ) بالتاء على التأنيث فيهما، وقرأً الباكون: بالياء على التذكير^(٢)؛ لأن (مَنْ) أداة تقوم مقام الاسم، يعبر به عن الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث.

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا﴾ نعطيها ﴿أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مثلي أجر غيرها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيَعْمَلُ) (يُؤْتِيهَا) بالياء فيهما نسقاً على

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٢١-١٢٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٦٠)، و«المحتسب» لابن جني (٢/٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٢١-١٢٢)، والقراءة المشهورة عن يعقوب كقراءة الجمهور.

قوله: (مَنْ يَأْتِ) و(يَقْنُتُ)، وقرأ الباقون: بالياء على التأنيث في الأول، وبالنون في الثاني^(١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا﴾ واسعاً في الجنة.

﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣٢).

[٣٢] ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: ليس قدركن عندي
مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليّ، وثوابكن أعظم
لديّ، ولم يقل: كواحدة؛ لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين،
والجمع، والمذكر والمؤنث ﴿إِنْ أَتَيْتَنَّ﴾ أي: إن أردتن أن تكن متقيات.
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ تَلَنَ ﴿بِالْقَوْلِ﴾ للرجال، ولا تُرققن الكلام. واختلاف
القراء في الهمزتين من (النِّسَاءِ إِنْ) كاختلافهم فيهما من (البِغَاءِ إِنْ) في
سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ريبة، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة
إذا خاطبت الأجانب؛ لقطع الأطماع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: بعيداً من طمع المريب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)،
و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٣).

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [٣٣].

[٣٣] ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: (وَقَرْنَ) بفتح
القاف من القرار؛ أي: الزمنَ بيوتكن، وقرأ الباقر: بالكسر؛ من الوقار؛
أي: كُنَّ أَهْلَ وَقَارٍ وَسُكُونٍ، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب،
وورش، وحفص بِيُوتِكُنَّ: بضم الباء، والباقر: بكسرهما^(١).

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ تَبَرَّجْنَ محاسنكن للرجال ﴿ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾
الذين كانوا بين آدم ونوح، والأخرى: بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل غير
ذلك. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلَا تَبَرَّجْنَ) بتشديد التاء^(٢).

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ ﴾ في أمره ونهيه.
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ الإثم ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ نصب
نداء، والمراد: زوجات النبي ﷺ، وقال: (عَنكُم)، ولم يقل: عنكن؛
لأنه ﷺ كان بينهن، فغلب.

﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من الرجس.
وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «في بيتي أنزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٦٠)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٢٤/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٥٥)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٢٤/٥).

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿٣٤﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجعل فاطمة وحسناً وحسيناً بكسائه، وعلي خلف ظهره، ثم قال ﷺ: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله! أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»^(١).

﴿وَأذْكُرَكُ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

[٣٤] ﴿وَأذْكُرَكُ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن .

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة . تقدم اختلاف القراء في كسر الباء وضمها من (بيوتكن) .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه .

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ .

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩٢/٦)، والحاكم في «المستدرک» (٤٧٠٥)،
والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٠/٢)، وغيرهم .

[٣٥] روي أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله! ذكر الله الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف ألا يقبل منا طاعة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(١) المنقادين لحكم الله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وهم من آمن حقيقة.

﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ﴾ العابدين المطيعين لله في الفرض، وللرسول في السنة ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ فيما عوهدوا عليه أن يفوا به ويكملوه ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ عن الشهوات، وعلى الطاعات والرزايا ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ الخائفين لله، المستكينين لربوبيته الوقورين ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ بالفرض والنفل، وهما الزكاة وصدقة التطوع ﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ﴾ كذلك في الفرض والنفل.

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ من الزنا وشبهه.
﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم، قال ﷺ: «من استيقظ من الليل، وأيقظ امرأته، فصليا جميعاً ركعتين، كتبنا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»^(٢).

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لجميع المؤمنين ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم.

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (١٠/٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (١٤٥١)، كتاب: الصلاة، باب: الحث على قيام الليل، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٣٥)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٨)، والحاكم في «المستدرک» (١١٨٩)، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما -.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ونزل في امتناع زينب وأخيها من تزويج زيد بن حارثة بعد أن خطبها رسول الله ﷺ له ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ ﴾ ^(١) لعبد الله بن جحش .
﴿ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ زينب .

﴿ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾ هو خطبتها لزيد ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ أي : الاختيار ﴿ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ المعنى : لا يجوز لأحد أن يريد إلا ما أراد الله ورسوله . قرأ الكوفيون ، وهشام عن ابن عامر : (أَنْ يَكُونَ) بالياء على التذكير؛ للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الباقون : بالتاء؛ لتأنيث الخيرة ^(٢) .

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ أخطأ خطأ ظاهراً .

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] فرضيت زينب وأخوها، وتزوجت بزيد، وبقيت معه مدة، ثم

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/٢٢) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٢٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٧٩) ، و«تفسير البغوي» (٣/٥٦٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٢٥) .

ألقي في نفس زيد كراحتها، فجاء النبي ﷺ فقال: أريد طلاق صاحبتني، فقال: «أراك منها شيء؟»، قال: لا والله ولكنها تترفع علي، فقال له: «أمسك عليك زوجك»، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿١﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بِالْعَتَقِ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ لا تفارقها، نهى تنزيهه. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَإِذْ تَقُولُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار (٢).

﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ﴾ ما علمته، وهو ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مظهره، وهو أنه تعالى كان قد أعلمه ﷺ أن زينب ستصير زوجة له. ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾ أي: اليهود أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه.

﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فلا تفعل مثل ذلك، وهذا عتاب شديد، قال عمر، وابن مسعود، وعائشة: «ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية» (٣)، وعن عائشة: «لو كنتم نبي الله شيئاً مما أنزل عليه، لكنتم هذه الآية» (٤)، فطلقها زيد، فلما انقضت عدتها، قال لزيد: «اذهب»

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١١١/٣): غريب بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «صحيحه» (١٤٢٨) في النكاح مختصراً من حديث أنس.
(٢) انظر: «الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٦/٥).

(٣) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١١٩/١٩).

(٤) رواه مسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قوله الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾. ورواه البخاري (٦٩٨٤)، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، لكن عن أنس بن مالك رضي الله عنه -.

فاذكرها عليّ» فقال زيد: «يا زينب! إن نبي الله أرسلني إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر به ربي»، وقامت إلى مسجدها.

فنزول: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾^(١) أرباباً، ولم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه سوى زيد في هذا المحل - رضي الله عنه - ﴿زَوَّجْنَاكُمَا﴾ فدخل ﷺ عليها بغير إذن، ولا عقد نكاح، ولا صداق، ولا شهود، وأطعم الناس خبزاً ولحمًا، المعنى: فعلنا ذلك.

﴿لِيَكُنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ إثم ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وهم الذين تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوْا﴾ أي: الأديعاء ﴿مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ تلخيصه: فعل ذلك ليعلم أن نكاح زوجة المتبني حلال؛ بخلاف زوجة الابن.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مكوناً لا محالة، قال أنس: «كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات»^(٢).

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(٣٨).

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: أحله له ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ نصب مصدر ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام،

(١) رواه مسلم (١٤٢٨)، كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش - رضي الله عنها -، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

المعنى: لا تؤاخذ بكثرة النساء كالأنبياء قبلك؛ فإنهم كانوا أكثر نساء؛
كداود وسليمان عليهما السلام.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاءً مقضياً.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ هم الأنبياء، أثنى الله عليهم؛ يعني:
سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا
اللَّهَ﴾ أي: يفعلون ما يؤمرون، ولا يخافون لائمة أحد.
﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠).

[٤٠] ولما قيل: إن محمداً تزوج امرأة ابنه، نزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلداهم، فلا يحرم عليه زوجة من تبناه بعد فراقها
وانقضاء عدتها، و(محمد) معناه: المستغرق لجميع المحامد، وهو الذي
كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، وتقدم تفسير (محمد) في سورة آل
عمران باتم من هذا، وكذلك تفسير (أحمد)، وذكر نسبه الشريف، ولا
يجري فيه القول الضعيف أنه لا يجوز أن يقال له: أبو المؤمنين [ولا عبرة
من منع ذلك في الحسنين من الأمويين؛ للخبر الصحيح الآتي في الحسن:

«إن ابني هذا سيد»^(١)، ومعاوية، وإن نقل عنه ذلك، ولكن نقل عنه ما أنه رجع عن ذلك، وغير معاوية من بقية الأمويين المانع بذلك لا يعتد به، وعلى الأصح، فقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ إنما سيق لانقطاع حكم النبي ﷺ لا يمنع من الإطلاق المراد به: أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام من هو أحق^(٢).

﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ نصب اللام والميم عطفاً على خبر (كَانَ). **قرأ** عاصم: (وَخَاتَمَ) بفتح التاء على الاسم؛ أي: آخرهم، وقرأ الباقون: بكسرها على الفاعل^(٣)؛ لأنه ختم النبيين، فهو خاتمهم؛ أي: لا يُنبأُ نبي بعده أبداً، وإن نزل عيسى بعده، فهو ممن نبىء قبله، ولأنه ينزل بشريعته، ويصلي إلى قبلته، فكانه من أمته.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ عموم، والمقصد به هنا: علمه تعالى بما رآه الأصلح لمحمد ﷺ، وبما قدره في الأمر كله.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٤).

[٤١] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بما هو أهله من التهليل والتكبير

(١) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: ﴿وَكَانَ عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٨/٥).

والتحميد والتقديس ﴿ذَكَرًا كَثِيرًا﴾ قياماً، وعوداً، وعلى جنوبكم، وعلى كل حال .

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ .

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ أي: صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾ وهي صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ هي صلاة العصر، وقيل: المراد: التسييح باللسان، فيقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسميت هذه الكلمات ذكراً كثيراً؛ لأنه يقولها الطاهر والجنب والمحدث .

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ .

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ صلوات الله: رحمته ومغفرته، وصلاة الملائكة: الدعاء والاستغفار للمؤمنين، المعنى: يفعل الله بكم ذلك .

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان، تلخيصه: برحمته وبسبب دعاء الملائكة فزتم .

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ حتى اعتنى بصلاح أمرهم .

﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ﴾ تعالى ﴿سَلَامٌ﴾ أي: يسلم الله عليهم، ويسلمهم من الآفات .

﴿وَأَعَدَّهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ قرأ نافع : (النَّبِيِّ) بالمد والهمز (إِنَّا) :
بتسهيل الهمزة، واختلف في كيفية تسهيلها، فذهب جمهور القراء
المتقدمين إلى أنها تبدل واواً خالصة مكسورة، وذهب بعضهم إلى أنها
تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء،
وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباقون: بتشديد الياء، وتحقيق الهمزة من
(إِنَّا)^(١) ﴿شَهِدًا﴾ على أمتك، والرسول بالبلاغ، ونصبه على الحال،
وكذلك جميع المنصوبات بعد ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لأهل طاعته بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾
لأهل معصيته بالنار.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى توحيده ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتسهيله وأمره، وتقديره
ذلك في وقته وأوانه ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: [يهتدى بك في الدين كما
يهتدى]^(٢) بالسراج المنير في الظلام، فجعله شاهداً على أمته لنفسه
بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه عليه السلام.

(١) انظرها في تفسير الآية (١) من هذه السورة .

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [٤٧].

[٤٧] ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ تفضلاً جزيلاً، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، دعا رسول الله علياً ومعاذاً، فبعثهما إلى اليمن، وقال: «اذهبا، فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فإنه قد نزل عليّ، وقرأ الآية»^(١).

﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [٤٨].

[٤٨] ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ في فسخ عهد، لا فيما لا يحل .
﴿ وَدَعِ أَذْنَهُمْ ﴾ اصبر عليه، ولا تجازهم، ونسخ بآية السيف .
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فهو كافيك ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مفوضاً إليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسِرْحُونَهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أي: عقدتم عليهن .
﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ أي: تطؤوهن . قرأ حمزة،

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧١٢/٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٤١).

والكسائي، وخلف: (تَمَاشُوهُنَّ) بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون:
بفتح التاء من غير ألف^(١).

﴿فَمَالِكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ تحسبونها بالأفراء والأشهر.

﴿فَمَعَّوَهُنَّ﴾ إذا لم يكن لهن صداق، وإن كان لهن صداق، فنصفه بلا
متعة، وتقدم الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه، وفي حكم العدة
بالخلوة في سورة البقرة.

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ خَلُّوا سَبِيلَهُنَّ ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ بلا إضرار بهن، وقوله:
﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح
غير واقع؛ لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، فلو قال: متى تزوجتُ
فلانة، أو كل امرأة أتزوجها، فهي طالق، لم يقع عليه طلاق إذا تزوج عند
الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: يقع طلاقاً، وقال مالك: إن عين امرأة
بعينها، أو من قبيلة، أو بلد، فتزوجها، وقع الطلاق، وإن عمَّ فقال: كل
امرأة أتزوجها من الناس كلهم، فهي طالق، لم يلزمه شيء، والله أعلم.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ
وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)،
و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية»
(١٢٩/٥).

أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّتِيءِ آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ﴾ أي :
مهورهن ، وتقدم قريباً مذهب نافع في الهمزتين من (النبي ءِ إِنَّا) ﴿وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ﴾ من الإماء .

﴿مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ أي : غَنَمَكَ من الكفار ؛ كصفية وجويرية ، وقد
كانت مارية مما ملكت يمينه ، فولدت له إبراهيم ﴿وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتِ
عَمَّتِكَ﴾ نساء قريش .

﴿وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ نساء بني زهرة ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى
المدينة ، فمن لم تهاجر معه منهن ، لم يجز له نكاحها .

عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : «خطبني رسول الله ﷺ لما فتح
مكة ، فأنزل الله هذه الآية ، فلم أحل له ؛ لأنني لم أكن من المهاجرات ،
وكنت من الطلقاء»^(١) ، ثم نسخ شرط الهجرة بقوله : ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ [فلا
يحل له غير المؤمنة ، المعنى : أبحننا لك جميع المذكورات ، وأبحننا لك
امرأة مؤمنة]^(٢) ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ بطلب
نكاحها من غير صداق .

(١) رواه الترمذي (٣٢١٤) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الأحزاب ، وقال :
حسن صحيح ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٧) ، والحاكم في
«المستدرک» (٣٥٧٤) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٤/٧) .

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المعنى: إذا وهبتك مؤمنة نفسها، حلت لك خاصة بلفظ الهبة بلا صداق، كالزيادة على الأربع، وكان من خصائصه ﷺ أن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة، يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها^(١)، والواهبه نفسها هي أم شريك بنت جابر من بني أسد، وقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: خولة بنت حكيم من بني سليم، وقيل: زينب بنت خزيمة الأنصارية^(٢). **قرأ** نافع (لِلنَّبِيِّ إِنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيِّ)، وتسهيل الهمز الثاني بين بين، **وقرأ**: (أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيِّ)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة، وخالفه قالون في الحرف الأول، وهو (لِلنَّبِيِّ إِنْ)، فقرأ بتشديد الياء، وتحقيق الهمز بعدها؛ كبقية القراءة^(٣).

واختلف الأئمة في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة، فقال أبو حنيفة: ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والتمليك والبيع والشراء، وعنه في لفظ الإجارة خلاف، وقال مالك: ينعقد بلفظ يدل على التأيد مدة الحياة؛

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٨/٩).

(٢) انظر: «التلخيص الحبير» (١٣٨/٣)، و«فتح الباري» (٥٢٥-٥٢٦/٨) قال ابن حجر في «الفتح» بعد أن ذكر من خرَّج الآثار في اللواتي وهبن أنفسهن له صلى الله عليه وسلم، وبعد أن ذكر الحكم الحديثي لكل، قال: عن عكرمة عن ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له» أخرجه الطبري وإسناده حسن. والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له؛ لأنه راجع إلى إرادته؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾.

(٣) سلفت هذه القراءة في تفسير الآية (١) من هذه السورة.

كأنكحت، وزوجت، وملكت، وبعث، وكذا وهبت بتسمية صداق، وقال الشافعي وأحمد: لا ينعقد إلا بلفظ النكاح والتزويج.

واختلفوا في اشتراط الشهادة لصحة النكاح، فقال مالك: يصح بلا إشهاد بشرط الإعلان، وترك التواصي بالكتمان، وقال الثلاثة: تشتط، فعند أبي حنيفة: ينعقد بحضور رجلين، ورجل وامرأتين، ولا تشتط العدالة، وعند الشافعي وأحمد: تشتط الذكورة، والشافعي يشترط العدالة، والصحيح عنه: أنه ينعقد بمستوري العدالة، فلو بان فسق الشاهد عند العقد، فباطل، وأحمد يشترط العدالة في شاهديه ظاهراً فقط، فلو بانا بعده فاسقين، فالعقد صحيح.

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أوجبنا على المؤمنين .
﴿ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ من الأحكام ألا يتزوجوا أكثر من أربع .
﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من الإماء مباح لهم فوق أربع زوجات .
﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق، وهذا يرجع إلى أول الآية؛ أي: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لثلا يضيق عليك .
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما يعسر التحرز عنه .
﴿ رَحِيمًا ﴾ بالتوسعة في مظان الحرج .

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُفْرًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ .

[٥١] ﴿ تَرْجِي ﴾ تَوَخَّر ﴿ مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ عنك بطلاق أو غيره
﴿ وَتُؤْوَى ﴾ تضم .

﴿ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ منهن . قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي،
وخلف، وحفص عن عاصم: (تَرْجِي) بإسكان الياء بغير همز، وقرأ
أبو جعفر: (وَتُؤْوَى) بواوین بغير همز، والباقون: بالهمز فيهما^(١)،
واختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهن،
وذلك أن التسوية بينهن في القسم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية،
سقط عنه، وصار الاختيار إليه فيهن .

﴿ وَمَن أَبْغَيْتَ ﴾ أي : طلبت أن تؤوي إليك امرأة .

﴿ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ فصلته بالإرجاء .

﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أي : لا إثم ﴿ عَلَيْكَ ﴾ في فعلك بنسائك، فأباح الله له ترك
القسم لهن، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها، ويطأ من يشاء منهن
في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها؛ تفضيلاً له على سائر الرجال،
فرضين بذلك، واخترنه على هذا الشرط .

﴿ ذَلِكَ ﴾ التخيير ﴿ آدِنِّي ﴾ أقرب إلى رضاهن .

﴿ أَن تَفَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ بتخييرهن .

﴿ وَلَا يَحْزَنَ ﴾ بترك القسم لهن ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَّتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ من

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤٠٦/١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٣١/٥)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وشعبة
ويعقوب: (ترجي).

تقريب وتباعد، وعزل وإيواء؛ لعلمهن أن ذلك بوحى من الله .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ من الميل إلى بعض النساء .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ لا يعاجل بالعقوبة .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا عَظِيمًا ﴾ .

[٥٢] ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (تَحَلُّ) بالتاء على

التأنيث على معنى جماعة النساء، وقرأ الباقر: بالياء على التذكير على معنى جمع النساء^(١)، وهما جنسان؛ لأن تأنيث لفظ النساء ليس بحقيقي

﴿ مِنْ بَعْدُ ﴾ أي: من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن واخترنك، ورضين بمرادك ﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ ﴾ غيرهن ﴿ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ قرأ البزري: (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ)

بتشديد التاء على أصله^(٢)، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن، فاخترن الله

ورسوله، شكر الله لهن، وحرّم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن،

وعن الاستبدال بهن، وهن: خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر،

وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان، وأم سلمة،

واسمها هند بنت أبي أمية، وسودة بنت أبي زمعة، وغير القرشيات: زينب

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٧٧)، و«النشر في

القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية»

(١٣٢/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات

القرآنية» (١٣٢/٥).

بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

واختلف في أنه هل أبيع له النساء من بعد؟ قالت عائشة: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء»^(١)، وقال أنس: «مات على التحريم»^(٢)، وممن قال بحل النساء له: أبي بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حسن الأزواج المستبدلة، قال ابن عباس: «يعني: أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر - رضي الله عنه - أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها، فنهى عن ذلك»^(٣).

(١) رواه النسائي (٣٢٠٤)، كتاب: النكاح، باب: ما افترض الله عز وجل على رسوله - عليه السلام - وحرّمه على خلقه، والترمذي (٣٢١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، وقال: حسن.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥٧٧/٣).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥٧٨/٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣٩٤/٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢١/١٤)، قال ابن العربي كما ذكره عنه القرطبي -: وهذا حديث ضعيف ١هـ. وقال ابن عادل: وقال بعض المفسرين: ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه الصلاة والسلام من أنه إذا رأى واحدة وقعت في قلبه موقعاً كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها. . . ففي أول الأمر أحلّ الله من وقع في قلبه؛ تفرغاً لقلبه وتوسعاً لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نُسَخ ذلك.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَت يَمِينُكَ﴾ قال ابن عباس : «ملك بعد هؤلاء مارية»^(١) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حافظاً .

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ : «انظر إليها؛ فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»^(٢)، قال الحميدي: يعني: الصغر، فإذا خطب الرجل امرأة، أبيح له النظر إليها بالاتفاق، فعند أحمد: ينظر إلى ما يظهر غالباً، كوجه ورقبة ويد وقدم، وعند الثلاثة: لا ينظر غير الوجه والكفين .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٥٣) .

[٥٣] ونزل تأديباً لناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، فيأكلون

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٧٨) .

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤)، كتاب: النكاح، باب: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، والحميدي في «مسنده» (١١٧٢) .

ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى منهم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ﴾^(١) أي: إلا وقت الإذن ﴿لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ فيؤذن لكم فتأكلون. قرأ نافع: (بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا) بالمد والهمز وتسهيل الهمزة من (إِلَّا)، وخالفه قالون في هذا الحرف أيضاً، فقرأه بتشديد الياء كبقية القراء كما تقدم في قوله: (لِلنَّبِيِّ إِنْ) وهذان الحرفان اللذان تقدم التنبيه عليهما أول السورة، ونبه عليهما في سورة البقرة.

﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: منتظرين نضجه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِنَاهُ) بإمالة فتحة النون^(٢).

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ للأكل ﴿فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ فرغتم منه ﴿فَأَنْتَشِرُوا﴾ اخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَعْسِينَ﴾ جر عطف على (نَظِيرِينَ) ﴿لِحَدِيثٍ﴾ تديرونه بينكم بعد الأكل.

﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ الاستئناس بعد الأكل ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ﴾ فلا يأمركم بالخروج، وكان ﷺ أشد الناس حياءً^(٣)، وأكثرهم عن العورات غضاءً، والحياء: رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٨٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٣٩٥)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/١٣٦)، و«تفسير القرطبي» (١٤/٢٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٩/١٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٤٨-٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٣٣).

(٣) روى البخاري (٣٣٦٩) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، ومسلم (٢٣٢٠)، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حياءه ﷺ، من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها.

كراهته، أو ما يكون تركه خيراً من فعله، والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي: لا يمتنع من تعريفكم الحق والصواب حياء منكم .

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ﴾ أي: نساء النبي ﷺ، وإن لم يذكرن؛ لأن الحال تدل عليهن .

﴿ مَتَعَا فَسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة . قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوهُنَّ) بالنقل، والباقون: بالهمز (١) .

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ السؤال ﴿ أَطَهَّرْ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ من الريبة .

وقد صح في سبب نزول الحجاب ما روي عن عائشة - رضي الله عنها-: أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر - رضي الله عنه - يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشياً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة! حرصاً على أن ينزل آية الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب (٢) .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٤/٥) .

(٢) رواه البخاري (١٤٦)، كتاب: الوضوء، باب: خروج النساء إلى البراز، ومسلم =

وعن أنس قال: قال عمر: «وافقني ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما آذين به رسول الله ﷺ نساؤه، قال: فدخلت عليهن، فجعلت أستفرق بهن واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهن، أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على زينب، فقالت: يا عمر! أما كان في رسول الله ﷺ يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! قال: فخرجت، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ إلى آخر الآية [التحریم: ٥]»^(١).

واستدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت، وهو مذهب مالك وأحمد، ولم يجزها أبو حنيفة، وقال الشافعي: يجوز فيما رآه قبل ذهاب بصره، أو يقر في أذنه، فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به.

= (٢١٧٠)، كتاب: السلام، باب: إباحتها للخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.

(١) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. قال ابن حجر في «الفتح» (٥٠٥/١) وليس في تخصصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، ومن مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في «الصحيح».

ولما قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قيل: هو طلحة بن عبيد الله: «لئن قبض رسول الله ﷺ، لأنكحن عائشة»، نزل احتراماً له ﷺ، وتطيباً لقلبه:

﴿ وَمَا كَانُ ﴾^(١) أي: ما يجوز ﴿ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بشيء من الأشياء.

﴿ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ إذا مات، أو فارقهن.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَكُمْ ﴾ يعني: إيذاءه، ونكاح نسائه ﴿ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ذنباً.

﴿ عَظِيمًا ﴾ فنكاح أزواجه محرم على غيره بالإجماع.

﴿ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

[٥٤] وبالغ في الوعيد عليه فقال: ﴿ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا ﴾ لنكاحهن على ألسنتكم.

﴿ أَوْ خُفُّوا ﴾ في صدوركم.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٠١/٨) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣١٥٠/١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٩/٧) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - نحوه.

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا
 أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ .

[٥٥] ولما نزلت آية الحجاب، قال ذوو المحارم: ونحن أيضاً
 لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزل: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ
 وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ وإنما لم يذكر العم والخال؛
 لأنهما بمنزلة الوالدين، والعرب تسمي العم أباً، والخالة أمماً. واختلاف
 القراء في الهمزتين من (أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ) كاختلافهم فيهما (مِنَ الْبَغَاءِ إِنَّ) في
 سورة النور، واختلافهم فيهما من (أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ) كاختلافهم فيهما من
 (هُؤُلَاءِ آلِهَةٌ) في سورة الأنبياء [الآية: ٩٩] ﴿ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾ أي: المسلمات،
 وتقدم ذكر الخلاف بين الأئمة في الكتابيات في سورة النور.
 ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ من الإماء، فلا يكون العبد محرماً لمولاته،
 وقيل: هو عام، فيكون العبد محرماً لمولاته، وتقدم ذكر الحكم في ذلك،
 واختلاف الأئمة فيه في سورة النور؛ أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب عن
 هؤلاء، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب فقال: ﴿ وَأَتَقِينَ اللَّهَ ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ بِهِ .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ لا يخفى عليه خافية .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

[٥٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ صلاةُ الله: رحمة، وصلاة
 الملائكة: الدعاء، وصلاة المؤمنين: سؤال الصلاة عليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيَّ ﴾ ادعوا له .

﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ حيوه بتحية الإسلام .

سئل رسول الله ﷺ: كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(١).

واختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ هل (يصلون) راجعة على الله والملائكة، أم لا؟ فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون؛ لعلة التشريك، وخصوا الضمير بالملائكة، وقدروا الآية: إن الله يصلي وملائكته، والملائكة يصلون، واختلف الأئمة في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير في الصلاة، فقال أبو حنيفة: هي سنة، وتجب في العمر مرة، والمختار في مذهبه أنها مستحبة كلما ذكر، وعليه الفتوى، وقال مالك: هي سنة في الصلاة، ولكنها واجبة في الجملة، وقال الشافعي: هي فرض، وقال أحمد: هي ركن، فتبطل الصلاة عندهما بتركها، عمداً كان أو سهواً.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ﴾ أي: يخالفون أمره ويعصونه بنسبة الولد

(١) رواه البخاري (٤٥١٩) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، من حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه .

والشريك إليه سبحانه، هم اليهود، قالوا: عزيز ابن الله، ويد الله مغلولة، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ بتكذيبه، وقولهم: شاعر ومجنون.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار.

﴿وَأَعَدَّهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ فيحرم أذى النبي ﷺ بالقول والفعل بالاتفاق.

واختلفوا في حكم من سبه والعياذ بالله تعالى من المسلمين، فقال أبو حنيفة والشافعي: هو كفر كالردة يقتل ما لم يتب، وقال مالك وأحمد: يقتل ولا تقبل توبته، [وقتله حداً لا كفراً إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل توبته] (١).

وأما الكافر إذا سبه صريحاً بغير ما كفر به؛ من تكذيبه ونحوه، فقال أبو حنيفة: لا يقتل؛ لأن ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر، وقال الشافعي: ينتقض عهده، فيخير الإمام فيه بين القتل والاسترقاق، والمن والفداء، ولا يبلغ المأمن؛ لأنه كافر لا أمان له، ولو لم يشرط عليه الكف عن ذلك، بخلاف ما إذا ذكره بسوء يعتقد ويتدين به؛ كتكذيب ونحوه، فإنه لا ينتقض عهده بذلك إلا باشرطه، وتقدم التنبيه على ذلك في سورة التوبة، وقال مالك وأحمد: يقتل ما لم يسلم، واختار جماعة من أئمة مذهب أحمد أن سابه - عليه السلام - يقتل بكل حال، منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقال: هو الصحيح من المذهب، وأما حكم قذفه ﷺ،

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

فعند أبي حنيفة حكمه كالسب من مسلم وكافر كما تقدم، وظاهر كلام أصحاب مالك فيما اطلعت عليه من كتبهم، ومنهم القاضي عياض في «الشفاء»^(١): أنه كالسب، يقتل به المسلم، ويسقط القتل عن الكافر بإسلامه، وحكى القاضي عياض عن ابن سحنون أنه أوجب على الذمي إذا قذف النبي ﷺ حد القذف، ثم قال: ولكن انظر ماذا يجب عليه، هل حد القذف في حق النبي ﷺ هو القتل؛ لزيادة حرمة ﷺ على غيره، أم هل يسقط القتل بإسلامه، ويحد ثمانين جلدة؟ فتأمل، انتهى.

وفي مذهب الشافعي ثلاثة أقوال حكاه النووي رحمه الله في «الروضة»: أحدها: أنه كالمرتد، والثاني: أنه يقتل حداً، والثالث: أنه يجلد ثمانين جلدة^(٢).

ومذهب أحمد - رضي الله عنه - : أن من قذفه ﷺ، أو قذف أمه، قتل، مسلماً كان أو كافراً، فلا تقبل من المسلم توبة، ولا من الكافر إسلامه.

وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته حكم من سب نبينا عليهم السلام، وأما من سب الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله من المسلمين بغير الارتداد عن الإسلام، ومن الكفار بغير ما كفروا به من معتقدهم في عزير والمسيح ونحو ذلك، فحكمه حكم من سب النبي ﷺ، وكل من الأئمة الأربعة - رضي الله عنهم - على أصله كما قدمته، والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) انظر: (٢/٢٦٦) وما بعد.

(٢) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (١٠/٣٣٢).

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [٥٨].

[٥٨] ونزل في عائشة وصفوان رضي الله عنهما: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴾ بغير ذنب .
﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ظاهراً .

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [٥٩].

[٥٩] كان زي الحرائر والإماء واحداً، فربما تعرض ببعض الحرائر، فنزل نهياً للحرائر عن التشبه بالإماء: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ ﴾ يُرْحَبِينَ .

﴿ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ﴾ جمع جلباب، وهي الملاءة تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار^(١) ﴿ ذَلِكَ ﴾ الفعل ﴿ أَدْنَى ﴾ أقرب إلى .
﴿ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ﴾ بأن يتعرض لهن ذوربية .
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما سلف مع التوبة ﴿ رَحِيمًا ﴾ بعباده .

﴿ لَّيْنٌ لَّمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٦٠].

[٦٠] ونزل فيمن كان يظهر خلاف ما يضمّر، وفيمن كان يرعب قلوب

(١) «والخمار» زيادة من «ت» .

المسلمين: ﴿لَيْنَ لَمَّ يَنْهَ الْمُنْفِقُونَ﴾ عن نفاقهم وكذبهم .
 ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ فجور؛ يعني: الزناة ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي
 الْمَدِينَةِ﴾ بالكذب بما يضعون من الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين؛
 بأنهم قتلوا وكسروا وأخذوا، فترعب قلوب المؤمنين .

﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم .
 ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زماناً قليلاً حتى يخرجوا منها .

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَفْتِيلًا﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مطرودين، نصب على الحال من (لَا يُجَاوِرُونَكَ)
 ﴿أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾ وجدوا .

﴿أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَفْتِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: كسنة الله .

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من المنافقين؛ أي: هذا الحكم فيهم .

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لأنه لا يبدلها .

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
 تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ .

[٦٣] وكان اليهود والمشركون يسألونه ﷺ عن الساعة امتحاناً

واستهزاءً، فنزل: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ ﴿
أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة؟ ثم أوماً إلى قربها فقال: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ﴾ شيئاً ﴿قَرِيباً﴾ وانتصابه على الظرف، وفيه تهديد لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ .

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ﴾ أي: عذب ﴿الْكَافِرِينَ﴾ المكيين بالقتل ببدر.
﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً في الآخرة.

﴿خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ .

[٦٥] ﴿خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم .
﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم .

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ .

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ظهراً لبطن حين يُسحبون عليها
﴿يَقُولُونَ﴾ المعنى: اذكر يوم يقول التابع والمتبوع: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَ﴾ في الدنيا.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾﴾ .

[٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ أي: مقدمينا في الكفر.

﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ أخطؤوا بنا طريق الهداية . قرأ ابن عامر، ويعقوب :
 (سَادَاتِنَا) بكسر التاء وألف قبلها على جمع^(١) الجمع، وقرأ الباكون : [بفتح
 التاء بلا ألف قبلها^(٢)، وتقدم اختلافهم في (الرَّسُولَا) و(السَّبِيلَا) عند
 (الظُّنُونَا) [الآية : ١٠] .

﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمِ لَعْنَا كَبِيرًا﴾ .

[٦٨] ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي : عذبهم مثل عذاب غيرهم
 ﴿وَالْعَنَمِ لَعْنَا كَبِيرًا﴾ قرأ عاصم : (كَبِيرًا) بالباء الموحدة من تحت، وقرأ
 الباكون^(٣) : بالثاء المثلثة، واختلف عن هشام راوي ابن عامر^(٤) .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ
 عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ .

[٦٩] ونزل نهياً عن أذى النبي ﷺ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
 ءَادَوْا مُوسَىٰ﴾ بأن رموه بالأدرة، وهو مرض الأنثيين، فوضع ثوبه على الحجر

-
- (١) «جمع» زيادة من «ت» .
 (٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٧٨)، و«النشر في
 القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (١٣٦/٥) .
 (٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .
 (٤) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٢٣-٥٢٤)، و«التيسير» للداني (ص :
 ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٣٦/٥) .

ليتوضأ، فهرب الحجر بثوبه حتى وقف به بين ملأ بني إسرائيل، فأدركه فضربه ثنتي عشرة ضربة، فأرأه أحسنَ الناس جسداً^(١)، واتهموه بقتل هارون في التيه، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل، فعرفوا أنه لم يقتله، وقذفوه بالبغي أنه فجر بها، وجعلوه ساحراً مجنوناً.

﴿ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ بأن أوضح ما نسب إليه، فظهرت براءته منهم.

﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ ذا جاه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ [٧٠].

[٧٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ أي: صواباً.

﴿ يُصَلِّحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [٧١].

[٧١] ﴿ يُصَلِّحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ ﴾ يتقبل حسناتكم، ويشيكم عليها.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ نال غاية

مطلوبه، والطاعة: موافقة الأمر، والمعصية: مخالفته.

(١) انظر ما رواه البخاري في (٢٧٤)، كتاب: العُسل، باب: من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة، ومسلم (٣٣٩)، كتاب: الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، من حديث أبي هريرة.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ هي كل ما افترض على العباد؛ كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم الأسرار، فعرضت الأمانة بما فيها .

﴿ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ عرض تخيير، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحستن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن .

﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ امتنعن ﴿ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ خفن منها خشية ألا يؤدينها، فيلحقهن العقاب .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ مع ضعفه، وهو آدم - عليه السلام -، روي أنه قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من يحملها يحملها بنا، فإن ما هو منا لا يحمل إلا بنا، فحملها .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لنفسه بمعصية ربه .

﴿ جَهُولًا ﴾ بأمر الله، وما احتمل من الأمانة .

﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ بما

خانوا الأمانة، ونقضوا الميثاق، واللام تعليل .

﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(١) يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، ونصبه عطف على (لِيُعَذِّبَ)، واللام في قوله (لِيُعَذِّبَ) متعلقة بحمل؛ أي: حملها؛ ليعذب العصي، ويشيب المطيع.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

وقد تقدم في تفسير هذه السورة^(١) أن من خصائص رسول الله وجوب تخيير نسائه بين فراقه والإقامة معه، وأن يتزوج بأي عدد شاء، وأن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها، وله خصائص غير ذلك، منها: أن له أن يتزوج في زمن الإحرام، وكان واجباً عليه السواك والأضحية والوتر، ووجب عليه قيام الليل ولم ينسخ، وفرض عليه إنكار المنكر إذا رآه على كل حال.

ومنع من الرمز بالعين، والإشارة بها، وإذا لبس الأمة الحرب أن ينزعها حتى يلقي العدو، ومنع أيضاً من الشعر والخط وتعليمهما، ومنع من نكاح الكتابية كالأمة مطلقاً، ومنع من الأخذ من صدقة التطوع.

وأبيح له الوصال في الصيام، وهو ألا يفطر بين يومين فأكثر، وأبيح له خمس الغنيمة وإن لم يحضره، وأبيح له الصفا من المغنم، وهو ما كان يختاره قبل القسمة؛ كجارية وعبد وثوب وسيف ونحوه، ودخول مكة محلاً ساعة، وإذا ادعى عليه أو ادعى هو فقله بلا يمين، وجعلت تركته صدقة، وله أخذ الماء من العطشان، ويلزم كل أحد أن يقيه بنفسه وماله، فله طلب ذلك، وحرم على غيره نكاح زوجاته فقط، وتقدم في

(١) عند تفسير الآية (٥٠).

التفسير، وهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وهن أمهات المؤمنين بمعنى : في حكم الأمهات في تحريم النكاح، وتقدم في التفسير، والنجس منا طاهر منه، ولم يكن له فيء في شمس ولا قمر، لأنه يوارى، والظل نوع ظلمة، وكانت تجتذب الأرض أثقاله، وسأوى الأنبياء في معجزاتهم، وانفرد بالقرآن والغنائم، وجُعِلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، ونُصِر بالربع مسيرة شهر، وبعث إلى الناس كافة، وكل نبي إلى قومه، ومعجزاته باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت معجزات الأنبياء بموتهم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، فلا ينقض وضوءه بنومه مضطجعاً، ويرى من خلفه كما يرى أمامه، قال الإمام أحمد وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة، والدفن في البنيان مختص به، قالت عائشة: «لئلا يتخذ قبره مسجداً»، وقال جماعة: لوجهين: أحدهما: قوله: «تدفن الأنبياء حيث يموتون» رواه الإمام أحمد^(١)، والثاني: لئلا تمسه أيدي المنافقين، وزيارة قبره ﷺ مستحبة للرجال والنساء، ومنها: أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: (يا آدم) (يا نوح) (يا إبراهيم) (يا داود) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطب هو إلا (يا أيها الرسول) (يا أيها النبي)^(٢) (يا أيها المزمّل) (يا أيها المدثر)، وتقدم في التفسير، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: خص النبي ﷺ بواجبات ومحظورات ومباحات وكرامات، والله أعلم.



- (١) لم أقف عليه هكذا. وقد روى ابن ماجه (١٦٢٨)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، من حديث ابن عباس في حديث طويل وفيه: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ في «الفتح» (١/٥٢٩).
- (٢) «يا أيها النبي» سقط من «ت».



مكية، واختلف في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ ﴾ [الآية: ٦٦]، فقالت فرقة: هي مكية، والمراد: المؤمنون بالنبي ﷺ، وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد: من أسلم بالمدينة من أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه^(١) وأشباههم، أيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمسة مئة واثنان عشر حرفاً، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثمانون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

[١] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: الشاء له، والألف واللام لاستغراق الجنس؛ أي: الحمد على تنوعه هو الله تعالى ﴿ الَّذِي لَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ كما هو في الدنيا؛ لأن أهل الحمد يحمدونه في

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت».

الآخرة كما يحمدونه في الدنيا؛ لأن النعم في الدارين منه، وحذفت إحداهما للدلالة الأخرى عليها.

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ المحكم لأمر الدارين ﴿ الْحَيُّ ﴾ بالأشياء؛ لأن وجودها إنما هو به جلّت قدرته.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (٢).

[٢] ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: يدخل فيها من الأموات والكنوز والدفائن وغيرها ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من النبات والأموات عند الحشر، وماء العيون وسائر المخرجات.

﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من الوحي والرسل والكتب والأقمار والأمطار والصواعق والشهب.

﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: يصعد فيها^(١) من الملائكة والأعمال.

﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ للمفترطين في شكر نعمته.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣).

[٣] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ استهزاءً واستبطاءً للبعث: ﴿ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾

(١) «فيها» ساقطة من: «ت».

قُلْ ﴿ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ الساعة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (بَلَىٰ) بالإمالة^(١).

﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (عَالِمٌ) برفع الميم على الاستئناف؛ أي: هو عالم الغيب، وقرأ الباقر: بخفضها من نعت قوله تعالى: (وَرَبِّي)، وقرأ منهم حمزة، والكسائي: (عَالِمٌ) بتشديد اللام على وزن فَعَالٍ وجر الميم على المبالغة^(٢)، روي أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب، قال: واللات والعزى ما ثم ساعة تأتي، ولا قيام ولا حشر، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُقسم بربه مقابلة^(٣) لقسم أبي سفيان؛ رداً وتكديباً وإيجاباً لما نفاه.

﴿ لَا يَغِيبُ ﴾ قرأ الكسائي: بكسر الزاي، والباقر: بضمها؛ أي: لا يغيب.

﴿ عَنْهُ مِثْقَالُ ﴾ أي: وزن ﴿ ذَرَّةٍ ﴾ أي: نملة ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ﴾ أي: المِثْقَالُ ﴿ وَلَا أَكْبَرُ ﴾ ورفعهما عطف على (مِثْقَالٍ).

﴿ إِلَّا ﴾ وهو مثبت.

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤١/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩-١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤١/٥-١٤٢).

(٣) «بربه مقابلة» زيادة من «ت».

﴿ فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٤] .

[٤] ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ اللام في (لِيَجْزِيَ) متعلقة بقوله: (لَا يَعْزُبُ) أي: لا يغيب عنه شيء ليجزي المحسن والمسيء .

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: المؤمنون ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ وهي تغمد الذنوب .
﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ هو الجنة .

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ
الْأَلِيمِ ﴾ [٥] .

[٥] ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴾ في إبطال أدلتنا ﴿ مُعْجِزِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مُثَبِّطِينَ الناس عن الإيمان، والباقون: بالتخفيف وألف بعد العين^(١)؛ أي: مسابقين، يحسبون أنهم يفوتوننا .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ ﴾ من سيء العذاب .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (٢/١٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٣) .

﴿ أَلِيمٌ ﴾ مؤلم. قرأ ابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ)، والباقون: بالجر صفة (رَجَزٌ)^(١).

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.

[٦] ﴿ وَيَرَى ﴾ أي: ويعلم ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ هم الصحابة، أو من آمن من أهل الكتاب ﴿ الَّذِينَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ﴾ يعني: القرآن ﴿ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: يرون المنزل حقاً.

﴿ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ يعني: الإسلام، وليس بمعطوف على ما تقدم؛ لأن الله تعالى لم يُحصِ أعمال الخلق ليهدتوا كلهم إلى صراط مستقيم، لكنه مستأنف على تقدير: وهو يهدي، وقيل: هو معطوف على (الحق) أي: يرون المنزل حقاً وهادياً.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾.

[٧] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ سخرية بنبيهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٣).

﴿ هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ هو محمد ﷺ . قرأ الكسائي : (هل نَدُّكُمْ) وشبهه
بإدغام اللام في النون، والباقون : بالإظهار^(١) .

﴿ يَبْتِئُكُمْ ﴾ يخبركم، ويقول لكم : ﴿ إِذَا مَرِئْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ ﴾ قُطِعَتْ كُلُّ
تَقْطِيعٍ ؛ أي : في القبور ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي : تنشؤون خلقاً جديداً
بعد تمزيق أجسادكم .

﴿ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ .

[٨] ﴿ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ الألف للاستفهام ؛ أي : هو مفتر،
أم به جنون؟ فرد الله تعالى ذلك بقوله :

﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ أي : البعث .

﴿ فِي الْعَذَابِ ﴾ ثم ﴿ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ عن الهدى .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأَةً
نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ .

[٩] ثم أوماً تعالى إلى وحدانيته وعظيم قدرته بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ

(١) انظر : «الغيث» للصفاسي (ص : ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي
(ص : ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٤) .

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿المعنى: ألم يروا أنهم تحت سمائي
وفوق أرضي، فيخافوا عذابي فيؤمنوا؟!﴾

﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَةٌ ﴿تدل على قدرتنا على البعث .

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ تائب مقبل على ربه، راجع إليه بقلبه . قرأ حمزة،
والكسائي، وخلف: (يَشَأْ) (يَخْسِفُ) (أَوْ يُسْقِطُ) بالياء في الثلاثة خبر
عن الله تعالى، وأدغم الكسائي الفاء بالياء، وقرأهن الباقون: بالنون إخباراً
عن الله تعالى تعظيماً^(١)، وقرأ حفص عن عاصم: (كِسْفًا) بفتح السين جمع
كِسْفَةٍ؛ أي: قطعاً، وقرأ الباقون: بالإسكان على التوحيد^(٢)؛ أي: قطعه،
وجمعه^(٣) أكساف وكسوف، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ)
كاختلافهم فيهما من (البِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالتَّالَهُ
الْحَدِيدَ﴾ .

[١٠] ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان؛ احتجاجاً على ما منح

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«الغيث» للصفاسي (ص: ٣٢٦)،
و«تفسير البغوي» (٣/٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)،
و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٥/٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (٢/٥١)، و«معجم
القراءات القرآنية» (١٤٥/٥).

(٣) «وجمعه» زيادة من «ت».

محمدًا؛ أي: لا تستبعدوا هذا، فقد تفضلنا على عبيدنا قديماً بكذا وكذا،
فقال تعالى:

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ أي: النبوة والملك، وقلنا:

﴿ يَجِبَالٌ أَوْبَى ﴾ رَجَعِي ﴿ مَعَهُ ﴾ التسييح، فكان داود إذا سبح، سمع
تسييح الجبال، ويعقل معناه؛ معجزة له؛ كما سمع الخطاب من الشجرة،
وعقل معناه ﴿ وَالطَّيْرُ ﴾ أي: وسخرنا له الطير بأصواتها، فكان داود يقول
للجبال: سبحي، وللطير: أجيبي، ثم يأخذ في تلاوة الزبور بصوته
الحسن، فلا يرى شيء أحسن من ذلك فمن سمع صدى الجبال. قراءة
العامية: (وَالطَّيْرُ) بالنصب بإضمار فعل تقديره: وسخرنا الطير، وألنا له
الحديد، وقرأ يعقوب: بالرفع رداً على (الجبال)؛ أي: أوبي أنت والطير،
ووردت عن عاصم، وأبي عمرو^(١).

﴿ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴾ أي: جعلناه له لينا كالشمع، فلا يفتقر إلى نار
ولا مطرقة.

﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبَّغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴾ (١١).

[١١] ﴿ أَنْ أَعْمَلَ ﴾ أمرناه أن اعمل، و(أن) مفسرة لا موضع لها من
الإعراب ﴿ سَبَّغَتْ ﴾ دروعاً تامة تعم البدن.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص:
٣٥٨)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٤٦/٥).

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي: اجعل المسامير على قدر الحلق، والسرد: هو نسج الدروع، وأصل السرد: الوصل، ومنه: سرد كلامه: وصل بعضه ببعض، فكان يعمل كل يوم درعاً، ويبيعهما بستة آلاف درهم، ينفق عليه وعلى عياله ألفين، ويتصدق على فقراء بني إسرائيل بأربعة آلاف، وعمل الدروع لأنه كان من عادته أن يخرج إلى الناس مُنْكَرًا، ويسأل عن داود، وما يقال فيه، فخرج يوماً، فلقى ملك في صورة آدمي، فسأله عن داود، فقال: نعم العبد هو، إلا أنه يأكل هو وعياله من بيت المال، فتنبه داود، وسأل ربه أن يرزقه سبباً يقوم به، فرزقه صنعة الدروع، قال رسول الله ﷺ: «كان داود لا يأكل إلا من كسب يده»^(١) ثم خاطب داود أهله فقال:

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم عليه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نُدْفِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢).

[١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا له. قرأ أبو بكر عن عاصم: (الرِّيحُ) بالرفع؛ أي: له تسخرت الرِّيحُ، والباقون: بالنصب، ومنهم

(١) رواه البخاري (٣٢٣٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُجُورًا﴾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . قال ابن حجر في «الفتح» (٤٥٥/٦): فكان ينسج الدروع ويبيعهما، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك، مع كونه كان من كبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾.

أبو جعفر، قرأ: (الرِّيح) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع^(١).

﴿غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريُّها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي كذلك، فكانت تغدو بسليمان وجنوده على البساط من دمشق، فيقيل بإصطخر، وبينهما شهر للراكب المسرع، ويروح من إصطخر، فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُمُ عَيْنَ الْقَظْرِ﴾ أذنا له معدن النحاس، أساله الله حتى صار كالماء، فكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان.

﴿وَمَنْ أَلْجَىٰ مِنْ يَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: بأمره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سخر الله الجن لسليمان، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به»^(٢).

﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرنا به من طاعة سليمان.
﴿نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان، ضربه ضربة أحرقتة.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٦-١٤٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٥٩٧).

﴿يَعْمَلُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ .

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ أي : مساجد ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ صور
الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد؛ لينشطوا إلى العبادة والافتداء
بهم، وعملوا له في أسفل كرسيه أسدين، وفي أعلاه نسرين، فإذا صعد،
بسط له الأسدان ذراعيهما فارتقى عليهما، فإذا جلس أظله النسران
بجناحيهما، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً، وكان مما عملوا له بيت
المقدس، ابتدأه داود، ورفعاه قامة رجل، فأوحى الله إليه أني لم أقض ذلك
على يدك، ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي إتمامه على يده،
فلما توفاه الله تعالى، استخلف سليمان - عليه السلام -، وكان مولده بغزة،
وملك بعد أبيه وله اثنتا عشرة سنة، ولما كان في السنة الرابعة من ملكه في
شهر أيار سنة تسع وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى - عليه السلام -، ابتدأ
سليمان في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه إليه، وجمع
حكماء الإنس والجن، وعفاريت الأرض، وعظماء الشياطين، وجعل منهم
فريقاً بينون، وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام، وفريقاً
يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان، وكان في الدر ما هو مثل
بيضة النعامة، وبيضة الدجاجة، وبنى مدينة بيت المقدس، وجعلها اثني
عشر ربضاً، وأنزل كل ربض منها سبطاً من أسباط بني إسرائيل، وكانوا اثني
عشر سبطاً، ثم بنى المسجد بالرخام الملون، وسقفه بألوان الجواهر
الثمينة، وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت، وأثبت الله شجرتين
عند باب الرحمة، إحداهما تنبت الذهب، والأخرى تنبت الفضة، فكان في

كل يوم ينزع من كل واحدة ممتي رطل ذهباً وفضة، وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة، وبألواح الفيروزج، فلم يكن يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، وكان ذلك بعد هبوط آدم بأربعة آلاف وأربع مئة وأربع عشرة سنة، وبين عمارة سليمان لمسجد بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - ألف وثمان مئة وقريب سنتين، وتقدم ذكر ذلك ملخصاً في سورة الإسراء. ولما فرغ من بناء المسجد^(١)، سأل الله ثلاثاً: سأله حكماً يوافق حكمه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله ألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - سَأَلَ رَبَّهُ ثَلَاثًا، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاهُ الثَّلَاثَةَ: سَأَلَهُ حُكْمًا يَصَادَفُ حُكْمَهُ فَأَعْطَاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَعْطَاهُ، وَسَأَلَهُ: أَيُّمَا رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، أَنْ يَخْرُجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٢).

ولما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه، جمع الناس وأخبرهم أنه

(١) في «ت»: «مسجد بيت المقدس».

(٢) رواه النسائي في «سننه» (٦٩٣)، كتاب: المساجد، باب: فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، وابن ماجه (١٤٠٨)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، وأحمد في «المسند» (١٧٦/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

مسجد لله تعالى، وهو أمره ببناؤه، وأن كل شيء فيه لله تعالى، من انتقصه، أو شيئاً منه، فقد خان الله تعالى، وأن داود عهد إليه ببناؤه، ثم اتخذ طعاماً، وجمع الناس جمعاً لم ير مثله، ولا طعام أكثر منه، وقرب القرابين لله تعالى، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً^(١).

واستمر بيت المقدس على ما بناه سليمان أربع مئة سنة وثلاثاً وخمسين سنة حتى غزاه بُخت نصر، فخرّب المدينة، وهدمها، ونقض المسجد، وأخذ جميع ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر، فحمّله إلى دار مملكته من أرض العراق، واستمر خراباً^(٢) بيت المقدس سبعين سنة كما تقدم ذكره في سورة البقرة [الآية: ٢٥٩] وسورة الإسراء [الآية: ٦]^(٣).

وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر
﴿وَحِفَانٍ﴾ قصاع كبار ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهو الحوض الكبير.

قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: (كَالْجَوَابِ) بإثبات الياء وصلماً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلماً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(٤)
﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا يحركن عن أماكنهن؛ لعظمن،

(١) رواه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٧٧) من حديث رافع بن عمير. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٤): وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهو متهم بالوضع.

(٢) «خراباً» زيادة من «ت».

(٣) وسلف نحو هذا الخبر عند تفسير الآية (٩٧) و(١١٤) من سورة البقرة.

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٧/٥-١٤٨).

وكان يُصعد عليها بالسلايم، وكانت باليمن .

﴿ اَعْمَلُوا ﴾ أي : وقلنا : اعملوا ﴿ اَل دَاوُدَ ﴾ نصبه على النداء ؛ أي :

اعملوا يا آل داود بطاعة الله ﴿ شُكْرًا ﴾ له على نعمه .

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي : العامل بطاعتي شكراً لنعمتي . قرأ

حمزة : (عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ) بإسكان الياء ، والباقون : بفتحها^(١) .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنْسَاتَهُ فَلَ مَا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ .

[١٤] روي أن سليمان - عليه السلام - كان يتحنث في بيت المقدس الشهر والشهرين ، والسنة والستين ، وأقل وأكثر ، وينقطع عن الناس ، ويدخل إليه طعامه وشرابه ، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ، ويعلمون ما في غد ، فدخل بيت المقدس يوماً ، وقال : اللهم عمّ موتي على الجن حتى تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب ، ثم قام يصلي متكئاً على عصاه ، فمات قائماً ، وكان لمحراجه كوى بين يديه وخلفه^(٢) ، فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته ، وينظرون إليه يحسبون أنه حي ، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس ؛ لطول صلاته قبل ذلك ، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٨٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٨) .

(٢) «وخلفه» زيادة من «ت» .

كاملاً^(١) ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي: لما مات .

﴿مَادَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ هي الأرضة .

﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ عصاه؛ لأنها ينسأ بها؛ أي: يؤخر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِنْسَاتُهُ) بألف ساكنة بعد السين من غير همز، وهذه الألف بدل من الهمزة لغة مسموعة صحيحة، قال أبو عمرو بن العلاء: هو لغة قريش، وأصلها الهمز؛ من نسأت الغنم: سقتها بها، وقرأ ابن ذكوان: بإسكان الهمزة، لغة غربية صحيحة ورد بها القرآن، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة على الأصل، وحمزة إذا وقف جعلها بين بين على أصله^(٢).

﴿فَلَمَّا حَرَّ﴾ سقط على وجهه ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ قرأ يعقوب (تَبَيَّنَتِ) بضم التاء والباء وكسر الياء؛ أي: أعلمت الإنس الجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: بفتح التاء والباء والياء^(٣)؛ أي: علمت الجن وأيقنت ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي: في التعب والشقاء المذلل مسخرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته، أراد الله بذلك أن يعلم

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨١)، والحاكم في «المستدرک» (٨٢٢٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٤/٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٩-١٥٠) .

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٥٠) .

الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا يظنون ذلك؛ لغلبة الجهل، وقيل: معنى تبينت الجن: أي: ظهرت وانكشفت للإنس، وتبين أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، فلما خر ميتاً، وعلموا بموته، شكرت الجنُّ الأرضة، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب.

وتوفي سليمان وله اثنتان وخمسون سنة، فكان مدة ملكه أربعين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى - عليه السلام -، وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة، وبين وفاته والهجرة الشريفة النبوية المحمدية ألف وسبع مئة وثلاث وسبعون سنة، والله أعلم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بُلْدَةَ طَيْبَةٍ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] فلما فرغ التمثيل لمحمد ﷺ بسليمان - عليه السلام -، رجع التمثيل للكفار بسبأ، وما كان من إهلاكهم بالكفر والعتو، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزي: بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين^(١)، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٠ و ٥٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٥٠-١٥١).

(مَسْكَنِهِمْ) بإسكان السين وفتح الكاف بغير ألف على التوحيد، وهو اسم جنس يراد به الجمع، والكسائي، وخلف: كذلك، غير أنهما يكسران الكاف؛ أي: في موضع سكناهم، والباقون: بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف على الجمع^(١)؛ لأن كل واحد له مسكن، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن.

﴿آيَةٌ﴾ اسم كان؛ أي: علامة دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّانٍ﴾ بدل من آية؛ أي: بستنانان ﴿عَنْ يَمِينٍ﴾ من بلدهم ﴿وَشِمَالٍ﴾ منه، والمراد: جماعتان من البساتين بها أشجار كثيرة، وثمار طيبة، فقيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذي رزقكم ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة؛ أي: اعملوا بطاعته.

﴿بَلَدَةٌ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر؛ أي: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾ وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان يمر بها الغريب فيموت قمله؛ لطيب الهواء.

﴿وَرَبِّ﴾ أي: وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ربُّ ﴿غَفُورٌ﴾ للذنوب مع الإيمان به، وهذا من قول الأنبياء لهم. وقرأ رويس عن يعقوب: (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبًّا غَفُورًا) بالنصب في الكل على المدح^(٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٢-١٥١/٥).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«إملاء مامن به الرحمن» للعكبري (٢/١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٢/٥).

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ
أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [١٦].

[١٦] وبعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، فذكروهم نعم الله، وخوفوهم عقابه
﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ وقالوا: ما نعرف الله علينا نعمة، فقولوا لربكم أن يحبس عنا
هذه النعمة إن استطاع.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على سددهم، وهو سد بنته بلقيس بين الجبلين،
فحقت به الشجر، وتركت فيه ثقباً على مقدار ما يحتاجون إليه من الماء
﴿ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ وهو السيل الذي لا يُطاق، وأصله من العرامة، وهي الشدة
والقوة، فخرّب السد، وملاً ما بين الجبلين، وحمل الجنات وكثيراً من
الناس ممن لم يمكنه الفرار، وأغرق أموالهم، فتفرقوا في البلاد، فصاروا
مثلاً، وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ﴾ المذكورتين ﴿ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ ﴾ ثمر ﴿ خَمْطٍ ﴾
وهو شجر الأراك وثمره، وقيل: هو كل شجر مر الثمر. قرأ يعقوب:
(بَجَنَّتَيْهِمْ) بضم الهاء، وابن كثير وأبو جعفر: يضمن الميم ويصلانها بواو
في اللفظ وصلاً، واختلف عن قالون، وقرأ أبو عمرو ويعقوب (أُكُلٍ)
بالإضافة من غير تنوين، وقرأ الباقر: بالتنوين، ومنهم نافع وابن كثير
يسكنان الكاف، والباقر: يضمنها^(١) ﴿ وَأَثَلٍ ﴾ هو الطرفاء، ولا ثمر له،
أو شجر يشبه الطرفاء، عطف على (أُكُلٍ).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٠٢)،
و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/١٥٢-١٥٣).

﴿و﴾ كذلك ﴿شيءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ شجر معروف، وهو النبق، ووصف بالقلّة؛ فإن جناه مما يطيب أكله، ولذلك يغرس في البساتين، وما بدلوا من السدر لم يكن من ذلك، بل كان سدرًا برياً لا ينتفع به، فكان شجرهم من خير الشجر، فصيره الله من شر الشجر، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم.

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الجزء ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ النعمة ﴿وَهَلْ يُجْزَى﴾ يعاقب؛ أي: وهل يجازى مثل هذا الجزء ﴿إِلَّا الْكُفُورُ﴾ البليغ في الكفران. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (نُجَازِي) بالنون مع كسر الزاي (الْكَفُورَ) بالنصب مفعولاً إخباراً منه تعالى عن نفسه؛ لقوله: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) والكسائي على أصله في إدغام اللام من (هل) في النون، وقرأ الباقون: (يُجَازِي) بضم الياء وفتح الزاي، ورفع (الْكَفُورُ)^(١).

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهَرَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] ولما هلك مالهم^(٢)، قالوا: نحن نتوب، ويرد علينا خيرنا،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٥٤-١٥٣).

(٢) «مالهم» زيادة من «ت».

فرد عليهم خير أكثر من ذلك ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام ﴿قُرَى ظَهْرَةَ﴾ متقاربة، تظهر الثانية من الأولى؛ لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية، ويقبلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للمبيت والمقيل، فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم، وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار، وقلنا لهم: ﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾ لمصالحكم ﴿لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العدو والجوع والعطش.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [١٩].

[١٩] فبطروا النعمة، وسئموا الراحة، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ فاجعل بيننا وبين الشام فلوآتٍ ومفاوزٍ؛ ليتناولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل، وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام: (بَعْدُ) بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، وقرأ الباقون سوى يعقوب كذلك، إلا أنهم بالألف بعد الباء وتخفيف العين^(١)، وكلُّ على وجه الدعاء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٥٤-١٥٥).

والسؤال، وقرأ يعقوب: (رَبُّنَا) برفع الباء (بَاعَدَ) بفتح العين والذال وألف قبل العين على الخبر^(١)، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة ﴿وَطَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بعدم شكر مولاهم.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأخبارهم.

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على الوجدانية والقدرة.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لأنعمه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قرأ الكوفيون: (صَدَّقَ) بتشديد الذال؛ أي: إبليس صدق ظنه الذي ظنَّ فيهم، وهو كفرهم حيث قال: ﴿فِعِزَّنَاكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَا نَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، فصدق ظنه، وحققه بفعله ذلك بهم، واتباعهم إياه، وقرأ الباقون: بتخفيف الذال^(٢)؛ أي: صدق عليهم في ظنه بهم، واختلف القراء في إدغام الذال من (قَدْ) وإظهارها عند الصاد من (صَدَّقَ)، فأدغمها أبو عمرو، وحمزة،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٧).

والكسائي، وخلف، وهشام، وأظهرها الباقون^(١).

﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ الكفار ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾^(٢١).

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان تسلطنا إياه عليهم.
﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليظهر ﴿مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فيتميز المؤمن من الكافر.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُم مِّنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾^(٢٢).

[٢٢] ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: (قُلِ ادْعُوا) بكسر اللام في الوصل، والباقون: بالضم^(٢)، وفي الآية حذف؛ أي: ادعوهم لينعموا

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٥).

عليكم بجلب نفع أو دفع ضرر، لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم، ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعيين الجواب فقال:

﴿لَا يَمَلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في خير أو شر.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ في أمر ما.

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ لآلهتهم ﴿فِيهِمَا﴾ في السموات والأرض.

﴿مِنْ شَرِكٍ﴾ أي: شركة مع الله.

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: الآلهة.

﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ معين، فهو تعالى غني عن خلقه، وآلهتهم عجزة عن كل

شيء.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ في الشفاعة

لغيره. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً أقيم (لَهُ) مقام الفاعل، وقرأ الباقون: بفتحها معلوماً^(١)، الفاعلُ اللهُ تعالى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أزيل عنها الفزع. قرأ ابن عامر، ويعقوب:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٥).

فَزَعَ) بفتح الفاء والزاي، الفاعلُ اللهُ تعالى؛ أي: حتى إذا كشف تعالى
 الفزعَ عن قلب الشافع والمشفوع له بالإذن في الشفاعة، وقرأ الباقون: بضم
 الفاء وكسر الزاي^(١) مجهولاً^(٢)؛ كدُفِعَ إلى زيد: إذا علم المدفوع،
 المعنى: إذا أذن في الشفاعة، فرحوا، وسأل بعضهم بعضاً استبشاراً، ثم
 ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة؟ ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ نصب مفعول؛ أي: قال
 القول الحق، وهو الإذن في الشفاعة.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ
 لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢٤).

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالرزق من السموات
 المطر، ومن الأرض النبات ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ يعني: إن لم يقولوا: رازقنا الله،
 فقل أنت: إن رازقكم الله.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما نحن وأنتم على
 أمر واحد، بل أحد الفريقين مهتد، والآخر ضال، المعنى: إنا على الهداية
 يقيناً؛ لأننا موحدون، وأنتم على الضلالة يقيناً؛ لأنكم مشركون، ولم

(١) «وكسر الزاي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٠٥)، و«النشر في
 القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية»
 (٥/١٥٨-١٥٩).

يصرحوا بذلك تأدباً؛ لأنه أدعى إلى الإيمان، وهذا غاية الإنصاف، وقريباً من هذا قولهم: أخزى الله الكاذب.

﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٥].

[٢٥] ثم أوضح ذلك فقال: ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ﴾ اكتسبنا من الذنب.

﴿ وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بل كل مطالب بعمله.

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢٦].

[٢٦] ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يقضي.
﴿ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾ الحاكم في القضايا المنغلقة.
﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ أي: أشركتموهم مع الله تعالى في العبادة، المراد بذلك: إظهار خطأ الكفار بعبادة العاجز، ثم ردهم عن اعتقادهم، فقال: ﴿ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ ﴾ وحده ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره.

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبيره، فأنى يكون له شريك في ملكه؟!!

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨).

[٢٨] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً ﴾ نصب على الحال ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ أي :
عامة لهم ﴿ بَشِيرًا ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بالنار، حالان .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيحملهم الجهل على مخالفتك . قال ﷺ :
« كان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً ، ويُبعث إلى الناس عامةً »^(١) ، وقيل :
(كَافَّةً) ؛ أي : لتكف الناس عن المعاصي ، والهاء للمبالغة .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٩) .

[٢٩] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي : الكافرون استهزاءً : ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ الذي
تعدوننا به .

﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين .

﴿ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٠) .

[٣٠] ﴿ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ﴾ هو يوم البعث .

﴿ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ إذا فاجأكم ، وهو جواب تهديد .

(١) رواه البخاري (٣٢٨) ، كتاب : التيمم ، ومسلم (٥٢١) ، كتاب : المساجد
ومواضع الصلاة ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ
وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ ۗ ﴾

[٣١] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ ولا بما دل عليه
من البعث وغيره ﴿ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من التوراة والإنجيل .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ محبوسون .

﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ ﴾ أي : يرد ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴾ في الجدل .

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ استُخفروا ، وهم الأتباع .

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم القادة والأشراف :

﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ لأنكم منعمونا عن الإيمان .

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ
إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ۗ ﴾

[٣٢] ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ إنكاراً عليهم .

﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ مشركين

باختياركم .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ إبطالاً لإضرابهم بإضرابهم عن مجادلتهم: ﴿ بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: مكرهم بنا دائماً ليلاً ونهاراً، فأجرى الظرف مجرى المفعول به، وأضيف المكر إليهما اتساعاً، تلخيصه: إنما أشركنا بسبيكم .

﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ والند: المثل والشبيه .

﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ اعتقدوها في نفوسهم؛ أي: كل من المستكبرين والمستضعفين ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في النار من الأتباع والمتبوعين، وقيل استهزاء بهم وإيجاباً لعذابهم:

﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا؟! *

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أغنياؤها .

﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ؛ أي: يا محمد!

هذه سيرة الأمم، فلا يهكم أمر قومك .

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الكفار المترفون للفقراء المؤمنين؛ فخراً

بزخارف الدنيا.

﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ لأنه أحسن إلينا في الدنيا

بالمال والولد، فلا يعذبنا.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق ابتلاءً،

وليس في شيء من ذلك دليل على رضا الله تعالى والقرب منه؛ لأنه قد يعطي ذلك^(١) إملاءً واستدراجاً.

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك؛ كأنتم أيها الكفرة.

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ أي: جماعة أموالكم وجماعة أولادكم

﴿ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾ أي: تقريباً، نصب مصدر؛ ك﴿ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

نَبَاتًا ﴾ [نوح: ١٧].

(١) «ذلك» زيادة من «ت».

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ استثناء منقطع .

﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ أن تضاعف حسناتهم الواحدة بعشر إلى سبع مئة ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ قرأ رويس عن يعقوب : (جَزَاءً) بالنصب على الحال مع التنوين وكسره وصلأً ، ورفع (الضَّعْفُ) بالابتداء ؛ كقولك : في الدار زيدٌ قائماً ، تقديره : فأولئك لهم الضعف جزاءً ، وقرأ الباقون : (جَزَاءً) بالرفع من غير تنوين ، وخفض (الضَّعْفِ) بالإضافة^(١) .

﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من المكاره . قرأ حمزة : (في الْغُرُفَاتِ) بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد على اسم الجنس ، والمراد به : الجمع ، وقرأ الباقون : بضم الراء مع الألف على الجمع^(٢) ؛ لقوله : ﴿لَبِئْسَ أَهْلُهَا﴾ [العنكبوت: ١٧] .

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ .

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ تقدم تفسيره واختلاف القراء فيه .

﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ من الإحضار .

- (١) انظر : «تفسير البغوي» (٦٠٩/٣) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٥١/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٥) .
(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٣٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨١) ، و«تفسير البغوي» (٦٠٩/٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٤/٥) .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ كرر القول بذلك تأكيداً وتبييناً، وقصد به هنا رزق المؤمنين، وليس عليه^(١) سوقه على المعنى الأول الذي قيل للكافرين، بل هذا هاهنا على جهة الوعظ والتزهد في الدنيا، والحض على النفقة في الطاعات، ثم وعد بالخلف في ذلك بقوله: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ أي: فالله يعوضه هنا بالمال، أو بالبقناعة التي هي كنز لا يفنى، وفي الآخرة بالثواب.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ خير من يعطي ويرزق، وقوله: ﴿ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ من حيث يقال في الإنسان إنه يرزق عياله، والأمير جنده، ولكن ذلك من مال يملك عليهم، والله تعالى من خزائن لا تفنى.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «قال الله لي: أنفق أنفق عليك»^(٢).

وفي «البخاري»: «إن الملك ينادي كل يوم: اللهم أعط منفقاً^(٣) خلفاً، ويقول ملك آخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٤).

(١) «عليه» ساقطة من: «ت».

(٢) رواه البخاري (٤٤٠٧) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾، ومسلم (٩٩٣)، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٣) في «ت»: «كل منفق».

(٤) رواه البخاري (١٣٧٤)، كتاب: الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ ﴾، =

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٤٠].

[٤٠] ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعني: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ إثباتاً للحجة على الكفار: ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ في الدنيا؟ وهو استفهام تقرير؛ كقوله لعيسى - عليه السلام -: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦]. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (يُحْشَرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولُ) بالياء فيهما، والباقون: بالنون^(١)، واختلافهم في الهمزتين من (هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ) كاختلافهم فيهما من (الْبَغَاءِ إِنَّ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [٤١].

[٤١] فتتبرأ منهم الملائكة ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيهاً لك ﴿ أَنْتَ وَلِيِّنَا ﴾ الذي نتولاه، وملتجئاً إليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم. ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ يطيعون ﴿ الْجِنَّ ﴾ أي: الشياطين؛ لأنهم زينوا لهم عبادة الملائكة، فكانوا يطيعونهم.

= ومسلم (١٠١٠)، كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٦١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٥/٥).

﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ بالجن وبما يقولون من الكذب،
والملائكة بنات الله .

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾ [٤٢] .

[٤٢] ثم يقول الله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا ﴾ بالشفاعة .

﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ بالعذاب؛ لأن الأمر كله لله .

﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾ قال هنا: (الَّتِي)

أراد: النار، وفي السجدة: (الَّذِي) أراد: العذاب .

﴿ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٤٣] .

[٤٣] ﴿ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ .

﴿ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ ﴾ فيستبعمكم بما يستبدعه .

﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا إِفْكٌ ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع .

﴿ مُّفْتَرَىٰ ﴾ بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ والمراد: محمد، والقرآن:

﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر سحريته .

﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ وَمَا آتَيْنَهُمْ ﴾ يعني: العرب ﴿ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ يقرؤونها، فيعلمون ذلك .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ إلى العرب الذين بعثت ﴿ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴾ وليس المراد: من تقدمه من العرب؛ لأن إسماعيل كان مبعوثاً قبله إلى العرب .

﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم أرسلنا، وهم عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم .

﴿ وَمَا بَلَّغُوا ﴾ كفار مكة ﴿ مِعْشَارَ ﴾ أي عشر؛ كالمربع الربع .
﴿ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ أي: الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر .
﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ﴾ عناداً .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم، يحذرهم عذاب من تقدم .
قرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلماً، ويعقوب: بإثباتها وصلماً ووقفاً، والباقون بحذفها في الحالين^(١) .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٥١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٦/٥) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفُرْدَى ثُمَّ
تَنْفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَحِدَةٍ ﴾ أي: بخصلة واحدة، وهي:

﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ أي: لأجله تعالى، وليس المراد: حقيقة القيام، بل
الاهتمام بالمطلوب.

﴿ مَشْنَى ﴾ اثنين اثنين ﴿ وَفُرْدَى ﴾ واحداً واحداً في تجريد العناية في
البحث عن شأن محمد ﷺ حتى يظهر لكم شأنه.

﴿ ثُمَّ تَنْفَكُرُوا ﴾ جميعاً في حاله، فتعلموا.

﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ أي: جنون. قرأ رويس عن يعقوب: (ثُمَّ
تَفَكَّرُوا) بقاء واحدة مشددة حيث وصل، ومع الابتداء يظهر التاءين كبقية
القراء^(١).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قدامه^(٢)؛ لأنه ﷺ جاء في
الزمن من قبل العذاب الشديد الذي توعدوا به، وفائدة التقييد بالاثنين
والفرادى: أن الاثنين إذا التجأ إلى الله تعالى، وبحثاً طلباً للحق مع
الإنصاف، هدوا إليه، وكذلك الواحد إذا فكر في نفسه مجرداً عن الهوى؛
لأن كثرة الجمع مما يقل فيه الإنصاف غالباً، ويكثر فيها الخلاف.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٠)، و«معجم القراءات
القرآنية» (١٦٧/٥).

(٢) «قدامه» زيادة من «ت».

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﴾ أي: جُعِلَ على إنذاري وتبليغي الرسالة.

﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ لا أسألكم شيئاً، نحو: مالي في هذا، فهو لك؛ أي:

ليس لي فيه شيء.

﴿ إِنَّ أَجْرِي ﴾ ما ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مُطَّلَع. قرأ

ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١).

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ يلقيه على الباطل، فيزهقه، والمراد:

الوحي، وآيات القرآن، واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه ﴿ عَلَـمُ الْغُيُوبِ ﴾ رفع بخبر (إِنَّ)؛ أي: وهو علام الغيوب. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: (الْغُيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بضمها^(٢).

(١) نظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص:

٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٧/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٧/٥).

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [٤٩].

[٤٩] ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ الإسلام وما فيه من الأحكام.

﴿ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أي: ذهب فلم يبق منه بقية تبتدئ شيئاً أو

تعيد.

﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [٥٠].

[٥٠] ولما قال كفار مكة له ﷺ: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ (١) أي: إنهم ضلالي على نفسي.

﴿ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾ من القرآن، وهدايتي بفضله، فلا منة عليّ لغيره.

﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ لا يفوته شيء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّي) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها (٢).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٦١٢/٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٣١٣/١٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٥١/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٨/٥).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا ﴾ حين البعث، وجواب (ولَوْ) محذوف؛ أي:

لرأيت أمراً عظيماً.

﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ لهم من العذاب ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى

النار.

﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] ﴿ وَقَالُوا ﴾ عند معاينة العذاب: ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ أي: بمحمد ﷺ .

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ﴾ أي: ومن أين لهم ﴿ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ قرأ

أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (التَّنَاطُشُ) بالمد والهمز، معناه: الطلب؛ أي: وأنى لهم^(١) طلب مرادهم وقد بُعد؟ وقرأ الباقون: بضم الواو دون همز^(٢)، معناه: التناول؛ أي: كيف لهم تناول ما بُعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة؟

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿٥٣﴾ .

[٥٣] ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن، وبمحمد ﷺ ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ في

الدنيا.

(١) «لهم» زيادة من: «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٦١٣/٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٩/٥).

﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: وكانوا يتكلمون بالشيء الغائب، وهو قولهم في رسول الله ما ليس فيه ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من حيث لا يعلمون أنهم غير محققين صدق ما يقولون.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان حينئذ. قرأ ابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (وَحِيلَ) بإشمام الحاء الضم^(١) ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أي: بأشباههم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من كفرة الأمم الماضية. ﴿إِيَّاهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾ مُوقِعٌ لَهُمْ فِي الرِّيبَةِ وَالتَّهْمَةِ، وَهُوَ أَقْوَى مَا يَكُونُ مِنَ الشَّكِّ، وَأَشَدُّ إِطْلَاقًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٧٠).



وتسمى : سورة الملائكة، مكية، وآيها: خمس وأربعون آية،
 وحروفها: ثلاثة آلاف ومئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع
 وسبعون كلمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى
 وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] .

[١] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تقدم الكلام فيه أول سورة سبأ وقبلها ﴿ فَاطِرٍ ﴾ أي :
 خالق ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ والمراد: الانفراد بالابتداء؛ لخلقها على غير
 مثال سبق .

﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ وسائط بينه وبين أنبيائه في تبليغ رسالاته
 بالوحي .

﴿ أُولِي ﴾ أي : أصحاب ﴿ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ ﴾ لبعضهم جناحان،
 وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة، وروي أن لجبريل عليه السلام ست مئة
 جناح، منها اثنان تبلغ من المشرق إلى المغرب^(١) .

(١) روى البخاري (٣٠٦٠)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين =

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ من الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب عند الخبر بالملائكة أولي الأجنحة؛ أي: ليس هذا ببدع في قدرته؛ فإنه يزيد في خلقه ما يشاء، قال الجوهري: التواضع في الأشراف، والسخاء في الأغنياء، والتعفف في الفقراء.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الزيادة والنقصان. واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٣٣].

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحِ﴾ أي: ما يرسل ﴿اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ نعمة، ونُكِّرت؛ لتشيع في جميع النعم ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يستطيع أحد حبسها، وأنث الضمير؛ رداً إلى لفظ الرحمة ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد إمساكه تعالى له، وذكر الضمير؛ رداً إلى معناها؛ لأن الرحمة بمعنى الخير ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فيما أمسك. ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما أرسل.

= والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٧٤) كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، عن زر بن حبيش قال: حدثنا عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ست مئة جناح.

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٣).

[٣] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا ﴾ احفظوا ﴿ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بشكرها،
ولا تنسوها بكفرها، والخطاب لقريش، وهو متجه لكل كافر، ولا سيما
لعباد غير الله، و(نِعْمَت) رسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها
بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب.

﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف:
(غَيْرِ اللَّهِ) بخفض الراء نعتاً لـ: (خَالِقٍ) على اللفظ، وخبرُ الابتداء:
﴿ يَرْزُقُكُمْ ﴾ وقرأ الباقون: برفعها نعتاً لـ(خَالِقٍ) محلاً^(١)؛ لأن (خالق) مبتدأ
محذوف الخبر، و(مِنْ) زائدة، تقديره: هل خالق غير الله يرزقكم ﴿ مِنْ
السَّمَاءِ ﴾ المطر ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ النبات والاستفهام على طريق التثوير؛ أي:
لا خالق غير الله يرزقكم.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان؟!

﴿ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤).

[٤] ثم سأل نبيه ﷺ بما سلف من حال الرسل مع الأمم، فقال تعالى:

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٦١٦)، و«النشر في
القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية»
(٥/١٧٤).

﴿وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فتأسَّ بهم في الصبر على تكذيبهم .

﴿وَأِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وتنكير الرسل يؤذن بكثرة من كُذِّبَ منهم . قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(١) .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ .

[٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقًّا﴾ لا تُخْلَفَ فيه .

﴿فَلَا تَعْرَتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان بتزيينه، وقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعاً، اعملوا ما شئتم .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ قديماً ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاحذروه .

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يسوقهم إلى النار .

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للددياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٥/٥) .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [٧]

[٧] ثم بين حال موافقته ومخالفته، فقال: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ .

ونزل في أبي جهل ومشركي مكة، وقيل: في أصحاب الأهواء والبدع:
﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٨]

[٨] ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ ﴾ (١) أي: لبس عليه وموّه ﴿ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾
جميلاً؛ بوسوسة الشيطان. واختلاف القراء في قوله: (فَرَأَهُ) كاختلافهم في
قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٣٦]،
والاستحسان لغة: هو اعتقاد الشيء حسناً، وعرفاً: العدول بحكم المسألة
عن نظائرها لدليل شرعي، وقال به الحنفية، والإمام أحمد في مواضع،
وكتب أصحاب مالك مملوءة منه، ولم ينص عليه، وأنكره الشافعي.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ تلخيصه: أفمن ضل، كمن
هُدي؟!

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ والحسرة: شدة الحزن على ما فات
من الأمر؛ أي: لا تغتمّ بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا. قرأ أبو جعفر:

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦١٧)، و«تفسير القرطبي» (١٤/٣٢٥).

تُذْهِبُ) بضم التاء وكسر الهاء (نَفْسَكَ) بنصب السين، وقرأ الباقون: بفتح التاء والهاء ورفع السين^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(٩).

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (الرِّيحَ) بغير ألف على الأفراد، والباقون: بألف على الجمع^(٢).

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ هذه آية احتجاج على الكفرة في إنكارهم البعث من القبور، فدلهم تعالى على المثال الذي يعاينونه، وهذا سواء مع إحياء الموتى.

﴿فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ هو الذي لا نبت فيه قد اغبرَّ من القحط. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها^(٣) ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٧٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«الكشف» لمكي (١/٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٧٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٧٧).

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُهُ ﴾ .

[١٠] ولما تعزز الكفار بأصنامهم، نزل قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ المعنى : عزة الدارين مختصة بالله سبحانه وتعالى ، فلا تطلب إلا منه بتقواه ، ومن أراد التعزز ، فليتعزز بطاعته تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ هو : لا إله إلا الله ، ونحوها .

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ اختلف في الضمير في (يَرْفَعُهُ) على من يعود؟ فقيل : يرجع إلى الكلم ، فيكون المعنى : أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح ؛ بأن يتقبل منه بسببه ؛ لأن الطاعة إنما تقبل مع التوحيد ؛ لأن طاعة الكافر مردودة ، وقيل : يرجع إلى (العمل) ، فيكون المعنى : أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، فكأن التوحيد إنما قبل بسبب الطاعة ؛ لأن التوحيد مع المعصية لا ينفع ؛ لأنه يعاقب على المعصية ، وقال بعضهم : الفعل مسند إلى الله تعالى ؛ أي : والعمل الصالح يرفعه الله تعالى ؛ بأن يتقبله ، قال ابن عطية - رحمه الله - : وهذا أرجح الأقوال (١) .

﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ ﴾ أي : مكروا المكرات ﴿ السَّيِّئَاتِ ﴾ والمراد : مكر المشركين به ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة ، وتقدم ذكر القصة في الأنفال ، المعنى : المحتالون في هلاكك .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» (٤/٤٣١) .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بما يمكرون ﴿ وَمَكَرُ أَوْلِيَّكَ ﴾ الكفار ﴿ هُوَ يَوْمٌ ﴾ يكسد ويبطل .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ يعني ^(١) : آدم ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يعني : بالتناسل من مني ^(٢) الرجال ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أنواعاً، وقيل : ذكراً وإناثاً .

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ إلا معلومة له .

﴿ وَمَا يُعَمِّرُ ﴾ أي : ما يطول عمر ﴿ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴾ أي : طويل العمر، سمي بما يؤول إليه ﴿ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ أي : من عمر معمر آخر . قرأ يعقوب : (يُنْقِصُ) بفتح الياء وضم القاف ، والباقون : بضم الياء وفتح القاف ^(٣) . ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى تحصيل هذه الأعمار، وإحصاء دقائقها وساعاتها .

(١) «يعني» زيادة من «ت» .

(٢) «مني» زيادة من «ت» .

(٣) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٧٨/٥) .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٢].

[١٢] ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ ﴾

يعني: العذب والمالح، ثم ذكرهما.

فقال: ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ طيب يكسر العطش.

﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ لذيد سلس الدخول في الحلق.

﴿ وَهَذَا ﴾ أحدهما ﴿ مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة.

﴿ وَمِنْ كُلِّ ﴾ منهما ﴿ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ هو السمك، وصف

بالطراوة؛ لتسارع الفساد إليه، فيسارع إلى أكله طرياً.

﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ ﴾ من الملح خاصة.

﴿ حِلْيَةً ﴾ زينة ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان، فدل على أنهما من

الحلي، ولم يقل هنا: منه؛ لأنه معلوم، وقد ذكر في سورة النحل.

﴿ وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِرَ ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة

ومدبرة بريح واحدة.

﴿ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾ تعالى بالتجارة، وكل سفر له وجه شرعي.

﴿ وَالْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله على نعمه، استطراد في صفة البحرين

وما فيهما من النعم، والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد

لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء،

فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، وكذلك لا يتساوى

المؤمن والكافر، وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات؛ كالشجاعة والسخاوة؛ لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى، وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية، وهي التوحيد، دون الآخر.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ .

[١٣] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ معنى يولج: يُدْخِلُ، وهذه عبارة عن أن ما نقص من الليل زاد في النهار، فكأنه دخل فيه، وكذلك كل ما نقص من النهار يدخل في الليل .

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هي مدة دوره .
﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء .
﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ تعالى من الأصنام .
﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، وتقدم تفسير الفتيل والنقير في سورة النساء [الآية: ٥٣ و ٧١] .

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ .

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ لأنهم جماد .

﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ على سبيل الفرض والتمثيل ﴿ مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لعجزهم .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ ﴾ أي : بإشراككم لهم ، وعبادتكم إياهم ، ويتبرؤون منكم .

﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ ﴾ بأحوال الدارين ﴿ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ عالم به ، وهو الله تعالى .

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [١٥] .

[١٥] ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ بكل حال .

﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن جميع خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المحمود على صنعه .
واختلاف القراء في الهمزتين من (الْفُقَرَاءُ إِلَى) كاختلافهم فيهما من (نَشَأُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) في سورة الحج [الآية : ٥] .

﴿ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [١٦] .

[١٦] ﴿ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ ﴾ بإهلاككم

﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بديلكم .

﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [١٧] .

[١٧] ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ بمتعذر .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ۝ .

[١٨] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره، وأما قوله: ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأُنْفَالًا مَّعَ أُنْفُسِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فالمراد: الضالون والمضلون، وإضلال تابعيهم من جملة ذنوبهم، فلذلك حملوه. ﴿ وَإِن تَدْعُ ﴾ نفس ﴿ مُثْقَلَةٌ ﴾ بالذنوب ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ الذي عليها من الذنوب.

﴿ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ ﴾ من حملها ﴿ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ﴾ المدعو ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ذا قرابة؛ كأم وأب وأخ.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ إنما ينتفع بإنذارك ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ أي: يخافونه، ولم يروه، وخص الخاشعون بالإنذار؛ لأنهم هم المنتفعون به ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ خص من الأعمال إقامة الصلاة؛ تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ثم أوماً تعالى إلى غناه عن خلقه بقوله:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهر عن دنس المعاصي، وأصلح العمل.

﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ ﴾ فصلاحه مختص به.

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ۝ .

[١٩] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ المؤمن والكافر، وقيل: الجاهل

والعالم.

﴿ وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ ﴾ (٢٠).

[٢٠] ﴿ وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ ﴾ أي: الشرك والإيمان؛ أي: لا تساوي بينهما، وقوله: (وَلَا النُّورُ) دخول (لَا) فيها وفيما بعدها إنما هو على نية التكرار؛ كأنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني، ودل مذكور الكلام على متروكه.

﴿ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ ﴾ (٢١).

[٢١] ﴿ وَلَا الظِّلُّ ﴾ الجنة.

﴿ وَلَا الحُرُورُ ﴾ النار، وقال ابن عباس: الحرور: الريح الحارة ليلاً، والسموم نهاراً^(١).

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴾ (٢٢).

[٢٢] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ ﴾ المؤمنون ﴿ وَلَا الأَمْوَتُ ﴾ الكفار، وقيل: العلماء والجهال، كلها أمثال ضربت للمؤمن والكافر.

﴿ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ ﴾ الإنذار سماع هداية^(٢) ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إيمانه.

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ ﴾ يعني: الكفار، شبههم في عدم الانتفاع بالمقبور.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٢١).

(٢) «الإنذار سماع هداية» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار، ونسخ معناها

بآية السيف .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

[٢٤] ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ محققين^(١) ﴿ بَشِيرًا ﴾ بالوعد ﴿ وَنَذِيرًا ﴾

بالوعيد .

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم الماضية ﴿ إِلَّا خَلَا ﴾ مضى ﴿ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ نبي

يُنذر من عذاب الله، واكتفى بنذير هنا عن ذكر بشير؛ لدلالته عليه؛ لأن النذارة قرينة البشارة، وهما مذكوران قبل، وأما فترة عيسى، فلم يزل فيها من هو على دينه، وداع إلى الإيمان .

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

[٢٥] ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ وقد .

﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات .

﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ كصحف إبراهيم ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ الواضح، وهو

التوراة والإنجيل، والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد، لكنه أكد

(١) في «ت»: «محققين» .

أوصافه بعضها ببعض، وذكره بجهاته، والزبور من زبرت الكتاب: إذا كتبه.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ثم توعد قريشاً بذكر الأمم الكافرة فقال: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري بالعقوبة، وتقدم اختلاف القراء في (نكير) في آخر سبأ [الآية: ٤٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ المراد: رؤية القلب ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ ورجع من خطاب بذكر الغائب إلى المتكلم بنون العظمة؛ لأنه أهيب في العبارة.

فقال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ بالماء ﴿ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ كالخضرة والصفرة والحمرة والبياض والسواد، وغير ذلك، وقيل: المراد: أجناسها وأصنافها، قدم النعت على الاسم، فلذلك نصب.

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴾؛ أي: طرق تكون في الجبال ﴿ بَيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ واحدها جُدَّة.

﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ بالشدة والضعف.

﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٍ﴾ أي: وطرق سود كالغرابيب؛ تشبيهاً بالغرَاب، يقال: أسود غَرَبِيْب؛ أي: شديد السواد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ﴾ أي: باختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام هاهنا، ثم ابتداءً.

فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال ابن عباس: «يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني»^(١)، وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن بأنه لا يخشى الله تعالى إلا العلماء، ولو عكس، لكان المعنى: أن العلماء لا يخشون الله^(٢) نحو ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْعُلَمَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٣) [فاطر: ١٥].

(١) «وسلطاني» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «لا يخشون أحداً إلا الله».

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٣/٦٢٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ ﴿٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يداومون على قراءة القرآن، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ بجميع شروطها .

﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ في الصدقات ووجوه البر، فالسر من ذلك هو التطوع، والعلانية هو المفروض، وخبر (إِنَّ): ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: تكسد ويتعذر ربحها .

﴿ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿ لِيُوفِّيَهُمْ ﴾ بالإنفاق ﴿ أُجُورَهُمْ ﴾ أي: ثواب التلاوة وإقامة الصلاة وإنفاقهم .

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ سوى الثواب ما لم ترعين، ولم تسمع أذن .
﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾ لهم ذنوبهم ﴿ شَكُورٌ ﴾ مثيب لأعمالهم .

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٣١﴾ .

[٣١] ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني: القرآن، و(من) للتبيين .
﴿ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ حال مؤكدة .
﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما تقدمه من الكتب المنزلة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ عالم بالبوطن والظواهر .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنْدَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

[٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ الْكِنْدَ ﴾ القرآن، و(ثُمَّ) للترتيب، تقديره: والذي أوحينا إليك، ثم أورثناه ﴿ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هم أمتك يا محمد، ثم قسمهم .

فقال: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ هو الذي رجحت سيئاته ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ هو الذي ساوت حسناته سيئاته ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ ﴾ إلى الجنة ﴿ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ بالأعمال الصالحة، وهو الذي رجحت حسناته ﴿ إِذِنَ اللَّهُ ﴾ بتوقيفه، والأصناف الثلاثة في الجنة، قال ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفورٌ له»^(١).

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤٤٣/٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١١١/٨)، والبعثوني في «تفسيره» (٦٢٤/٣)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه الكردي، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر، به. قال العقيلي: الفضل بن عميرة لا يتابع على حديثه، ويروى من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا. قلت: وهو ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٥١/٢-١٥٢) من طريق فرج ابن فضالة، عن الأزهري بن عبد الله الحرازي، عن عمر، به. وبإسناده ليس بالقوي، كما ذكر البيهقي في «البعث والنشور». وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزبيعي (١٥٢/٣-١٥٣). قال الزمخشري في «الكشاف» (٦٢٢/٣) =

﴿ ذَلِكْ ﴾ أي: إيراثهم الجنة ﴿ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.

﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٣٣).

[٣٣] ومما يدل على دخولهم جميعهم الجنة قوله تعالى: ﴿ جَنَّتُ
عَدْنٍ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ قرأ أبو عمرو: بضم الياء وفتح الخاء
مجھولاً، فالواو قام مقام الفاعل، والباقون: بنصب الياء وضم الخاء
معلوماً^(١)، فالواو الفاعل.

﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ نساءً ورجالاً ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ جمع
أسورة، و(مِنْ) تبعيض ﴿ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ روي أن ذلك الذهب في صفاء
اللؤلؤ^(٢)، هذه حليتهم.

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: (وَلُؤْلُؤًا)
بالنصب على معنى: ويحلون لؤلؤاً، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن
الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم يترك الأولى فقط، وقرأ

= عند إيراده لهذا الحديث: فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً،
وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله، ولا يغترا بما رواه عمر
رضي الله عنه، فإن شرط ذلك صحة التوبة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)،

و«تفسير البغوي» (٣/٦٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٨٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/٦٢٣).

الباقون: بالخفض عطفاً على (أَسَاوِرَ)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى^(١)،
وتقدم في سورة الحج اختلاف الأئمة في حكم الحرير والجلوس عليه عند
تفسير نظير هذه الآية.

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴾^(٣٤).

[٣٤] ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: ويقولون إذا دخلوا الجنة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ أي: أزال عنا كل شيء يوجب
الحزن.

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ ﴾ للمذنبين ﴿ شَكُورٌ ﴾ مثيب للمطيعين.

﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ ﴾^(٣٥).

[٣٥] ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ ﴾ بمعنى: الإقامة.

﴿ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ تعب.

﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ إعياء ومشقة، فاللغوب: نصب وزيادة؛ لأنه

نتيجة النصب.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤-٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص:
١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٢٦)، و«معجم
القراءات القرآنية» (٥/١٨٥-١٨٦).

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ ﴾ لا يحكم ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾

بالموت .

﴿ فَيَمُوتُوا ﴾ نصب جواب النفي .

﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الجزاء .

﴿ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ مبالغ في الكفر والكفران . قرأ أبو عمرو : (يُجْزَى) بالياء وضمها وفتح الزاي مجهولاً ، ورفع (كُلُّ) مفعول المجهول ، وقرأ الباكون : بالنون وفتحها وكسر الزاي ، ونصب (كُلُّ) مفعولاً صريحاً^(١) ، المعنى : الكفار معذبون أبداً .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

[٣٧] ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ﴾ أي : يستغيثون في جهنم بشدة وعويل ،

يقولون :

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا ﴾ منها ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ لأنهم كانوا

يعتقدون صلاح عملهم في الدنيا ، فأجيبوا توبيخاً :

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٣٥) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٢) ،

و«تفسير البغوي» (٣/٦٢٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٨٧) .

﴿أَوْلَم نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾ المعنى: ألم نطل أعماركم وقتاً يتذكر فيه التوبة من تذكركم، وتعطف على معنى (١) ﴿أَوْلَم نَعْمِرْكُمْ﴾ ما بعد؛ لأن لفظه استخبار، ومعناه إخبار، تقديره: عمرناكم.

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ محمد ﷺ، وقيل: القرآن، وقيل: الشيب، ويجوز أن يراد: كل ما يؤذن بالانتقال.

﴿فَذُوقُوا مَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿إِنك أَللهُ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿إِنك أَللهُ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والغيب: ما غاب عن البشر؛ أي: لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: ما فيها من المعتقدات، تعليل لهم؛ لأنه إذا علم مضمرة الصدور، وهي أخفى ما يكون، علم كل غيب، و(ذات) تأنيث (ذو).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليف؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً.

(١) «معنى» ساقطة من «ت».

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وبال كفره.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ بغضاً^(١) واحتقاراً.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: خسروا آخرتهم ومعادهم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنِ
يَعِدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٠).

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا﴾ أي شيء .

﴿خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: شركة مع الله تعالى .

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: في خلقها، المعنى: أخبروني عن هؤلاء الشركاء بزعمكم، أستبدوا بخلق شيء، أم شاركوه تعالى في شيء من خلقه .

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ﴾ هل أعطينا كفار مكة أو الأصنام .

﴿كِتَابًا﴾ ينطق بأنهم شركاؤه .

﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . قرأ ابن

كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (بَيِّنَةٌ) بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (بَيِّنَاتٍ) بالألف على الجمع^(٢)؛

(١) «بغضاً» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٨٨/٥) .

لكثرة ما جاء به ﷺ، ورسما بالتاء، تلخيصه: هل لمعبوديكم ما يستحقون أن يعبدوا بسببه؟

﴿بَلْ إِنْ يَعْذُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾ الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ الأتباع.

﴿الْأَغْرُورًا﴾ باطلاً، وهو ما يغر الإنسان.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١).

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ﴾ يَضْبِطُ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ﴾ أي: كي لا ﴿تَزُولَا﴾ رُوي أنه لما قالت النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزيز ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا وتعدما، فأمسكهما الله تعالى^(١). ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد إمساكه. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث أمسكهما عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤٢).

[٤٢] ولما بلغ قريشاً أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، حلفوا إن جاءهم

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٣٥٧/١٤) عن الكلبي، وقال: وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٩) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ [مریم: ٨٩-٩٠].

رسول، اتبعوه، فنزل: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة.

﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ منصوب على المصدر؛ أي: بغاية اجتهادهم.

﴿لَيْنٌ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: من اليهود والنصارى؛ لأن كل واحدة منهما أمم، وليس المراد: إحدى الأمتين دون الأخرى، بل هما جميعاً؛ لأن (إحدى) شائعة فيهما تصلح لكل واحدة منهما، ولم يقل: الأمتين، [ولا الأمم بلا إحدى؛ ليعم جميع أفراد الأمتين]^(١)؛ لأن (إحدى) تأنيث (أحد)؛ كأنه قال: ليكونن أهدى من كل واحدة من الأمم، ولو حذف إحدى، لجاز أن يراد: بعض الأمم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيء النذير من الإيمان.

﴿الْإِنْفُورًا﴾ أي: تباعداً عن الهدى.

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل من (نُفُورًا)، ثم تعطف على (نُفُورًا)،
أو (استكباراً) ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ العمل القبيح، وأضيف المكر إلى السييء
وهو صفته كما قيل: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وجانب الغربي. قرأ
حمزة: (السَّيِّءُ) بإسكان الهمزة في الوصل؛ لتوالي الحركات تخفيفاً، كما

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

أسكنها أبو عمرو في (بَارِئُكُمْ) لذلك، قال الكواشي: وزعم بعضهم لجهله بكلام العرب أنه لحن، وهو اللاحن، ونصر العلامة ابن الجزري في «النشر» صحتها، **وقرأ الباقون**: بكسرهما، وإذا وقف حمزة، أبدلها ياء خالصة، وكذلك هشام إذا خفف من طريق الحلواني، إلا أنه يزيد على حمزة بالروم بين بين^(١).

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط^(٢) ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: وبأل الشرك مختص بمن أشرك. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّيِّءُ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من (نشأء إلى) في سورة الحج.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون هؤلاء إلا نزول العقاب بهم كما نزل بمن تقدمهم.

﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ﴾ في نزول العذاب بالكفار.

﴿تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ للعذاب إلى غير مستحقه، ورسمت (لِسُنَّتِ) في الموضعين بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب^(٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢-١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٨٩-١٩٠).

(٢) «يحيط» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٩١).

﴿ أَوْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿ أَوْلَمَ يَسِيرُوا ﴾ أي : المشركون

﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى متاجرهم .

﴿ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ ﴾ هلكوا .

﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لما كذبوا الرسل .

﴿ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فأهلكوا مع ذلك .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ﴾

بالأشياء كلها ﴿ قَدِيرًا ﴾ عليها .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِّن

دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ

بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي : لو جازى على

الذنوب في الدنيا ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا ﴾ أي : على ظهر الأرض ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾

يعني : لأهلك الجميع ، وقوله : ﴿ مِن دَابَّةٍ ﴾ مبالغة ، والمراد : بنو آدم ؛

لأنهم المجازون .

﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقت معلوم ، وهو القيامة .

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَيَّ اللَّهِ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ تواعد، وفيه للمتقين
وعد. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجْلُهُمْ) كاختلافهم فيهما من
(وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥]، والله أعلم.

* * *





عليه السلام

مكية، وآيها: ثلاث وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وعشرون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع وعشرون كلمة.

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً، وإن قلب القرآن يس»^(١)، وروي: «من قرأ يس، كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس﴾.

[١] ﴿يس﴾ أمال الياء: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب، وفتحها الباقون، وأبو جعفر يقطع الحروف

- (١) رواه الترمذي (٢٨٨٧)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل يس، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفيه هارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق، ولا يصح من قبل إسناده وإسناده ضعيف، وفي الباب عن أبي هريرة.
- (٢) هو قطعة من حديث أنس السابق.

على أصله، وأدغم نون السين في الواو بغنة: الكسائي، ويعقوب، وخلف، وهشام راوي ابن عامر، واختلف عن نافع، وعاصم، والبخاري راوي ابن كثير^(١) وابن ذكوان راوي ابن عامر، **وقرأ** الباقون: بالإظهار وجهاً واحداً، وهم أبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر، وقبل راوي ابن كثير، والخلاف في معنى (يس) كما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور، وتختص هذه بأقوال، منها: أن سعيد بن جبيرة قال: «إنه من أسماء محمد ﷺ»^(٢) دليلاً: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وعن ابن عباس: «معناه: يا إنسان! بلغة طيء»، وقال أبو بكر الوراق: معناه: يا سيد البشر.

﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ أي: المحكم. **قرأ** ابن كثير: (وَالْقُرْآنَ) بالنقل، والباقون: بالهمز^(٣).

-
- (١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٨١٧ و٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٩٥-١٩٦).
- (٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٣١)، و«تفسير القرطبي» (٤/١٥).
- (٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٩٦).

﴿ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣)

[٣] ﴿ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ المعنى : أنه تعالى أقسم بالقرآن أن محمداً من المرسلين، وهو رد على الكفار حيث قالوا: ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤)

[٤] ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي : طريق هدى، ومهيع : رشاد لا اعوجاج فيه، ولا عدول عن الحق، ولم يقسم الله - تبارك وتعالى - لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ، وهو خبر بعد خبر إنه من المرسلين، وإنه على صراط مستقيم. قرأ قبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب: (السُّرَاط) بالسين، وأشم الصاد الزاي: حمزة، والباقون: بالصاد^(١)، وكلها لغات صحيحة.

﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٥)

[٥] ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَنْزِيل) بنصب اللام بإضمار أعني، أو فعله؛ أي: نزله تنزيل، وقرأ الباقر: بالرفع^(٢)؛ أي: هو تنزيل.

(١) سلف عند تفسير الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٧).

﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٦).

[٦] ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ﴾ نفى؛ أي: لم تنذر ﴿ءَابَاؤُهُمْ﴾ لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧).

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب العذاب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي: أهل مكة بالكفر.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمه تعالى من عدم إيمانهم.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴾ (٨).

[٨] ولما حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي ﷺ بحجر إن رآه يصلي، فرآه ساجداً، فأراد أن يلقي عليه حجراً، فلزق في يده، وتشبثت يده في عنقه، نزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا ﴾ (١) أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد.

﴿فَبِهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن، وهو مجتمع اللحين؛ أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٥/٢٠) عن عكرمة. وانظر: «تفسير البغوي» (٦٣٢/٣).

﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعو رؤوسهم مع غض الأبصار لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غلّت يده إلى ذقنه، ارتفع رأسه.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] فلما عاد أبو جهل إلى أصحابه، وأخبرهم بما رأى، وسقط الحجر من يده بعد أن فكوه عنها بجهد، قال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فرجع إلى أصحابه فلم يره حتى نادوه، وأخبرهم بالحال فنزل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سدًّا) بفتح السين فيهما، وقرأ الباقون: بالضم^(١)، وهما لغتان، والسدُّ: ما سدَّ وحال.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أعميناهم؛ من التغطية.

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ طريق الهدى، أو محمداً ﷺ حيث أرادوه بالسوء.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مستوٍ عندهم.

﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أعلمتهم محذراً.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٩٨/٥).

﴿أَمْ لَمْ نُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، وضمنها تسليية له عنهم؛ أي: إنهم قد ختم عليهم بالكفر، فسواء إنذارك وتركه، والألف في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) ألف التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهم والمستفهم مستويان في علم ذلك. **قرأ** أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، **وقرأ** الباقر، وهم الكوفيون، وابن ذكوان راوي ابن عامر، وروح راوي يعقوب: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها.

﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١).

[١١] ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارك ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن، وعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: بالخلوات عند^(١) مغيب الإنسان من عيون البشر.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ وحد الضمير مراعاة للفظ.

﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

(١) في «ت»: «عن».

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٢].

[١٢] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ ﴾ عند البعث ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ أسلفوا من الأعمال من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿ وَءَاثَرَهُمْ ﴾ ما سننوا من حسنة وسيئة.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ حفظناه وبيناه.

﴿ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً يُعْمَلُ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرٍ مِنْ عَمَلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً يُعْمَلُ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مِنْ عَمَلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً»^(١).

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ أي: مثل للمشركين مثلاً من قصة أصحاب القرية، وهي أنطاكية.

﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ رسل عيسى عليه السلام.

(١) رواه مسلم (١٠١٧) كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٢٢٧/١٦):
وسواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقاً إليه.

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ (١٤).

[١٤] ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ أي: أرسل عيسى بأمرنا ﴿ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴾ هما يوحنا ويونس؛ ليدعواهم إلى الإسلام، فقربا منها، فأيا شيخاً، وهو حبيب النجار، فأخبراه خبرهما، فقال: هل من آية؟ قالا: نبريء الأكمه والأبرص والمريض، فأبرأ خلقاً كثيراً، فدعاهما الملك، واسمه أنطيوخس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، فقال: لم جئتما؟ قالا: ندعوك إلى عبادة الرحمن، فقال: أَلْنَا رَبُّ سِوَى آلِهَتِنَا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك، فقال: قوما حتى أنظر في أمركما، فذهبا عنه.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ وضربوهما وحبسوهما.

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: بتخفيف الزاي؛ من عزه: غلبه، فالمفعول محذوف؛ أي: غلبنا أهل المدينة ﴿ بِثَالِثٍ ﴾ وقرأ الباقون: بتشديدها^(١)؛ من القوة، والمفعول محذوف أيضاً؛ أي: قوينا المرسلين برسول ثالث، وهو شمعون الصفا رأس الحواريين؛ لأن عيسى بعثه بعد الرسولين تقويةً لهما، فتوصل إلى أن أنس به الملك، فقال له يوماً: سمعتُ إنك حبست رجلين، فهل سمعت ما يقولان؟ قال: لا، فأحضرهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله، قال: صفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فدعا بسلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة، فدعوا الله، فانشق له بصره، فقال شمعون للملك: ادع إلهك

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٩٩).

حتى يصنع كذلك، فيكون لك وله الشرف، فقال له: ليس لي دونك سر، إن إلهي لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر، ثم قال لهما شمعون: إن قدر إلهكما على إحياء ميت، آمنا به، فجيء بميت من سبعة أيام، فدعوا علانية، وشمعون سراً، فحيي الغلام فقال: دخلت في سبعة أودية من نار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء، فرأيت شاباً يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال: شمعون، وهذان، فأمن الملك وبعض أصحابه بعد أن أخبره شمعون بالحال، وكفر آخرون.

﴿فَقَالُوا﴾ أي: رسل عيسى.

﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ﴾ أي: أهل أنطاكية ﴿مُرْسَلُونَ﴾ (١).

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (١٥).

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا مزية لكم علينا.

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وحي ورسالة.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ في دعواكم.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦).

[١٦] ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جرى

مجرى القسم في التوكيد، وكذلك: شهد الله، وعلم الله، ولم يأت باللام

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/١٤).

في (مرسلين) الأول، وأتى بها في الثاني؛ لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب إنكار.

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿١٧﴾ .

[١٧] ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ التبليغ الظاهر الأدلة الواضحة؛ لأنه لو ادعى إنسان شيئاً، وقال: والله إني لصادق بلا بينة، استُقبِح ذلك، ولم يُسمع قوله.

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ .

[١٨] فثم ﴿ قَالُوا ﴾ للرسول: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا ﴾ تشاءمنا ﴿ بِكُمْ ﴾ وذلك أن المطر حُبِس عنهم، ثم قالوا للرسول: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا ﴾ عن مقاتلكم ﴿ لَنَرْجِمَنَّكُمْ ﴾ لنقتلنكم بالحجارة. ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَّعَكُمْ أَيِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

[١٩] ﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ ﴾ شؤمكم ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ بكفركم، ثم أدخل همزة الاستفهام على الشرط توبيخاً لهم، فقال:

﴿ أَيِن ذُكِّرْتُمْ ﴾ وُعظتم، وجواب الشرط محذوف؛ أي: أئن ذُكرتم تطيرتم بنا وكفرتم؟! قرأ أبو جعفر: (أَنَّ) بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها بين

بين، ويفصل بين الهمزتين بألف، وقرأ (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، وقرأ
الباقون: بكسرهما، وهم في التسهيل والتحقيق والفصل وعدمه على
أصولهم كما تقدم في (أَنَّ لَنَا لِأَجْرًا) في سورة الشعراء [الآية: ٤١]،
وَقَرُّوا (ذُكِرْتُمْ): بتشديد الكاف^(١).

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ مشركون مجاوزون الحدّ.

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ وهو حبيب النجار، وكان قد آمن
بالرسل، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة.
﴿ يَسْعَى ﴾ يشتد عدواً؛ ليعلم الرسل بذلك.
ثم ﴿ قَالَ ﴾ لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾.

[٢١] ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ على تبليغ الرسالة.
﴿ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ إلى خير الدارين.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٣٦٩-٣٧٠ و٢/٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٠-٢٠٢).

﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ .

[٢٢] فقالوا: أنت على دينهم، وكان يكتم إيمانه، فقال عاتباً على نفسه؛ تنبيهاً لهم، وإثباتاً للحجة عليهم: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بعد الموت فيجازيكم. قرأ حمزة، ويعقوب، وخلف: (وَمَا لِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها^(١)، أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة أثر النعمة، وكان عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر، وكان بهم أليق. وقرأ يعقوب: (تَرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم.

﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ ﴿٢٣﴾ .

[٢٣] ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا أتخذ من دونه آلهة. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَتَّخِذُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْذَرْتَهُمْ).

﴿ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ ﴾ بسوء ﴿ لَا تُغْنِي ﴾ لا تدفع ﴿ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ ﴾ أي: شفاعاة الأصنام ﴿ شَيْئًا ﴾ أي: لا شفاعاة لها فتغني ﴿ وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ من مكروه ما. قرأ أبو جعفر: (يُرِدْنِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٢/٥).

وصلاً، وافقه يعقوب وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(١)، **وقراً** ورش: (يُنْقَدُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين^(٢).

﴿ **إِنِّي إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [٢٤].

[٢٤] ﴿ **إِنِّي إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ إن عبدت غيره.

﴿ **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ** ﴾ [٢٥].

[٢٥] ثم أظهر إيمانه بقوله: ﴿ **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ** ﴾ أي: أطيعون. **قرأ** الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي إِذَا) (إِنِّي آمَنْتُ) بإسكان الياء فيهما، وافقهما ابن كثير في الأول، **وقراً** يعقوب: (فَاسْمِعُونِي) بإثبات الياء^(٣).

﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَّتْ قَوْمِي يَعْلمُونَ** ﴾ [٢٦].

[٢٦] فلما قال ذلك، وثب إليه القوم وثبة رجل واحد، فقتلوه، فمات

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٦-٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٣).

(٣) المصادر السابقة.

وهو يقول^(١): اللَّهُمَّ اهدِ قومي، وقبره بأنطاكية، فلما قتله قومه ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿أَدْخِلِ الْجَنَّةَ﴾ فلما أفضى إلى الجنة ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بالذي غفر لي من الذنوب.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ليؤمنوا، أراد بذلك الإشفاق والنصح لهم؛ أي: لو علموا ذلك، لآمنوا بالله تعالى، وفي ذلك قال النبي ﷺ: «نصح قومه حياً وميتاً»^(٢)، وقال قتادة: نفعهم على حالة الغضب والرضا، وكذلك المؤمن لا يكون إلا ناصحاً للناس.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ﴿٢٨﴾.

[٢٨] فلما قُتل حبيب، غضب الله له، وعجل لهم النقمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة، فهلكوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي: قوم حبيب ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد إهلاكهم ﴿مِنَ

(١) يقول» ساقطة من «ت».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠ / ١٥) عن ابن عباس، ورواه ابن مردويه كما قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» من حديث المغيرة بن شعبة، في قصة عروة بن مسعود.

جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴿٢٩﴾ [أي: إن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جند من السماء]^(١).

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة بعد إهلاك هؤلاء لتعذيب أحد، و(ما) في هذين الحرفين نافية.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾^(٢٩).

[٢٩] ثم بين عقوبتهم فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ رُوي أن جبريل أخذ بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ ميتون، شبهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطفئت. قرأ أبو جعفر: (صَيْحَةً وَاحِدَةً) بالرفع فيهما على أن (كان) تامة، و(صيحة) فاعل؛ أي: ما وقعت إلا صيحة واحدة، وقرأ الباقون: بالنصب على أن (كان) ناقصة^(٢)؛ أي: ما كانت هي؛ أي: الأخذة، إلا صيحة واحدة.

﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣٠).

[٣٠] ﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾ والحسرة: أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيراً، ونصب (حسرة) منادى، ومعنى النداء: احضري، فهذا

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٤).

موضع حضورك، المعنى: يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسول الله، وعدم إيمانهم بهم، ثم بين سبب الحسرة والندامة.

فقال: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ تمثيل لفعل قریش .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ أهل مكة رؤية البصر ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ وهم أهل كل عصر، سُموا بذلك؛ لاقترانهم بالوجود، و(كَمْ) هنا خبرية ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: الماضين ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى المكين ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: من مات لا يعود إلى الدنيا، أفلا يعتبرون؟! لا

﴿ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [٣٢].

[٣٢] ﴿ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ . قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لَمَّا) بالتشديد، جعلوا (إِنْ) بمعنى الجحد، و(لَمَّا) بمعنى إلا، تقديره: وما كلُّ إلا جميع، وقرأ الباقون: بالتخفيف^(١)، جعلوا (إِنْ) للتحقيق، و(ما) صلة، مجازه: وكلُّ لجميع لدينا، المعنى: كل الخلائق يجتمعون لدينا في الموقف للحساب .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٦/٥).

﴿وَأَيُّهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣).

[٣٣] ﴿وَأَيُّهُ لَهُمُ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ اليايسة. قرأ نافع،
وأبو جعفر: (الْمَيْتَةُ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء.
﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنس الحب؛ كالحنطة والشعير وما أشبههما.
﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وخص الحب بالذكر؛ لأنه أكثر المطلوب.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مَنَّ
الْعَيْونِ﴾ (٣٤).

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾
أي: في الأرض ﴿مِنَ الْعَيْونِ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي،
وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (الْعَيْونِ) بكسر العين،
والباقون: بضمها^(١).

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥).

[٣٥] ثم علل تفجير العيون فقال: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ قرأ حمزة،
والكسائي، وخلف: (ثُمَّرِهِ) بضم الثاء والميم؛ أي: الأموال الكثيرة

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٤-٣٦٥)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٢٠٦/٥).

المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، وقرأ الباقون: بفتحها^(١)؛ أي: ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء مما يخرج منه الشجر^(٢).

﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (عَمَلَتْ) بغير هاء ضمير، حذف من صلة الاسم، وهي مرادة، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وقرأ الباقون: بالهاء، ووصلها ابن كثير على أصله، وهي في مصاحفهم كذلك^(٣)؛ أي: يأكلون من الذي عملته أيديهم من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نَعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ؟

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٦] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من دواب البر والبحر.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/٤٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٧).

(٢) في «ت»: «الثمر».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٧).

﴿وَأَيَّاهُمْ لَيْلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧).

[٣٧] ﴿وَأَيَّاهُمْ﴾ تدلُّ على قدرتنا ﴿الَّيْلُ نَسَلَخَ﴾ نُزِيلُ ضَوْءَهُ، وَنُخْرِجُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴿فَنَجِيءُ بِالظُّلْمَةِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ هِيَ الظُّلْمَةُ، وَالنَّهَارُ دَاخِلٌ عَلَيْهَا، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، سَلَخَ النَّهَارَ مِنَ اللَّيْلِ.

﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ دَاخِلُونَ فِي الظُّلَامِ.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨).

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أَي: مَوْضِعٍ تَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَهُوَ مَغْرِبُهَا لَا تَجَاوِزُهُ، وَمُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، وَرَدَّ بِهِ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(١). قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِخِلَافِ عَنْهُ: (لِمُسْتَقَرٍّ) بِكَسْرِ الْقَافِ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: بِالْفَتْحِ^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾ السَّيْرُ ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الْمَحِيطِ عِلْمُهُ بِكُلِّ مَعْلُومٍ.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩).

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرَ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَرُوحٌ عَنِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٥) كِتَابُ: التَّفْسِيرِ، بَابُ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، وَمُسْلِمٌ (١٥٩)، كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ: بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾؟ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ».

(٢) انظُرْ: «الْمَحْتَسَبُ» لِابْنِ جَنِيِّ (٢/٢١٢)، وَ«مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» (٢٠٨/٥).

يعقوب: برفع الرء على الابتداء، والباقون: بنصبها^(١) بفعل يفسره ﴿قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ حال؛ أي: قدرنا القمر ذا منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، وهي السرطان إلى الرشاء، وهو بطن الحوت، وهي مقسومة على اثني عشر برجاً، وهي الحمل إلى الحوت، فينزل القمر كل ليلة منزلاً من منازلها، ويسير سيراً غير متفاوت، ويستسر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وليلة إن كان تسعاً وعشرين، فإذا قطع منازلها، دَقَّ في رأي العين وتقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾ كعذق النخلة ﴿الْفَكْدِيِّ﴾ لأن العذق إذا عتق، دَقَّ وتقوس واصفرَّ، فشبّه القمر به، وتقدم في سورة يونس ذكرُ منازل القمر، والكلام عليه باتِّمَّ من هذا.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ أي: لا يصح لها ولا يستقيم..

﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أن تجتمع معه فتطمس نوره؛ لأن فلکها غيرُ فلکها، ولأنها تقطع فلکها كل سنة مرة، والقمر كل شهر مرة.

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وإن كان سير القمر أسرع من سيرها، فهما يتعاقبان بحساب معلوم، لا يجيء أحدهما قبل وقته، ولا يجتمعان حتى يبطل الله سبحانه هذا التأليف، ويطلع الشمس من مغربها، ويجمع بين

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٨).

الشمس والقمر، وهو من أشراف الساعة .

﴿وَكُلُّ﴾ تنوين عوض من المضاف إليه؛ أي: كل واحد من النيرين والنجوم .

﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لأن كل واحد يجري في فلكه .

﴿وَعَايَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١) .

[٤١] ﴿وَعَايَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: ذرية قوم نوح، والمراد بالذرية: الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالألف على الجمع مع كسر التاء؛ لكثرة من حمل معه في السفينة، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء إرادة الجنس^(١).

﴿فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء، والمراد: سفينة نوح عليه السلام، وهؤلاء من نسل من حمل معه، وكانوا في أصلابهم .

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) .

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ للذرية ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: في الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل، وهي سفن البر .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٠٩).

﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴾ [٤٣].

[٤٣] ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ مع إيجاد السفن .

﴿ فَلَا صَرِيحَ ﴾ لا مُغِيثَ ﴿ لَهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الغرق .

﴿ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴾ يخلصون من الغرق .

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٤٤].

[٤٤] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ﴾ نصب على الاستثناء؛ كأنه قال: إلا أن نرحمهم،

وقيل: نصب على المفعول من أجله؛ كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إياهم .

﴿ وَمَتَاعًا ﴾ عطف على (رحمة) وقوله: ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يريد: إلى آجالهم

المضروبة لهم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٤٥].

[٤٥] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ من أمر الآخرة، فاعملوا لها .

﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ من الدنيا، فلا تغتروا بها ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

لتكونوا راجين رحمة الله، وجواب (إذا) محذوف، تقديره: إذا قيل لهم،

أعرضوا، يدل عليه (مُعْرَضِينَ) بعد.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [٤٦].

[٤٦] ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ والآيات: العلامات

والدلائل .

﴿ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ لأنهم اعتادوا الإعراض ، وتمرنوا عليه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ ۖ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي : لكفار مكة :

﴿ أَنْفِقُوا ﴾ على المساكين .

﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ من الأموال .

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ ﴾ أنرُزُق ﴿ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ ﴾ ثم لم يرزقه مع قدرته عليه ، فنحن نوافق مشيئة الله ، فلا نطعم من لم يطعمه الله ، وهذا مما يتمسك به البخلاء ، ويقولون : لا نعطي من حرمه الله ، وذلك أنهم كانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الأشياء بمشيئة الله ، فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين ، لا اعتقاداً ، يوضح ذلك قولهم للمؤمنين : ﴿ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ لقولكم لنا : أنفقوا من مالكم .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ يوم البعث ﴿ ۖ إِن كُنْتُمْ ﴾ خطاب للنبي ﷺ

وأصحابه ﴿ صَادِقِينَ ﴾ فيما تقولون .

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (٤٩).

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ ﴾ ما ينتظرون.

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني: النفخة الأولى. اتفق القراء على نصب (صَيْحَةً وَاحِدَةً)؛ إذ هو مفعول (يَنْظُرُونَ).

﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ قرأ حمزة: (يَخِصِّمُونَ) بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، كيضربون؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً، وقرأ حفص عن عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: بكسر الخاء وتشديد الصاد^(١)، أصله يَخِصِّمُونَ، أدغمت التاء في الصاد، فاجتمع ساكنان، فكسرت الخاء لهما، وقرأ أبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الياء إتباعاً للخاء، وقرأ أبو جعفر: بسكون الخاء وتشديد الصاد، فيجمع بين ساكنين، وقرأ ابن كثير، وورش عن نافع، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة، أصله: يَخِصِّمُونَ أيضاً، نقلت حركة التاء إلى الخاء، ثم أدغمت التاء في الصاد؛ لقربها منه، وقرأ أبو عمرو، وقالون عن نافع: باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، أصله: يَخِصِّمُونَ، حذفت فتحة التاء، فاجتمع ساكنان، فحركت الخاء حركة مختلصة؛ لتدل على أن أصل الخاء السكون، ثم أدغمت التاء في الصاد، المعنى: يُصاح بهم في النفخة الأولى وهم مشغولون يتبايعون ويتجادلون، فتأخذهم الصيحة وهم غادون.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٠-٢١١).

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ .

[٥٠] ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ وصية ﴿ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ينقلبون؛ أي: عجلوا عن الوصية وعن الرجوع إلى أهلهم^(١) .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ .

[٥١] ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ هو قرن، وهي النفخة الأخيرة، وبينهما أربعون سنة، وتقدم ذكر النفخات الثلاث في سورة النمل .

﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ يسرعون، وبين النفختين لا يعذبون .

﴿ قَالُوا يَا بُولِئَانَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۗ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

[٥٢] فإذا رأوا ما ثم ﴿ قَالُوا ﴾ تحسراً على رقتهم^(٢) بين الرقتين : ﴿ يَا بُولِئَانَا مَنْ بَعَثَنَا ﴾ أيقظنا^(٣) ﴿ مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ منامنا الذي كنا فيه؟ حفص عن عاصم: يسكت يسيراً على (مَرْقَدِنَا)^(٤) .

(١) في «ت»: «إليهم» .

(٢) في «ت»: «قدرتهم» .

(٣) «أيقظنا» زيادة من «ت» .

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٣) .

ثم يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ أي: الذي وعده، وهو من كلام الكفار.
﴿وَصَدَقَ﴾ أي: والذي صدق فيه.

﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ وهو الإنذار، أقرؤا حين لا ينفع الإقرار.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [٥٣].

[٥٣] ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ النفخة الأخيرة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قرأ أبو جعفر:
(صَيْحَةً وَاحِدَةً) بالرفع فيهما، والباقون: بالنصب، وتقدم توجيه القراءات
في الحرف المتقدم، وهو ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾.
﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ للحساب.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
حكاية لما يقال لهم حينئذ.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ﴾ عن النار وأهلها. قرأ نافع، وابن
كثير، وأبو عمرو: بإسكان الغين، والباقون: بضمها^(١)، وهما لغتان،
مثل: الشُّحْتُ، والشُّحْتُ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿فَكَهُونٌ﴾ منعمون. قرأ أبو جعفر: (فَكَهُونٌ) بغير ألف بعد الفاء، والباقون: بالألف^(١)، وهما لغتان؛ مثل: الحاذر، والحذر.

﴿هُمُّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكُونَ﴾^(٥٦).

[٥٦] ﴿هُمُّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ظَلِّ) بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ الباقر: بكسر الظاء وألف، جمع ظل^(٢).

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، المعنى: لا تصيبهم الشمس، وهم في الجنة على السرر المرخاة عليها الستور.

﴿مُتَّكُونَ﴾ قرأ أبو جعفر: (مُتَّكُونَ) بضم الكاف وسكون الواو بغير همز، والباقر: بكسر الكاف والهمز^(٣).

= و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٣).
(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٤-٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٤).
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٥).
(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٥).

﴿ لَهْمٌ فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ (٥٧).

[٥٧] ﴿ لَهْمٌ فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ يشتهون .

﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ (٥٨).

[٥٨] ﴿ سَلَامٌ ﴾ أي: ولهم سلام ﴿ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ أي: يقوله الله قولا، وهو مبالغة في تعظيمهم أن السلام وقع منه بغير واسطة .

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَنْقَلِبُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، فَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»^(١).

﴿ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥٩).

[٥٩] ﴿ وَأَمْتَرُوا ﴾ فيه حذف، تقديره: ونقول للكفرة: امتازوا؛ أي: اعتزلوا من أهل الجنة ﴿ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ لأن العالم في الموقف مختلطون، وهذه معادلة لقوله لأصحاب الجنة: ﴿ سَلَامٌ ﴾ .

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) باب: فيما أنكرت الجهمية . وإسناده ضعيف، انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (١٣/٦).

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: ألم أوصكم على لسان رسلي .

﴿ يَبْنَى ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ إبليس؛ أي: لا تطيعوه في معصية الله .

﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوة .

﴿ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ﴿٦١﴾ .

[٦١] ﴿ وَأَن أَعْبُدُونِي ﴾ وَّحْدُونِي ﴿ هَذَا ﴾ أي: العهد المعهود إليكم .

﴿ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ طريق بليغ في الاستقامة .

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ .

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا ﴾ خَلْقًا ﴿ كَثِيرًا ﴾ : قرأ أبو عمرو، وابن عامر: (جُبَلًا) بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، جمع جبيل، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الجيم والباء جميعاً، وتخفيف اللام، وروى روح عن يعقوب كذلك، إلا أنه بتشديد اللام، وقرأ الباقر، وهم نافع، وأبو جعفر، وعاصم: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام^(١)، جمع جبلة، وكلها لغات معناها واحد .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ ما حل بهم فتؤمنون .

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٦٣] .

[٦٣] فتمَّ يقال لهم : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ بها .

﴿ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٦٤] .

[٦٤] ﴿ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ ﴾ ذوقوا حرها ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ في الدنيا .

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٦٥] .

[٦٥] ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ نخرسهم ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ﴾ بعملها .

﴿ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ بما صدر منهم ، والمراد : جميع الجوارح ؛ لأن كل عضو يعترف بما صدر منه ، وفائدة نطق الأعضاء ؛ ليعلم أن ما كان عوناً على المعاصي صار شاهداً ، فلا ينبغي لأحد أن يصحب أحداً إلا لله تعالى ؛ لئلا يُفتضح ثمَّ بسبب صحبته .

= و«تفسير البغوي» (٦٤٦/٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٣٥٥/٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢١٧/٥) .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ .

[٦٦] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾ محونا آثار عيونهم؛ يعني: قریشاً.

﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿ فَأَنَّى ﴾ أي: فكيف ﴿ يُبْصِرُونَ ﴾ الطريق إلى مقاصدهم؟ أي: لا يبصرون، وكيف إنكار هنا، فيفيد النفي، المعنى: لو شئنا، لختمنا عليهم بالكفر، فلم يهتد منهم أحد أبداً.

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ .

[٦٧] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴾ قردة وخنازير.

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: مسخاً يشبههم على مكانهم بحيث يجمدون فيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِهِمْ) بألف بعد النون على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد^(١).

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا ﴾ إلى الدنيا ﴿ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ إليها.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٩).

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

[٦٨] ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ ﴾ نطيل عمره ﴿ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (نُنَكِّسْهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشدداً، وقرأ الباقون: بفتح النون الأولى وإسكان الثانية، وضم الكاف مخففاً^(١)، لغتان بمعنى: جعل أعلى الشيء أسفله، المعنى: من يُطَلِّ عمره، يرده بعد كمال خلقه وخلقته وعلمه إلى مثل حال صغره .

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن القادر على ذلك قادرٌ على البعث، فيؤمنون؟! قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب^(٢) .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

[٦٩] ولما قال كفار مكة: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، أنزل الله تكذيباً لهم: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أي: ما يتسهل له عمله، ولا إنشاده موزوناً؛ لنفي الطعن فيه، فأما نحو: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»^(٣)، فليس بشعر عند أرباب هذا الشأن، ثم بين الذي علّمه .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢١).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٩)، كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، ومسلم (١٧٧٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين، =

﴿إِنَّ هُوَ﴾ أي: المعلم، وهو الموحى إليه ﷺ.

﴿إِلَّا ذَكَرُ﴾ موعظة ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ الأحكام، المعنى: إنما منعناه من عمل الشعر وتعليمه؛ لئلا يتهم.

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾.

[٧٠] ﴿يُنذِرَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب:
(لِتُنذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقر: بالغيب إخباراً عن القرآن^(١)
﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً.

= من حديث البراء بن عازب. قال ابن حجر رحمه الله -: قال ابن التين: كان بعض أهل العلم يقوله بفتح الباء من قوله: «لا كَذَبَ» ليخرجه عن الوزن. وقد أجيب عن مقاله صلى الله عليه وسلم هذا الرجز بأجوبة أحدها: أنه نظم غيره، وأنه كان فيه: أنت النبي لا كذب.. أنت ابن عبد المطلب، فذكره بلفظ «أنا»... وذكر رحمه الله أجوبة أقربها للصواب والله أعلم: أنه دلَّ على جواز وقوع الكلام منه صلى الله عليه وسلم منظوماً من غير قصدٍ إلى ذلك، ولا يسمى ذلك شعراً، وكان قد وقع الكثير من ذلك في القرآن العظيم، منها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَاجِرَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾... ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفِّرْ لَهُمْ﴾، ﴿وَأَتَقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾... إلخ ما ذكر رحمه الله. انظر «الفتح» (٣١/٨) و(٥٤٢/١٠).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢١).

﴿ وَيَحِقُّ الْقَوْلُ ﴾ ويجب العذاب ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ المصيرين على الكفر.

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴾ ﴿٧١﴾ .

[٧١] ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد ﴿ أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴾ متصرفون، لم تخلق وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها.

﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا ﴾ سخرناها ﴿ لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ أي: ما يركبون. ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ اللحم والودك.

﴿ وَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ وَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها. ﴿ وَمَشَارِبٌ ﴾ من اللبن، جمع مشرب، وهو الشرب. قرأ هشام، وابن ذكوان بخلاف عنهما: (وَمَشَارِبُ) بإمالة فتحة الشين^(١).

﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ المنعم عليهم؟!!

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢٢).

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٧٤].

[٧٤] ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ يعبدونها.

﴿ لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: لعلهم يمنعون من العذاب بشفاعة آلهتهم.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴾ [٧٥].

[٧٥] ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الآلهة ﴿ نصرَهُمْ ﴾ أي: نصر عابديهم.

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴾ أي: الكفار جند للأصنام، يحضرونها في

الدنيا، ويغضبون لها، وهي لا تنفعهم.

﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٧٦].

[٧٦] ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك. قرأ نافع:

(يُحْزِنُكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي^(١).

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر وتكذيبك، فنجازيهم عليه.

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُبِينٌ ﴾ [٧٧].

[٧٧] ونزل في أبي بن خلف لما أنكر البعث، وأتى النبي ﷺ بعضهم

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢٢).

رميم، ففتته وقال: يا محمد! أترى يحيى الله هذا بعدما بليَ ورَمَّ؟ فقال النبي ﷺ: «نعم، ويدخلك النار».

﴿أَوْلَمَرَ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: مني.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن لها بعدما كان ماء مهيناً،

المعنى: ألم يستدل بخلقه على إمكان البعث؟! *

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨).

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بفتته العظام.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنى، فهو أغرب من إحياء العظم.

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ بالية، ولم يؤنث (رَمِيم)؛ لأنه معدول من فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه، كان مصروفاً عن إعرابه؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مریم: ٢٨] أسقط الهاء لأنها مصروفة عن باغية.

وفي الآية حجة في إثبات الحياة في العظم، ونجاسته بالموت، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا تحل الحياة بالعظم، فلا ينجس بالموت، له أن المعنى أنها ترد كما كانت رطبة في بدن حساس. واختلفوا في الآدمي هل ينجس بالموت؟ فقال أبو حنيفة: ينجس، إلا أن المسلم يطهر بالغسل، وتكره الصلاة عليه في المسجد، وعن مالك خلاف، والذي اختاره ابن رشد: الطهارة، وهو الأظهر عند صاحب «المختصر»^(١)، وأما الصلاة في المسجد، فالمشهور من مذهبه كراهتها

(١) انظر: «مختصر خليل» (ص: ١٠) قال: والنجس ما استثنى ما ذكر=

كقول أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد: لا ينجس بالموت، ولا تكره الصلاة عليه في المسجد.

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات قبل خلقها وبعده .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ هما شجرتان يقال لإحدهما: المرخ، وللأخرى: العفار، يقطع منهما قضيبان وهما خضراوان، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهو أنثى، فتندح النار بإذن الله تعالى .

﴿ فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ تقدحون، وهذا دليل على القدرة على البعث؛ لأنه تعالى جمع بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب .

= ولو قملة أو آدمياً، والأظهر طهارته .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ
وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٨١﴾ .

[٨١] ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ مع عظمها على غير مثال سابق
﴿ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ أي : مثل الأناسي في الصغر؛ أي : لا يعجزه
شيء . قرأ رويس عن يعقوب : (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة وإسكان القاف من غير
ألف ، وضم الراء على أنه فعل مستقبل مثل يَصْرِفُ ، وقرأ الباقون : بالياء
وفتح القاف وألف بعدها وخفض الراء منونة على وزن فاعل^(١) .

﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ ﴾ الكثير الخلق ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بجميع ما خلق .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

[٨٢] ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ قرأ ابن عامر ،
والكسائي : (فَيَكُونُ) بالنصب عطفاً على (يَقُولُ) ، وقرأ الباقون : بالرفع^(٢) ؛
أي : فهو يكون ، وهذا إشارة إلى سرعة تكوُّن الشيء ، وأنه تعالى لا يلحقه
نصب في إيجاد المعدوم وإعدام الموجود .

-
- (١) انظر : «تفسير البغوي» (٣/٦٥١) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري
(٢/٣٥٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢٢) .
- (٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٤٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٧) ،
و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٢٣) .

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣).

[٨٣] ثم نزه تعالى نفسه تنزيهاً عاماً مطلقاً فقال: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ ﴾
قرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون:
بإشباعها^(١) ﴿ مَلَكُوتُ ﴾ أي: مُلْكُ ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وزيدت الواو والتاء
للمبالغة، ومعناه: ضبط كل شيء، والقدرة عليه.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢) قرأ يعقوب: (تُرْجَعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم،
والباقون: بضم التاء وفتح الجيم^(٢)، وهو وعد ووعيد للمقرين
والمنكرين.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اقرأوا على موتاكم يس»^(٣)، والله أعلم.



- (١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣١٢)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/٢٢٣).
- (٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٠٨)، و«معجم القراءات
القرآنية» (٥/٢٢٤).
- (٣) رواه أبو داود (٣١٢١)، كتاب: الجنائز، باب: القراءة عند الميت، والنسائي في
«السنن الكبرى» (١٠٩١٣)، وابن ماجه (١٤٨٨)، باب: ما جاء فيما يقال عند
المريض إذا، والإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٧)، وابن حبان في «صحيحه»
(٣٠٠٢). من حديث معقل بن يسار. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص
الحبير» (٢/١٠٤): أعلّه ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال
أبي عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث
ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. وقال أحمد في
«مسنده»: كانت المشيخة يقولون: «إذا قرئت» يعني «يس» عند الميت خُفِّفَ عنه
بها. اهـ.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية، وآيها: مئة وثمانون وآيتان، وحروفها: ثلاثة آلاف وثمانين مئة وستة وعشرون حرفاً، وكلمها ثمانين مئة وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ .

[١] ﴿ وَالصَّافَّاتِ ﴾ جمع صافَّة ﴿ صَفًّا ﴾ مصدر، وكذلك (زَجْرًا) و(ذِكْرًا) بعد؛ يعني: الملائكة صفوفاً في السماء كصفوف الصلاة.

﴿ فَأَلْزَجِرَتْ زَجْرًا ۝٢﴾ .

[٢] ﴿ فَأَلْزَجِرَتْ زَجْرًا ﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.

﴿ فَأَلْتَلَيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ .

[٣] ﴿ فَأَلْتَلَيَاتِ ذِكْرًا ﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله، وهذا كله قسم،

أقسم الله بها، وليس لغيره ذلك.

﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ .

[٤] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ في معناه وذاته وصفاته، وجيء بالفاء لتدل أن القسم مجموع المذكورات، والواو لا تفيده. قرأ أبو عمرو، وحمزة: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) بإدغام التاء فيما بعدها من غير إشارة، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام^(١).

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ .

[٥] ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ مشارق الشمس ومغاربها، وحذفها لدلالة (مشارق) عليها، وقد قال في سورة المزمل: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [الآية: ٩] أراد به: الجهة، فالمشرق جهة، والمغرب جهة، وقال في سورة الرحمن: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الآية: ١٧] يعني: مشرقى الصيف والشتاء، ومغربيهما، وقال في سورة المعارج: ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [الآية: ٤٠] مشرق كل يوم من السنة، ومغربه. روي أن الله تعالى خلق للشمس ثلاث مئة وستين كوة في المشرق، ومثلها في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب^(٢)، المعنى: هو ربُّ جميع الموجودات.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٧/٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٦٥٤/٣)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٦٣/١٥)، =

﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ .

[٦] ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (بِزَيْنَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبِ) نصب؛ أي: بتزييننا الكواكب، وقرأ حمزة، وخلف^(١)، وحفص عن عاصم: (بِزَيْنَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبِ) خفضاً بدلاً من (زَيْنَةٍ)، وقرأ الباقون: (بِزَيْنَةٍ) بغير تنوين، وجرّ (الْكَوَاكِبِ) إضافة، المعنى: زينا السماء القريبة إليكم بالكواكب.

﴿ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ .

[٧] ﴿ وَحِفْظًا ﴾ نصب بمحذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً بالشهب.

﴿ مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ متمرّد يُرمون بها.

﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ .

[٨] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَسْمَعُونَ) بتشديد السين والميم؛ أي: لا يسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الباقون: بتخفيفها^(٢)؛ أي: لا يستطيعون الاستماع. ﴿ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴾ الملائكة؛ لأنهم في السماء.

= ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/١١٦٣)، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَيُقَدِّفُونَ ﴾ يُرمون ﴿ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ بالشهب .

﴿ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴾ ﴿٩﴾ .

[٩] ﴿ دُحُورًا ﴾ إبعاداً، وأصل الدحر: الطرد.

﴿ وَهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴾ دائم لا ينقطع .

﴿ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ ﴿١٠﴾ .

[١٠] ﴿ إِلَّا ﴾ استثناء من الجنس، وتقدم حكم الاستثناء من غير الجنس، واستثناء الكل، وغير ذلك من أحكام الاستثناء في سورة الكهف .

﴿ مَنْ خِطَفَ الْخِطْفَةَ ﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مُسَارِقَةً .

﴿ فَاتَّبَعَهُ ﴾ لحقه ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ كوكب مضيء لا يخطئه، يثقب الجني فيقتله أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون لاستراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه؛ طمعاً في السلامة ونيل المراد؛ كراكب البحر .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ ﴿١١﴾ .

[١١] ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ فاستخبر كفار مكة توييخاً، وسلهم سؤال مُحَاجَّةٍ .

قرأ رويس عن يعقوب: بضم الهاء، والباقون: بكسرها^(١) .

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٢٧٢)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٠) .

﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما، وجيء (بمن) تغليبا للعقلاء، وقيل: أم من خلقنا من الأمم قبلهم، ثم أوما إلى ضعفهم؛ لأن من خلق من ضعف فهو ضعيف.

فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ لاصق يعلق باليد.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم التاء خبراً عن النبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد: بل عجبْتُ، وقيل: هو خبر عن الله تعالى، والتعجب من الله ليس كالتعجب من آدميين؛ لأنه من الناس إنكار وتعظيم، ومن الله قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث: «عجب ربُّكم من شابٍ ليست له صَبُوءٌ»^(١)، وهي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجب منه من التعظيم أو التحقير، حتى يصير الناس متعجبين منه، وقرأ الباقر: بالفتح خطاباً للنبي ﷺ^(٢)، المعنى: تعجبت يا محمد من تركهم الإيمان بعد قيام البرهان.

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٥١/٤) وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٩/١٧) من حديث عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٧٠/١٠): وإسناده حسن.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣١).

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: وهم يسخرون منك ومن تعجبك .

﴿وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَدْكُرُونَ﴾ (١٣) .

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِرُوا﴾ وُعطوا بالقرآن ﴿لَا يَدْكُرُونَ﴾ لا يتعظون .

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (١٤) .

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ تدل على صدقك .

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء بك .

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن .

﴿أَءَذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦) .

[١٦] ﴿أَءَذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي: أنبعث إذا متنا؟ واختلاف

القراء في الهمزتين من (أئذا) (أئنا)، وفي ضم الميم وكسرها من (متنا) كاختلافهم في ذلك في سورة (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) .

﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ (١٧) .

[١٧] ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ الأقدمون . قرأ أبو جعفر، وابن عامر،

وقالون: بإسكان الواو، وهي (أو) التي هي للقسمة والتخيير، **وقرأ** الباقون: بفتح الواو، وهي واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، واختلف عن ورش، فروي عنه كأول، إلا أنه ينقل حركة الهمزة بعدها إليها كسائر السواكن، وروي عنه الفتح كالجمهور^(١)، تلخيصه: ويقولون: أنبعث نحن ويُبعث آباؤنا أيضاً؟! استبعاداً لذلك؛ لأن آباءهم أقدم، فبعثهم أغرب.

﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (١٨).

[١٨] ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ نَعَمْ ﴾ تبعثون ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ صاغرون. قرأ الكسائي: (نَعِم) بكسر العين، والباقون: بفتحها^(٢).

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٩).

[١٩] وجواب الشرط المقدر ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾ أي: إذا وجد ذلك، فما نفخة البعث إلا ﴿ زَجْرَةٌ ﴾ صيحة ﴿ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ ﴾ أي: الخلائق أحياء. ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ ما يُفعل بهم.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/٤٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٢).

﴿ وَقَالُوا يَتَّبِعُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [٢٠].

[٢٠] ﴿ وَقَالُوا ﴾ يعني : الكافرين ثمَّ :

﴿ يَتَّبِعُنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي : الحساب والجزاء .

﴿ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٢١].

[٢١] ثم تقول الملائكة : ﴿ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ القضاء بين الخلائق .

﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٢٢].

[٢٢] ثم يقال للملائكة : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ هم المشركون .

﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أي : أشباههم ، فيحشر صاحب الربا والزنا والخمر وغيرهم ، كلُّ مع صاحبه .

﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [٢٣].

[٢٣] ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهم الأوثان ﴿ فَاهْدُوهُمْ ﴾ دلوهم وسوقوهم .

﴿ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ طريق النار .

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢٤) .

[٢٤] ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ احبسوهم ﴿ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم .

قال ﷺ: « لا تزول قدمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعة: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»^(١).

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ ﴾ (٢٥) .

[٢٥] فثمَّ يقال لهم توبيخاً: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا. قرأ أبو جعفر، والبزي: (لَا تَنَاصِرُونَ) بتشديد التاء^(٢).

﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦) .

[٢٦] ﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون أذلاء لا حيلة لهم .

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه .

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٣٣-٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدبياطي (ص: ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٣) .

﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٢٧].

[٢٧] ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: الأتباع على الرؤساء.

﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يتخاصمون.

﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ [٢٨].

[٢٨] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الأتباع للرؤساء.

﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها؛ لحلفكم إنكم على الحق، فصدقناكم، فأنتم أضللتمونا.

﴿ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٩].

[٢٩] ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الرؤساء للأتباع: ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ بل لم تكونوا على الحق فضلكم عنه، إنما الكفر من قبلكم.

﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ [٣٠].

[٣٠] ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ من قوة فنقهركم على الكفر.

﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ ضالين.

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴾ [٣١].

[٣١] ﴿ فَحَقَّ ﴾ وجب ﴿ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ الْحِجَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [السجدة: ١٣] .

﴿ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ جميعاً العذاب .

﴿ فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٢] ﴿ فَأَعْوَبْتَكُمْ ﴾ أضللناكم عن الهدى ﴿ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ ضالين .

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

[٣٣] قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي : التابعون والمتبوعون .

﴿ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ لا شراكتهم في الغواية .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

[٣٤] ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ الذين جعلوا الله شركاء .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يتكبرون عن كلمة

التوحيد .

﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا ءِالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[٣٦] ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا ءِالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ واختلاف القراء في

الهمزتين من (أئنَّا) كاختلافهم فيهما من (أئننَّ لنا لأجراً) في سورة

الشعراء [الآية: ٤١]، وكذلك (أَتُنْكَأ) ، المعنى : أنترك عبادة الأصنام لقول محمد؛ لأنهم وصفوه بالشعر والجنون .

﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي : أتى بما أتى به المرسلون قبله .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ الوجيع بإشراككم .

﴿ وَمَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وَمَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ ﴾ أي : لكن عباد الله ﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ على الاستثناء المنقطع . قرأ الكوفيون ، ونافع ، وأبو جعفر : (المُخْلِصِينَ) حيث وقع بفتح اللام ؛ أي : المختارين ، وقرأ الباقون : بكسرها^(١) ؛ أي : المخلصين لله الطاعة .

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٨) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٤) .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ هو طعامهم في الجنة بكرة وعشيًا .

﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ فَوَاكِهُ ﴾ جمع فاكهة، وهي ما يؤكل تلذذًا، لا للقتوت؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظ الصحة بالغذاء؛ لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد، وكانت أرزاقهم فواكه خالصة ﴿ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ بثواب الله .

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ أي: في جنات ليس فيها إلا النعيم .

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسيرة بهم .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ ﴾ هو الإناء بشرابه، فإن لم يكن فيه شراب،

فهو إناء .

﴿ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ أي: من خمر يجري كالماء .

﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ أي: اللون ﴿ لَذَّةٍ ﴾ عذبة طيبة ﴿ لِلشَّارِبِينَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة^(١) .

﴿ لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ لَا فِيهَا عَوْلٌ ﴾ أي: لا تذهب عقولهم ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الزاي؛ أي: لا تفنى خمورهم، وقرأ الباقون: بالفتح^(٢)؛ أي: لا تزال عقولهم .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مُّطَّرَبٌ عِوَجًا ﴾ ﴿٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مُّطَّرَبٌ ﴾ لا ينظرون إلى غير أزواجهن؛ لحسنهم عندهن ﴿ عِوَجًا ﴾ حسان الأعين .

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مُّكْنُونٌ ﴾ ﴿٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ﴾ أي: القاصرات ﴿ بَيْضٌ ﴾ للنعام .
﴿ مُّكْنُونٌ ﴾ مصون يستره النعام بريشه، فلا يصل إليه غبار .

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٥) .
(٢) المصادر السابقة .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٥٠].

[٥٠] ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يعني : أهل الجنة فيها عما كانوا

عليه ، وما وصلوا إليه .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [٥١].

[٥١] ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ صاحب في الدنيا ينكر البعث .

﴿ يَقُولُ أَهِنَّكَ لِمَنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [٥٢].

[٥٢] ﴿ يَقُولُ ﴾ أي : في الدنيا هزواً : ﴿ أَهِنَّكَ لِمَنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ بالبعث؟

وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من (أَهِنَّكَ).

﴿ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَهْنَا لَمَدِينُونَ ﴾ [٥٣].

[٥٣] ﴿ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَهْنَا لَمَدِينُونَ ﴾ محاسبون مجزيون ، وتقدم

التنبيه أيضاً على اختلاف القراء في (أَوَدَا مِنَّا أَهْنَا) في الآية السابقة ، وهذا استفهام إنكار .

﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴾ [٥٤].

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾ الله - عز وجل - لأهل الجنة : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴾ إلى

النار؟ فإن في الجنة كوى تنظر إلى النار، المعنى : أتحبون الاطلاع في النار، فتنظروا أهلكم ومنازلكم فيها لو لم تؤمنوا؟

﴿ فَأَطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [٥٥].

[٥٥] ﴿ فَأَطَّلَعَ ﴾ فنظر هذا المؤمن ﴿ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي: رأى قرينه في وسط النار، وسُمي وسط الشيء سواء؛ لاستواء الجوانب منه. وتقدم اختلاف القراء في الفتح والإمالة من (رَأَهُ) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الآية: ٣٦].

﴿ قَالَ تَأَلَّهَ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾ [٥٦].

[٥٦] فلما رأى قرينه فيها ﴿ قَالَ ﴾ متشمتاً به: ﴿ تَأَلَّهَ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾ أي: والله لقد قاربت أن تهلكني. قرأ ورش عن نافع: (لتُرْدِينِي) بإثبات الياء وصلأً، ويعقوب: بإثباتها وصلأً ووقفأً، والباقون: بحذفها في الحالين^(١).

﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [٥٧].

[٥٧] ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾ علي بالإيمان.

﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ معك في النار.

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ [٥٨].

[٥٨] وعند ذبح الموت استفهم أهل الجنة استفهام تحدث بنعم الله

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٣٧-٢٣٨).

تعالى وتلذذ، لا استفهام شك، فقالوا: ﴿أَفَمَا﴾ الفاء عاطفة على محذوف تقديره: نحن منعمون مخلدون، فما ﴿نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ ﴿٥٩﴾.

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ﴾ في الدنيا، نصب استثناء منقطع.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ كالكفار.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وهذا من كلامهم على جهة الحديث بنعمة الله عليهم أنهم لا يموتون ولا يعذبون.

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

[٦١] فثم يقول الله تعالى لأهل الجنة تطيباً لقلوبهم: ﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ الخلود والتنعيم ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ أي: لمثل^(١) هذا يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام.

﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ ﴿٦٢﴾.

[٦٢] ﴿أَذَلِكْ﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُزُلًا﴾ نصب تمييز،

(١) في «ت»: «لنيل مثل».

والنزل : ما يعدل للنازل كضيف وغيره ، ومنه أنزال الأجناد لأرزاقهم .

﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴾ المعدة لأهل النار، والألف من قوله: (أَذَلِكْ) للتقرير، والمراد: تقرير قريش والكفار، وجاء بلفظ التفضيل بين شيئين؛ لاشتراك بينهما من حيث كان الكلام تقريراً، والاحتجاج يقتضي أن يوقف المتكلم خصمه على قسمين، أحدهما فاسد، ويحمله بالتقرير على اختيار أحدهما، ولو كان الكلام خبراً، لم يجز، ولا أفاد أن يقال: الجنة خير من شجرة الزقوم، والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يُكره أهل النار على تناوله، فهم يتزقمون على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقّم الطعام: إذا تناوله على كره ومشقة .

قال ابن عطية: وفي بعض البلاد الجذبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن إن مس جسم أحد، تورم ومات منه في أغلب الأمر، تسمى: شجرة الزقوم^(١) .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ .

[٦٣] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً ﴾ محنة .

﴿ لِلظَّالِمِينَ ﴾ لأن الكفار لما ذكر أن الزقوم ينبت في النار، افتتوا وكذبوا، وقالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟! .

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/٤٧٥) .

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (٦٤).

[٦٤] وروي أن ابن الزُّبَيْرِ قال: إن محمداً يخوفكم الزقوم، وهو بلغة بربر: الزُّبْدُ والتمر، فأطعمهم ذلك أبو جهل، وقال: هذا ما يتوعدكم به محمد^(١)، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ نابتة، فأصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، من النار خلقت، وبها عذبت.

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٦٥).

[٦٥] ﴿ طَلَعَهَا ﴾ ثمرها ﴿ كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ الحيات.

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا كُؤُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ (٦٦).

[٦٦] ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ لَا كُؤُونَ مِنْهَا ﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم.

﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ بحيث لا يحتمل الزيادة عليه.

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (٦٧).

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا ﴾ لخلطاً.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٣٧٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٢٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٩٦/٧).

﴿مِّن مِّمٍ﴾ من ماء حار، قد بلغ نهاية الحر، المعنى: أنهم يشربون الماء الحار على الزقوم مختلطاً في أجوافهم، فيصير شوباً لهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٨﴾.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ﴾ فالحميم خارج الجحيم، فإذا أكلوا الزقوم، سيقوا إلى الحميم فشربوه مع نكارتة، ثم يردون إلى الجحيم.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاةٌ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ﴿٦٩﴾.

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاةٌ﴾ وجدوا ﴿أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعُونَ﴾ ﴿٧٠﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ متبعين بسنتهم ﴿يُرْعُونَ﴾ يسرعون.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ ﴿٧١﴾.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ من الأمم الخالية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ أنبياء أندروهم.

﴿ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴾ [٧٣]

[٧٣] ﴿ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴾ من الشدة والفضاعة .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [٧٤]

[٧٤] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ الموحدين نجوا من العذاب . وتقدم اختلاف القراء في (المُخْلِصِينَ) [الآية : ٤٠] ، وتوجه قراءاتهم في الحرف السابق ، والخطاب مع النبي ﷺ ، والمقصود : خطاب قومه ؛ فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ، ورأوا آثارهم .

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [٧٥]

[٧٥] ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا ﴾ دعانا مستنصراً على قومه ، واللام بعد جواب قسم محذوف ، والمخصوص بالمدح محذوف ، تقديره : والله لقد نادانا نوح .

﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أي : فأجبناه أحسن الإجابة ، فوالله نعم المجيبون نحن ، أهلكنا قومه .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [٧٦]

[٧٦] ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي لحق قومه ، وهو الغرق .

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (٧٧) .

[٧٧] ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ مدة الدنيا؛ لأن الناس كلهم من نسله، وكان له ثلاثة أولاد: حام وسام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٧٨) .

[٧٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أي: أبقينا عليه ثناءً حسناً فيمن بعده من الأنبياء .

﴿ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٩) .

[٧٩] ﴿ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ ﴾ أي: جعلنا هذا اللفظ يقال بعده .
﴿ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ إلى يوم القيامة من الأنبياء^(١)؛ لكرامته علينا .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٠) .

[٨٠] ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ ﴾ أي: جزاءً كفعلنا بنوح .
﴿ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم .

(١) «من الأنبياء» ساقطة من «ت» .

﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨١) .

[٨١] ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تعليل لإحسانه بالإيمان .

﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ (٨٢) .

[٨٢] ﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ من الكافرين .

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) .

[٨٣] ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أهل سنته وأتباعه على أصل الدين، وإن اختلفت الشرائع ﴿ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وروي أن بينهما ألفين وست مئة وأربعين سنة^(١)، وقيل غير ذلك، بما في شيعته من معنى المشايعة .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤) .

[٨٤] ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك، والمجيء هنا بمعنى: الإخلاص والإقبال على الطاعة .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٨٥) .

[٨٥] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴾ موبخاً ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ !

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/٩١) .

﴿ أَيَفْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [٨٦].

[٨٦] ﴿ أَيَفْكَاءَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وتبدل منه .

﴿ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ أي : أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون
إلهة سوى الله؟! وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من قوله :
(أَيْفُكًا).

﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٨٧].

[٨٧] ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إذا لقيتموه أن يصنع بكم؟

﴿ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ [٨٨].

[٨٨] وكان قومه نجّامين ، فخرجوا إلى عيدٍ لهم ، وتركوا طعامهم عند
أصنامهم زعموا التبرك عليه ، فإذا رجعوا أكلوه ، وقالوا له : اخرج معنا .
﴿ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ في ذاتها ، أراهم بأنه استدل بها على أنه مشارف
للسقم ؛ لئلا يخرجوه معهم .

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [٨٩].

[٨٩] ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي : مطعون ، وكانوا يفرون من الطاعون .

﴿ فَنَوَلُّوْا عَنْهُ مُدْبِرِيْنَ ﴾ ﴿٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿ فَنَوَلُّوْا عَنْهُ مُدْبِرِيْنَ ﴾ إلى عيدهم .

﴿ فَرَاغَ إِلَى الْهَيْهَاتِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُوْنَ ﴾ ﴿٩١﴾ .

[٩١] ﴿ فَرَاغَ ﴾ أي: مال في خفاء ﴿ إِلَى الْهَيْهَاتِ ﴾ بزعمهم، وهي الأصنام، وبين أيديهم الطعام ﴿ فَقَالَ ﴾ استهزاء بهم: ﴿ أَلَا تَأْكُلُوْنَ ﴾ فلم ينطقوا.

﴿ مَا لَكُمْ لَا نُنْطِقُوْنَ ﴾ ﴿٩٢﴾ .

[٩٢] فقال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا نُنْطِقُوْنَ ﴾ فلم تجب.

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِيْنِ ﴾ ﴿٩٣﴾ .

[٩٣] ﴿ فَرَاغَ ﴾ مال ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِيْنِ ﴾ أي: كان يضربهم بيده اليمنى؛ لأنها أقوى على العمل من الشمال، فتسمعوا ذلك.

﴿ فَأَقْبَلُوْا إِلَيْهِ يَرْفُوْنَ ﴾ ﴿٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿ فَأَقْبَلُوْا إِلَيْهِ يَرْفُوْنَ ﴾ يسرعون في المشي مع تقارب الخطأ. قرأ حمزة: (يُرْفُوْنَ) بضم الياء؛ أي: يحملون غيرهم على الإسراع، وقرأ

الباقون: بنصب الياء^(١)؛ أي: يسرعون هم.

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴾ [٩٥].

[٩٥] وكان بعض قد رآه يكسرهما، وبعض لم يره، فأقبل من رآه مسرعاً نحوه، ثم جاء من لم يره يكسرهما^(٢)، فقال لمن رآه: من فعل هذا بآلهتنا؟ ثم قالوا له أجمعون: نحن نعبدها، وأنت تكسرهما؟! فثم ﴿ قَالَ ﴾ موبخاً على وجه الحجاج:

﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً؟

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٦].

[٩٦] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ [٩٧].

[٩٧] فثم ﴿ قَالُوا ﴾ بينهم: ﴿ ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا ﴾ فاملؤوه حطباً، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿ فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ النار الشديدة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٠-٢٤١).

(٢) «يكسرهما» زيادة من «ت».

﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٩٨) .

[٩٨] ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ شراً؛ بإلقائه^(١) في النار .

﴿ جَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ المقهورين ، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء .

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (٩٩) .

[٩٩] ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [أي : حيث أمرني ، فهاجر إلى الشام]^(٢)

﴿ سَيِّدِينَ ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني . قرأ يعقوب : (سَيِّهْدِينِي) بإثبات الياء ، والباقون : بحذفها^(٣) .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠٠) .

[١٠٠] فلما قدم الأرض المقدسة ، سأل ربه الولد ، فقال :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ بعض الصالحين يُعِينَنِي عَلَى الدَّعْوَةِ وَالطَّاعَةِ ، ويؤنسني في الغربة .

﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١) .

[١٠١] ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ ﴾ في كبره ، عليم في صغره ، ففيه بشارة

(١) في «ت» : «في إلقائه» .

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

(٣) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢ / ٣٦١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥ / ٤٤١) .

أنه ابن ، وأنه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا بَتِ أِفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ ﴾ يعني : المشي معه في الجبل ، وكان له ثلاث عشرة سنة ، أو سبع ﴿ قَالَ يَبْنَئُ ﴾ قرأ حفص عن عاصم : (يا بُنَيَّ) بفتح الياء ، والباقون : بكسرها^(١) .

﴿ إِنِّي أَرَىٰ ﴾ أي : رأيت ﴿ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ من الرأي . قرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (إِنِّي أَرَى) (أَنِّي أَذْبَحُكَ) بنصب الياء فيهما ، والباقون : بإسكانها^(٢) ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (مَاذَا تُرَى) بضم التاء وكسر الراء كسرة خالصة بعدها ياء ؛ أي : ماذا تُرِينَاهُ من رأيك ، أتجزع أم تصبر؟ وقرأ الباقون : بفتح التاء والراء ، وأبو عمرو : يميل فتحة الراء ، وورش : بين بين على أصلهما ، والباقون : بإخلاص فتحها^(٣) ، وليس كراي العين على القراءتين ، وإنما

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٢٧) ، و«الكشف» لمكي (١/٥٢٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤١) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٥٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٢) .

(٣) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٥٤٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٨٦-١٨٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٦٩-٣٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٢) .

شاور ولده؛ ليعلم صبره، لا ليصبره، وشاوره ليأنس بالذبح؛ فإن صدور العظيم بغته عظيم، وليحصل له الأجر بانقياده لطاعة الله وطاعة والده.

﴿ قَالَ يَا بَتِ أَفَعَلْ مَا تُمُرُّ ﴾ به ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ على ذلك، ومن أسند المشيئة إلى الله تعالى، والتجأ إليه، لم يعطب. **قرأ** أبو جعفر، وابن عامر: (يا بَتِ) بفتح التاء، ووقفاً: (يا أَبَهُ) بالهاء، وافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب^(١)، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر: (سَتَجِدُنِي) بفتح الياء: والباقون: بإسكانه^(٢).

والذبيح^(٣) هو إسماعيل - عليه السلام - على قول الجمهور، وهو الراجح؛ بدليل أن ذكر البشارة بإسحاق - عليه السلام - بعد الفراغ من قصة المذبوح، فقال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فدل على أن المذبوح غيره، وأيضاً فإن الله تعالى قال في سورة هود: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [الآية: ٧١] فلما بشره بإسحاق، بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق، وقد وعد له بنافلة منه، وهو قول العباس بن

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (٣/٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٣).

(٣) جاء على هامش «ت»: «والقصة بحذافيرها تذكر في أكثر التفاسير والسير والقصص والتواريخ وشبهها، مع ما فيه من الكلام، وقد ذكرنا بعضها بتوفيق العزيز العلام».

عبد المطلب، وابنه، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والشعبي،
والحسن البصري، ومجاهد، وغيرهم^(١).

وروي عن معاوية أنه ذكر عنده: هل الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ قال:
على الخير سقطتم، كنت عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فقال له: يا ابن
الذبيحين! فضحك رسول الله ﷺ، فقيل لمعاوية: يا أمير المؤمنين!
وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما حفر زمزم، نذر لئن سهل الله له
أمرها، ليزبحن أحد أولاده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه
أخواله، فقالوا له: افد ابنك بمئة من الإبل، ففداه، والثاني إسماعيل عليه
السلام^(٢).

وعن بعض علماء اليهود ممن أسلم وحسن إسلامه: أن علماء اليهود
يعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدون العرب أن يكون أباً لهم^(٣).
وعند أهل الكتابين^(٤) أن الذبيح إسحاق، وهو قول عمر، وعلي،

-
- (١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٠٨/٧) وما بعد.
(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨٥/٢١)، والحاكم في «المستدرک»
(٤٠٣٦). قال الذهبي في «مختصره»: وإسناده واه. وانظر: «تخريج أحاديث
الكشاف للزيلعي» (١٧٨/٣).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٦٦٦/٣)، والزمخشري في الكشاف (٤٨٠/٥)،
ورواه ابن إسحاق وابن جرير عن محمد بن كعب، كما في «الدر المنثور»
(٣٤٤/٨).
(٤) جاء على هامش «ت»: «حكاه القرطبي وغيره عن عمر بن عبد العزيز
رحمه الله».

وابن مسعود، وكعب، ومقاتل، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وغيرهم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنَىٰ إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آتِيَّ أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا ﴾ أمر بذبح من بشر به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحق، وهو قوله تعالى في سورة هود: ﴿ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ ﴾ [الآية: ٧١]، وكلا القولين يروي عن رسول الله ﷺ.

وروي أنه لما بشر بالولد، قال: هو بإذن الله ذبيح. ﴿ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ قيل له: أوف بنذرك، فقال لولده: انطلق تقرب قربانا لله - عز وجل -، وأخذ سكيناً وحبلاً، فانطلق معه حتى ذهب بين الجبال، فقال: يا أبت! أين قربانك؟ ﴿ قَالَ يَبْنَىٰ إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آتِيَّ أَذْبَحُكَ ﴾، فمن قال: إن الذبيح إسماعيل، فيقول: إن الذبح كان بمكة، ومن الدليل عليه أن قرني الكعبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي! أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه^(١).

وعن ابن عباس قال: «الذبيح إنه إسماعيل، وتزعم اليهود أنه إسحق، وكذبت اليهود»^(٢).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٦٦٦/٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسير» (٨٣/٢١)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٣٧).

ومن زعم أن إسحق هو الذبيح، فيقول: كان موضع الذبح بالشام على ميلين من إيلياء، وهي بيت المقدس، وزعمت اليهود أنه كان على صخرة بيت المقدس، فأراد الشيطان فتنهم، فجاء أم الغلام على صورة رجل، فقال: تدرين أين ذهب بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليدبحه، قالت: كلا، هو أرحم به، وأشد حبا له من ذلك، قال: زعم أن الله أمره بذلك، قالت: فإن أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربه، فأتى الابن فقال: تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحتطب، قال: لا والله ما يريد إلا ذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به، فسمعاً وطاعة، ثم جاء الأب فقال: أين تريد؟ فقال: هذا الشعب لحاجة، قال: أرى الشيطان قد جاءك مناماً، فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع إبليس بغيظه، لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً مما أراد.

وروي أن إبليس عرض لإبراهيم بهذا المشعر، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم - عليه السلام - لأمر الله تعالى، ومنه شرع رمي الجمار في الحج، وهو من واجبات الحج، يجب بتركه الفدية باتفاق الأئمة. ولما عزم على الذبح، قال: يا أبتاه! اشدد وثاقي لئلا أضطرب، واجمع عليك ثيابك لئلا يصيبها دمي، واستحد شفرتك، وأسرع مرّها على حلقي، فهو أهون علي، وسلم على أمي، واردد عليها قميصي؛ فهو أسلى لها، فقال:

نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى، ففعل ما أمر به ابنه، وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (١٠٣)

[١٠٣] ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ استسلما وانقادا لأمر الله ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ صرعه على جانب الجبهة، وكان ذلك بمنى عند الصخرة، ثم أوثقه، ووضع السكين على حلقه، فانقلبت السكين مراراً، ولم تعمل شيئاً بقدرة الله سبحانه، فقال: أكبني لوجهي لثلا ترحمني إذا نظرته، ولثلا أجزع من الشفرة، ففعل ووضع الشفرة على قفاه، فانقلبت، فقال: اطعن بها طعناً، فطعنه فانثنت^(١)، وجواب (فلما) محذوف؛ أي: فلما أسلما وتله .

﴿ وَتَلَيْنَاهُ أَنْ يَتَّابِرْهِيمُ ﴾ (١٠٤)

[١٠٤] ﴿ وَتَلَيْنَاهُ أَنْ يَتَّابِرْهِيمُ ﴾ .

﴿ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٠٥)

[١٠٥] ﴿ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا ﴾ أي: عملت بما أمرت أجزل أجرهما،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٦٧-٦٦٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧٨/٢١) عن ابن عباس .

ونحو هذا مما يقتضيه المعنى . قرأ الكسائي ، وخلف : (الرؤيا) بالإمالة^(١) .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما .

﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُؤُ الْمَيْنُ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذبح ﴿ هُوَ الْبَلْتُؤُ الْمَيْنُ ﴾ الاختبار الظاهر .

﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴾ هو كبش رعى في الجنة أربعين خريفاً^(٢) ، روي أنه الذي قربه قابيل ابن آدم ، فنظر إبراهيم ، فإذا هو بجبريل - عليه السلام - معه كبش أملح أقرن ، فقال : هذا فداء ابنك فاذبحه دونه ، فكبر جبريل - عليه السلام - ، وكبر الكبش ، وكبر إبراهيم ، وكبر ابنه - عليهما السلام -^(٣) ، فأخذ إبراهيم الكبش ، وأتى به المنحر من منى ، فلما ذبحه ، قال جبريل : الله أكبر الله أكبر ، فقال الذبيح : لا إله إلا الله والله أكبر ، فقال

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص : ٣٧٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٤) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩) ، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٨) عن سعيد بن جبير . وانظر : «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١١٣) .

(٣) انظر : «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩) .

إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة، وتقدم في سورة البقرة [الآية: ١٨٥] وقت التكبير للعيدين، واختلاف الأئمة في صفته.

﴿ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ثناء حسناً.

﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

[١٠٩] ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

[١١٠] ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّهُ مَن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

[١١١] ﴿ إِنَّهُ مَن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسيره في قصة نوح .

قال البيضاوي: لعله طرح عنه (إننا) اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة^(١).

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

[١١٢] ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا ﴾ حال مقدره من إسحاق؛ أي: يوجد نبياً.

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢٣/٥).

﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فمن جعل الذبيح إسماعيل، قال: بشر بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء الطاعة، ومن جعل الذبيح إسحاق، قال: بشر بنو إسحاق، رواه عكرمة عن ابن عباس قال: «بشر به مرتين: حين ولد، وحين نبئ»^(١).

﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾^(١١٢).

[١١٣] ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ بكون أكثر الأنبياء من نسله.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُبِينٌ﴾ ظاهر.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(١١٤).

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ بالنبوة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾^(١١٥).

[١١٥] ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٢٤/١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٤٤). وانظر: «تفسير البغوي» (٦٧٠/٣).

﴿ مِنْ الْكَرْبِ ﴾ أي: من الغم ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ وهو استرقاق فرعون.

﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٦).

[١١٦] ﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ ﴾ يعني: موسى وهارون وقومهما.

﴿ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ على القبط.

﴿ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١١٧).

[١١٧] ﴿ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ البليغ في بيان الحدود والأحكام،

وهو التوراة.

﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١١٨).

[١١٨] ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الطريق الموصل إلى الحق.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴾ (١١٩).

[١١٩] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴾.

﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (١٢٠).

[١٢٠] ﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾.

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢١)

[١٢١] ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٢)

[١٢٢] ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيره .

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٢٣)

[١٢٣] ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْفَرُونَ ﴾ (١٢٤)

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْفَرُونَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف

عنه: (وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بوصل همزة (إلياس)، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مكسورة^(١).

وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، قال ابن عباس: «هو ابن عم اليسع»، وقال محمد بن إسحاق: هو ابن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٩-٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/١٥٨).

روي أن سبطاً من أسباط بني إسرائيل كانوا ببعلبك ونواحيها، وعليهم ملك اسمه آجب قد أضل قومه، وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً من ذهب يقال له: بعل، طوله عشرون ذراعاً، فبعث الله إليهم إيلياس نبياً، فدعاهم إلى الله - عز وجل -، فلم يسمعوا منه شيئاً، إلا الملك؛ فإنه آمن، وبعلبك مدينة معروفة بالشام، وكان اسمها بك، وبعل هو اسم الصنم، وهو بلغة اليمن الرب، فنسبت المدينة إليه، وسميت ببعلبك، وكانت امرأة الملك غير محصنة، قتالة للأنبياء والصالحين، واسمها أزيل، فقتلت جارها، وكان رجلاً صالحاً اسمه مزدكي، وأخذت بستانه، فغضب الله تعالى له، فبعث إليه إيلياس، وقال: قل له لتردن بستانه على ورثته، وإلا لتهلكن، فقال إيلياس لقومه: ألا تتقون الله، وتردون البستان، وتذرون عبادة الأوثان!

﴿ اَدْعُوْنَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ اَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

[١٢٥] ثم وبخهم على ذلك فقال: ﴿ اَدْعُوْنَ ﴾ تعبدون.

﴿ بَعْلًا ﴾ اسم الصنم ﴿ وَتَذَرُونَ اَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ وتتركون عبادته.

﴿ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ اَبَائِكُمُ الْاَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

[١٢٦] ﴿ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ اَبَائِكُمُ الْاَوَّلِينَ ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (الله رَبُّكُمْ وَرَبَّ اَبَائِكُمْ) بنصب الأسماء الثلاثة، فنصب اسم (الله) بدل من (أَحْسَنَ) (رَبُّكُمْ) نعته، وتعطف

عليه (وَرَبَّ آبَائِكُمْ)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة (اللَّهُ) مبتدأ،
رَبُّكُمْ) خبره، (وَرَبُّ آبَائِكُمْ) عطف عليه^(١).

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [١٢٧]

[١٢٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ مجموعون للعذاب.

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [١٢٨]

[١٢٨] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ فإنهم نجوا من العذاب، وتقدم
اختلاف القراء في (المُخْلَصِينَ) [الآية: ٤٠]، فلما سمع الملك كلامه، غضب
غضباً شديداً، وعاد إلى الكفر وعبادة بعل، وهمم بقتل إلياس، فلحق
بالجبال متعبداً، ثم دعا الله تعالى أن يريحه منهم، فأهلك الله الملك وقومه
وزوجته، ورفع الله إلياس إلى السماء، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب،
وكساه الريش، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً.
وروي أن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس،
ويوافيان الموسم كل عام.
وروي أن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، والله
أعلم^(٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)،
و«تفسير البغوي» (٣/٦٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٦).
(٢) رواه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٩/٢١٠) عن الحسن. وانظر: «تفسير
البغوي» (٣/٦٧٦). وهذا الخبر هو من أخبار بني إسرائيل، ومرجعه إلى =

﴿ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [١٢٩]

[١٢٩] ﴿ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ .

﴿ سَلَّمَ عَلَيَّ إِذْ يَأْسِينِ ﴾ [١٣٠]

[١٣٠] ﴿ سَلَّمَ عَلَيَّ إِذْ يَأْسِينِ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: (آلِ يَاسِينَ) بفتح الهمزة والمد، وقطع اللام من الياء وحدها مع كسرها؛ مثل: (آلِ يَعْقُوبَ)، وكذا رسمت في جميع^(١) المصاحف، المعنى: أنه سلم على آل هذا النبي، فتكون على هذه القراءة كلمتين، فيجوز قطعها وقفاً، وقيل: المراد: آل محمد ﷺ، قال البغوي^(٢): وهذا القول بعيد؛ لأنه لم يُسَبَقْ له ذكر، قال البيضاوي: لا يناسب نظم سائر القصص^(٣)؛ فإن المذكور في سائر القصص هو السلام على الأنبياء؛ نحو: سلام على موسى وهارون، و سلام على نوح، فأضيف الآل إليه، وقرأ الباقون: بكسر الهمزة وقصرها، وإسكان اللام بعدها، ووصلها بالياء كلمة واحدة في

= مسلمة أهل الكتاب، ومن تتبع الروايات التي تذكر الخضر وإلياس، يجد اضطراباً شديداً وتضارباً وتناقضاً عجبياً، فمثلاً يرى رواية تقول: «إن الله أوحى إلى إلياس: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك» وفي هذه الرواية «موكل بالبحار»!!؛ وهكذا الباطل يكون مضطرباً لجلجلاً، وأما الحق فهو ثابت أبلج. انظر: «الإسرائيليات» للشيخ أبي شهبه (ص: ٢٦١-٢٦٤).

(١) في «ت»: «بعض».

(٢) في «تفسيره» (٣/٦٧٧).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/٢٦).

الحالين^(١)، وإن انفصلت رسماً، فعلى قراءة هؤلاء [لا يجوز قطعها والوقف على اللام؛ لكونها من نفس الكلمة اتفاقاً، وتكون هذه الكلمة على قراءة هؤلاء]^(٢) قطعت رسماً، واتصلت لفظاً، ولا يجوز اتباع الرسم فيها وقفاً إجماعاً، ولم يقع لهذه الكلمة نظير في القراءة، [والمعنى على هذه القراءة: السلام على هذا النبي، وعلى من وسم باسمه، أو عليه وعلى]^(٣) أهل دينه، وجمعوا معه؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وكان إلياس قبل زكريا عليه السلام.

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣١)

[١٣١] ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٢)

[١٣٢] ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسيره .

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/٦٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٦-٢٤٧).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٣٣].

[١٣٣] ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ هو لوط ابن أخي إبراهيم عليهما

السلام.

﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٣٤].

[١٣٤] ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ [١٣٥].

[١٣٥] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ الباقيين في العذاب، وهي امرأته، وكانت

كافرة، وكان نكاح الوثنيات والإقامة عليهن جائزاً، والغابرون: الباقون، ومعناه هنا: بقيت في الهلاك.

﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ [١٣٦].

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ والتدمير: الإهلاك، وتقدم ذكر قصته في

هود، والحجر.

﴿ وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴾ [١٣٧].

[١٣٧] ثم خاطب تعالى قريشاً، وهو على معنى: قل لهم يا محمد:

﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: آثار قوم لوط إذا سافرتم

﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ وقت الصباح.

﴿ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٣٨)

[١٣٨] ﴿ وَبِالْأَيْلِ ﴾ أي: وبالنهاري.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ بما حل بمن تقدمكم، فتعتبرون بهم؟! *

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٩)

[١٣٩] ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ من جملة من أرسله الله عز وجل.

﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ (١٤٠)

[١٤٠] ﴿ إِذْ أَبَقَ ﴾ هرب، وعبر عن هروبه بالإباق؛ من حيث هو عبد الله فرَّ عن غير إذن من مولاه، فهذا حقيقة الإباق، روي أنه كان في سيرتهم أن يقتلوا الكذاب إذا لم تقم له بينة، فخاف يونس، وغضب مع ذلك، فأبق ﴿ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ السفينة المملوءة؛ لأن يونس لما لم ينزل العذاب بقومه، خرج كالمتسور منهم، فجاء إلى البحر ومعه امرأته وابنان له، فأركب امرأته في مركب، فحال بينهما الموج، جاءت موجة فأخذت أحد ابنيه، وأخذ الذئب الآخر، فبقي وحيداً، فركب سفينة، فلما لججوا في البحر، وقفت، فقال الملاحون: هنا عبد آبق^(١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٧٨).

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (١٤١) .

[١٤١] ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ قارَعَ أهل السفينة من الأبق .

﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ المقروعين المغلوبين .

﴿ فَالْقَمَهُ الْحَوْتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (١٤٢) .

[١٤٢] فالقوه في البحر ﴿ فَالْقَمَهُ الْحَوْتَ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ داخل في الملامة .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (١٤٣) .

[١٤٣] ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ الذاكرين الله قبل ذلك ، وكان كثير

الذكر .

﴿ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِذْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤٤) .

[١٤٤] ﴿ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِذْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم

القيامة .

روي أنه أوحى إلى الحوت : إنا جعلنا بطنك له سجناً ، ولم نجعله لك

طعاماً^(١) .

(١) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٤٨٦) .

﴿ فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (١٤٥).

[١٤٥] ﴿ فَبَدَّدْنَاهُ ﴾ طرحناه ﴿ بِالْعَرَاءِ ﴾ وجه الأرض ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾

عليل كالفرخ الممعط، قد بلي لحمه، ودق عظمه، ولم يبق له قوة^(١).

﴿ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ (١٤٦).

[١٤٦] ﴿ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ هي القرع؛ ليستظل بظلها، ولئلا

يقربه ذباب، وجاءته وعله يشرب لبنها صباحاً ومساءً، فاشتد لحمه، ونبت شعره.

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (١٤٧).

[١٤٧] ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ ﴾ هو ما سبق من إرساله، وقيل: إرسال ثان.

﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ وهم أهل نينوى بأرض الموصل، أرسل

إليهم قبل الحوت، وأرسل إلى غيرهم بعد الحوت، وكانت الزيادة عشرين، وقيل: ثلاثين، وقيل: سبعين ألفاً.

﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١٤٨).

[١٤٨] ﴿ فَآمَنُوا ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ فَمَتَّعْنَاهُمْ ﴾ أبقيناهم ممتعين.

﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ تنقضي آجالهم فيه، وتقدم ذكر قصته في سورة يونس^(٢).

(١) تقدم ذكره.

(٢) في «ت»: «الأنبياء».

﴿ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩).

[١٤٩] ولما زعم جهينة وبنو سلمة بن عبد الدار أن الملائكة بنات الله، نزل رداً عليهم: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ فسل يا محمد أهل مكة سؤالاً توبيخاً. ﴿ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ المعنى: كيف يخصكم بالأسنى، ويختص بالأردأ، مع قدرته؟ هذا لا يقبله عقل.

﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ (١٥٠).

[١٥٠] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ حاضرون ذلك، فيقدمون على ما يقولون.

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ (١٥١).

[١٥١] ثم صرح بتكذيبهم فقال: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾ من كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾.

﴿ وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٥٢).

[١٥٢] ﴿ وَوَلَدَ اللَّهُ ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله، والولد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، تلخيصه: قالوا: لله ولد ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في قولهم.

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ (١٥٣).

[١٥٣] ﴿ أَصْطَفَى ﴾ المعنى : أختارَ تعالى ﴿ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ .

﴿ مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١٥٤).

[١٥٤] ﴿ مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الفاسد . قرأ أبو جعفر : (لَكَادِبُونَ اصْطَفَى) بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدىء بهمزة مكسورة حذف حرف الاستفهام، وهو مراد، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة وقطعها مما قبلها وصلاً^(١)؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام، وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة .

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٥).

[١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم : (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها^(٢) .

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥٦).

[١٥٦] ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴾ حجة واضحة أن الله ولداً .

-
- (١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٨).
- (٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدماطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٤٩).

﴿ فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

[١٥٧] ﴿ فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ ﴾ الذي لكم فيه حجة .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في قولكم .

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

[١٥٨] ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ أي : الملائكة المشركون ﴿ بَيْنَهُ ﴾ تعالى .

﴿ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ ﴾ أي : الملائكة ﴿ نَسْبًا ﴾ بقولهم : الملائكة بنات الله .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ يعني : قائلها هذه المقالة .

﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ في النار ، والملائكة سميت بذلك ؛ لأنها مستجبة ؛ أي :

مستترة من الأبصار .

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه الناس ولا يليق به ، فقال :

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء من (يُصِفُونَ) ؛ لأن المخلصين

يصفونه بصفاته العلا .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ (١٦١) .

[١٦١] ﴿ فَإِنَّكُمْ ﴾ يعني : المشركين ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأصنام .

﴿ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴾ (١٦٢) .

[١٦٢] ﴿ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ﴾ الضمير في (عليه) لله سبحانه .

﴿ بِفِتْنَيْنِ ﴾ مضلين على الله بالإغواء .

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ (١٦٣) .

[١٦٣] ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ إلا الذين سبق في علمه تعالى أنهم يصلونها . وقف يعقوب (صالي) بإثبات الياء^(١) .

﴿ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦٤) .

[١٦٤] ثم أخبر جبريل - عليه السلام - أن لكل واحد منهم مقاماً مختصاً

به ، وأنهم عبيد مريبون مسبحون ، فقال : ﴿ وَمَا مَنَّا ﴾ أحد .

﴿ إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ في السموات يعبد فيه ، ولا يتجاوزها إلا بإذن .

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٣٨/٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٤٩/٥) .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (١٦٥).

[١٦٥] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ أقدامنا للصلاة.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴾ (١٦٦).

[١٦٦] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴾ المنزهون الله تعالى عما لا يليق به .

﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ (١٦٧).

[١٦٧] ولما قال الكفار: لو كان لنا كتاب كالتوراة والإنجيل، لآمنا وخضعنا، فلما جاءهم - عليه السلام - بالقرآن، كفروا به، نزل: ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ (١).

﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴾ (١٦٨).

[١٦٨] ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا ﴾ كتاباً ﴿ مِّنْ ﴾ كتب ﴿ الْأُولِينَ ﴾ التي نزلت عليهم .

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (١٦٩).

[١٦٩] ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ له ، ولم نخالف مثلهم .

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٦٩).

﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٠) .

[١٧٠] ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ ﴾ أي: فلما أتاهم ذلك الكتاب، وهو القرآن، كفروا

به .

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧١) .

[١٧١] ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ عدتُنا بالنصر ﴿ لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ وهي:

﴿ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١]، وسميت جماعة الحروف كلمة؛

لأنها في معنى واحد .

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ (١٧٢) .

[١٧٢] ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: الرسل ﴿ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ على من ناوأهم .

﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣) .

[١٧٣] ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا ﴾ المؤمنين ﴿ لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ المظفرون بإرادتهم،

المستوجبون الفلاح في الدارين .

﴿ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَرَبًا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (١٧٤) .

[١٧٤] ﴿ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ ﴾ أعرض عن كفار مكة وعن أذاهم .

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: حين نأمرك بقتالهم، فالآية محكمة.

﴿ وَأَبْصُرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥).

[١٧٥] ﴿ وَأَبْصُرُهُمْ ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما ينكرون.

﴿ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (١٧٦).

[١٧٦] فثم قالوا استهزاء واستعجالاً: متى نزل العذاب؟ فنزل:

﴿ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (١)

﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (١٧٧).

[١٧٧] ﴿ فَإِذَا نَزَلَ ﴾ العذاب ﴿ بِسَاحِحِهِمْ ﴾ هي الرحبة التي يديرون أحييتهم حولها ﴿ فَسَاءَ ﴾ فبئس ﴿ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ الذين أنذروا فلم يؤمنوا، والصبح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب. ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح، سموها الغارة: صباحاً، وإن وقعت في وقت آخر.

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (١٧٨).

[١٧٨] وكرر: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/١٨١).

﴿ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٩).

[١٧٩] ﴿ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يُفعل بهم؛ تهديداً لهم، وتسليّة له ﷺ.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠).

[١٨٠] ثم نزه نفسه تعالى فقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ الغلبة

والقدرة؛ أي: مالكتها ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من اتخاذ الأزواج والأولاد.

﴿ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٨١).

[١٨١] ﴿ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين بلغوا عن الله الشرائع والتوحيد،

تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٢).

[١٨٢] ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على نصر أنبيائه، وإهلاك أعدائه،

وعلى كل حال.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ، فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛

فإنما أنا أحدُهم»^(١)، والله أعلم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣٤/٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»

(٣٢٣٤/١٠) عن قتادة رسلاً، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً في «تفسيره»

(٣٢٣٤/١٠) عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة مرفوعاً. وانظر:

«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/٤٩٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٢٦).



مُحتَوَى المَجَلِّدِ الخَامِسِ

٥	تفسير سورة الفرقان
٤٧	تفسير سورة الشعراء
١١١	تفسير سورة النمل
١٧٠	تفسير سورة القصص
٢٢٨	تفسير سورة العنكبوت
٢٦٧	تفسير سورة الروم
٢٩٩	تفسير سورة لقمان
٣١٩	تفسير سورة السجدة
٣٣٥	تفسير سورة الأحزاب
٣٩٨	تفسير سورة سبأ
٤٣٧	تفسير سورة فاطر
٤٦٥	تفسير سورة يس
٥٠٤	تفسير سورة الصافات
٥٥٩	محتوى المجلد الخامس

* * *